المحمود في علوم القرآن وأصول التفسير

إصدار مؤسسة السادة للفكر والثقافة

تقريظ الأستاذ الدكتور
مصطفي مراد صبحي محمد
الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية جامعة الازهر الشريف

تقريظ الأستاذ الدكتور
سعيد قرني الفيومي.
أستاذ الدعوة والثقافة الاسلامية بجامعة الازهر

إعداد

محمود أبو نور الدين

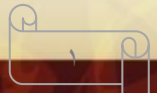

تقريظ للأستاذ الدكتور مصطفي مراد صبحي محمد

الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية وأحد علماء الجمعية الشرعية والعميد الأسبق لمعهد القرآن الكريم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن ولاه

أما بعد

فقد نظرت في كتاب المحمود في علوم القران والتفسير لأخينا الفاضل المفضال الباحث النشيط الأستاذ محمود أبو نور الدين بارك الله فيه ، وعليه وهو من شباب الباحثين وهذا البحث اللطيف منه ، قد جاء ماتعا وأتي فيه بموضوعات متصلة بعلوم القرآن فأحسن فيها وأفاد وأجاد، وأتي فيها بأشياء دقيقه وامتاز بحثه، كما عادته بالتحقيق والتدقيق.

و علوم القران كثيرة جدا للغاية ولكن لأن الأمر يحتاج إلى نفقات كثيرة وغير ذلك ، فكتفي الباحث، بارك الله فيه وعليه بأهم موضوعات علوم القرآن فهذا الكتاب بالنسبة للمبتدئين فيه الغنية والكفاية ، ويعد بمثابة الكفاية في علوم القرآن أو بداية المبتدي في علوم القران المجيد. فجزاه الله خيرا وأوصي بأن يقرأ كتابه وأن ينشر ، وفي الطبعات الأخرى ان شاء الله الباحث يضيف معلومات وموضوعات أخري تتعلق بعلوم القرآن جزاه الله خيرا والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الأستاذ الدكتور مصطفي مراد صبحي الاستاذ بكلية الدعوة الإسلامية وعضو الجمعية الشرعية والعميد الأسبق لمعهد القرآن الكريم

تحريرا في الخامس عشر من أكتوبر سنة ٢٠٢٣ الموافق السابع والعشرين من شهر ربيع الاول والموافق للتاسع والعشرين من ربيع الاول سنة ١٤٤٥

تقريظ للأستاذ الدكتور سعيد قرني الفيومي.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد

فالقرآن الكريم هو حبل الله المتين وكتابه المبين ومصدر سعادة الموحدين، مَنْ قالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ."

ومما لا شك فيه أن علوم القرآن الكريم وأصول التفسير من أجل العلوم وأنفعها لأنه العلم المتعلق بكتاب الله تعالى.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا عمل طيب ورائع راعي فيه مؤلفه بين تأصيل الموضوع وسهولة العرض وعمق الفكرة وقوة الاستدلال.

ومما يمتاز به هذا العمل أنه يهتم بموضوع من الأهمية بمكان خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الاضطرابات والمشكلات الحياتية والنفسية وغيرها.

وأسأل الله تعالى أن يتقبل منه هذا العمل وأن يجعله في ميزان حسناته إنه نعم المولى ونعم النصير

ا. د. سعيد قرني الفيومي

أستاذ الدعوة والثقافة الاسلامية جامعة الازهر القاهرة

والأستاذ بكلية البنات فرع الفيوم جامعة الأزهر

السَّادَة لِلفِكرِ وَالثَّقَافَة
www.sadah.net

كلمة المشرف العام لمؤسسة السادة لنشر العلوم الشرعية

الحمد لله رب العالمين ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،، **وبعد،،،**

لما كان للعلوم الشرعية المنضبطة الأهمية الكبرى في حياة كل مسلم، وصار العلم الشرعي والحاجة إليه من أساسيات الحياة، وخاصة في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الفتن، والشبهات والمشككين في ثوابت الدين من هنا وهناك، و حيث انتشر الجهل والبعد عن طلب العلم والتفقه في دين الله تعالى، فكانت الحاجة للعلوم الشرعية ونشرها كالشمس للدنيا والصحة للأبدان.

ومن أجل هذا حملت على عاتقي تأسيس هذه المؤسسة العلمية وبمساعدة طيبة من بعض الإخوة المخلصين، والهدف منها نشر العلم الشرعي الصحيح المنضبط المعتدل على منهج أهل السنة والجماعة، حتى نقدم لأبناء الأمة الإسلامية مساهمة طيبة، ولو كانت بسيطة، عدةً لهم وتحصينا أمام الشبهات والفتن بجميع أشكالها. ولقد تعمدنا السهولة واليسر، حتى تكون متاحة لعموم المسلمين ولمحبي دراسة العلوم الشرعية، والتفقه في الدين.

و انطلاقا من حديث رسول الله ﷺ عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ : "مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ". (صحيح البخاري)

وحديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : (يا رسول الله ! أيُّ الناس أحبُّ إلى الله؟ فقال: أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل، سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة، أحبُّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة شهرا...". (رواه الطبراني في الأوسط والصغير)

ونسأله تعالى بجميل فضله وكرمه أن يجعله عملا صالحا ولوجهه خالصا، وأن يكون زخرا لنا ولكل مسلم، ونورا علي الصراط، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولعموم المسلمين...

اللهم آمين يارب العالمين،،،

المشرف العام

ناصر بن صالح بن حسين السادة

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

كلمة معد المادة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

وبعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ

فقد من الله عز وجل تعالى علينا بجميل فضل منه وكرم أن سهل ومهد لنا دراسة العلوم الشرعية وجعلها سهلة ميسورة وجعل فيها الأجر والثواب العظيم.

فعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن سلَك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهَّل الله له طريقًا إلى الجنَّة، وإنَّ الملائكة لَتضعُ أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإنَّ طالب العلم يستغفرُ له مَن في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء، وإنَّ فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إنَّ العُلماء هم ورثةُ الأنبياء، إنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنَّما ورَّثوا العلم، فمَن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ))؛ [1]

وهذا من جميل فضل الله عز وجل علينا وكرمه ، ولقد سخر الله عز وجل لنا علماء مهدوا لنا هذه العلوم، وجعلوها لنا سهلة ميسورة.

قال رسول الله الله عليه وسلمﷺ: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.[2]

ومما لا شك فيه أن دراسة العلوم الشرعية وعلي رأسها ، (علوم القرآن الكريم) من أفضل وأجل العلوم ، لذا تعمدت أن أقدم لطلاب العلم الشرعي هذه السلسلة.

وبدأت بعلوم القرآن الكريم وأصول التفسير، وتعمدت فيه التلخيص والبساطة والسهولة والإلمام ، حتي يتمكن طالب العلم من معرفة العلوم الشرعية بدون تعقيد ولا صعوبة.

فنحن في هذا الزمان في أمس الحاجة للعلوم الشرعية ، لأنها طوق النجاة من فتن الدنيا.

---

(١) ابن ماجه وصححه الألباني

(٢) رواه أحمد بسند صحيح انظر: مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، ٤٨/١.

قال الإمام أحمد رحمه الله: الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجاتهم إلى الطعام والشراب لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين والعلم يحتاج إليه بعدد أنفاسه.

ولا ننسى الشكر والاعتراف بالجميل، للمهندس ناصر بن صالح بن حسين السادة مؤسس والمشرف العام علي مؤسسة السادة للعلوم الشرعية.

الذي تبني هذا المشروع وساهم أجل إسهام في نشر هذه السلسلة ، وإخراجها لطلاب العلم. فجزاه الله خير الجزاء .وتقبل الله منه.

فعن أبي هريرة مرفوعا :لا يشكر الله من لا يشكر الناس.[1]

محمود أبو نور الدين

( ) رواه الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد و أبو داود وابن حبان والطيالسي

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المقدمة

الحمدُ لله الذي أنزل الفرقانَ على عبدِه ليكونَ للعالمينَ نذيرًا، وجعل فيه الهداية والرشاد للعالمين في كل زمان ومكان، وجعله سراجًا منيرًا ؛ لا يأتيه الباطلُ من بين يديهِ ولا من خلفهِ، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمدٍ ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين ..

و بعد،،

فهذه دراسة مختصرة مفيدة إن شاء الله أعددتها لطلاب العلم، وأهل الفضل المبتدئين، تيسيرًا لهم وتمهيدًا وبدايةً ومفتاحًا لبابِ العلمِ الشرعيّ ، وخاصة طلاب علومِ القرآنِ الكريمِ، وأصول التفسير، ولقد سميته: **(المَحْمُود في علومِ القرآنِ وأصولِ التفسيرِ)؛**

فكتاب الله" هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم،وهو كتاب الله المبين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢] وقوله تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: ٨٨][1]

يقول سيدنا أبو بكر رضي الله عنه كتاب الله لا يطفأ نوره، ولا تنقضي عجائبه، فاستضيئوا بنوره، وانتصحوا به، واستبصروا فيه ليوم الظلمة.

[1] راجع لمعة الاعتقاد ص١٦محمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ):

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصـــــــــل الأول

الإحسان لطلاب العلم تكريما لهم

يستحب الرفق بطلبة العلم وإكرامهم ، لعِظَم ما يحملون من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والعلوم النافعة، فعن أبي هارون العبديّ قال: كنا نأتي أبا سعيد الخدري رضي الله عنه فيقول: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ، إن النبي -ﷺ-، قال: «إن الناس لكم تبع وإن رجالا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا» [١]،.

فطلبة العلم هم وصية رسول الله ﷺ ، وهذا هو حال أهل الفضل مع طلبة العلم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « أكرم الناس على جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس إلي لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت »، وفي رواية: «إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني» [٢]، فواجب على العالم والمدرس أن يحسن الي طلبته ولا يسيء اليهم ويقدم لهم النفع والمساعدة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

أولًا: إكرام أهل القرآن لأنهم أهل الله وخاصته وعدم التعرض لهم بأذى

يجب على المسلم احترام وتوقير أهل القرآن، فعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ- : «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطانِ المقسِط»[٣]، وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: « أمرنا رسول الله ﷺ، أن ننزل الناس منازلهم »[٤]، وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- « أن النبي -ﷺ- كان يجمع بين الرجلَيْنِ من قتْلَى أُحُدٍ ثم يقول: «أيُّهُمَا أكثر أخذًا للقرآنِ؟» فإنْ أشِيرَ إلَى أحدِهِمَا قدَّمَه في اللحْدِ» [٥]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال فيما بلغ عن ربه: « إن الله -عز وجل- قال: "من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب» [٦].

ووضح العلماء وبينوا إن أولياء الله تعالى على رأسهم أهل القرآن ، فعن الإمامين أبي حنيفة والشافعي -رضي الله عنهما- قالا: « إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس للهِ وليّ »، وعن أنسٍ -رضي الله عنه- قال: «كان الرجل منا إذا قرأ

---

(١)رواه الترمذي وابن ماجه .
(٢)راجع ابن عبد البر في كتاب بهجة المجالس .
(٣)رواه أبو داود وهو حديث حسن .
(٤)رواه أبو داود في سننه والبزار في مسنده قال الحاكم حديث صحيح .
(٥)رواه البخاري.
(٦)رواه البخاري.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

البقرة وآل عمران جدَّ فينا»، أي: عظم، قال الإمام الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله: اعلم يا أخي - وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته - أن لحومَ العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣] .

ثانيًا: آداب عامة لأهل القرآن وحَمَلة كتابِ الله تعالى لا بد من يتحلّوا بها

إخلاص الوجهة والقصد لله تعالى والابتعاد عن الرياء:

قال الله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾[البينة ٥]، أي: الملة المستقيمة، وقال تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾[الشوري ٢٠]، وقال تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾[الإسراء: ١٩]، والإرادة هنا بمعنى القصد، وفي الصحيحين عن عمرِ بنِ الخطاب، رضى الله عنه، قال النبى -صلى الله عليه وسلم- : «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى اللهِ ورسولِهِ فهجرته إلى اللهِ ورسولِهِ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأةٍ يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»[(١)].

وقد صح عن الإمام الشافعي -رضي الله عنه- أنه قال: وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم يعني علمه وكتبه و أن لا ينسب إلي حرف منه، وجاء التحذير من طلب العلم بقصد الدنيا أو الشهرة وغيرها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علمًا يبتغي به وجهَ اللهِ تعالى لا يتعلّمه إلا ليصيبَ به غرضًا من الدنيا لم يجدْ عرْفَ الجنةِ يومَ القيامةِ»[(٢)]، وعن أنس وحذيفة وكعب بن مالك رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ- قال: «من طلب العلم ليماري به السفهاء أو يكاثر به العلماء أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار»[(٣)]، فلا بد أن يخلص الطالب نيته وقصده لله تعالى حتى يؤجر ويثاب، فبدون الإخلاص وحسن القصد كان العمل هباء منثورا نسأل الله العافية .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ -، قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه أبو داود بإسناد صحيح.
(٣) رواه الترمذي.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وشركه»[1]، وفي رواية ابن ماجه: «فأنا منه بريء وهو للذي أشرك»، وأيضا يجاهد نفسه بأن يبتعد عن موضع الثناء والمدح قدر الاستطاعة وصدق قول القائل:

يهوى الثناء مبرِّز ومقصر * حبُّ الثناء طبيعة الإنسان

وقالوا الذي يدعو إلى الرياء ثلاثة أشياء : " حب المحمدة ، وخوف المذمة، والطمع فيما في أيدي الناس.

١- العمل بهذا العلم والسير على السلوك الحسن.

عن سفيان الثوري: قال: (العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل)، فليس للعلم أي قيمة إن كان صاحبه لا يعمل به ولا يسير على سيرة، ولا يلتزم أوامره، بل نخشي ان يكون وبالا عليه يوم القيامة، وشاهدا عليه وليس له .

قال الله عز وجل: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾[فاطر ٢٩]، وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: « من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا فما ظنكم بالذي عمل بهذا»[2]، فالعمل بما في القرآن شرط التتويج.

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «اقرؤوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن وإن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن ومن أحب القرآن فليبشر»[3]، وروي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما»[4]، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي -ﷺ- عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، وكانوا يقولون: تعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

وكان الصحابة الكرام حريصين كل الحرص على العمل به والوقوف عند أحكامه.

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: يا حملة القرآن، أو قال: يا حملة العلم اعملوا بالقرآن، فإنما العلم مَن عَمِل بما عَلِم ووافق علمُه عملَه، وسيكون أقوامٌ

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) رواه الدارمي.
(٤) رواه الدارمي.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يحملون العلمَ لا يجاوز تراقيهم يخالفُ عملُهم علمَهم، وتخالف سريرتُهم علانيَتَهم يجلسون حِلَقًا يباهي بعضُهم بعضًا حتى أن الرجلَ ليغضبُ على جليسِه أن يجلس إلى غيره، ويَدَعْهُ أولئك لا تصعدُ أعمالُهم في مجالسِهم تلك إلى الله تعالى.

وأخرج أحمد في المسند بإسناد حسن عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبيّ -ﷺ- أنهم كانوا يقترئون من رسولِ الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشرِ الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلمِ، والعمل، قالوا: فعلمنا العلمَ، والعملَ.

وعن النواس بتشديد النون المفتوحة ابن سمعان بفتح المهملة الأولى وكسرها رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تتقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما» (١)

وهذا الحديث قال فيه رسول الله ﷺ (الذين كانوا يعملون به في الدنيا)، فالذين لا يعملون به حرموا كل هذا الفضل.

وأخرج الدارمي في السنن عن معاذ بن جبل أنه قال: اعملوا ما شئتم بعد أن تعلموا فلن يأجركم الله بالعلم حتى تعملوا.

٢- المحافظة على قيام الليل وصيام النهار:

فحامل القرآن يعرف بليله والناس نائمون وبنهاره والناس يلهون، فعن عبد الله بن مسعود، قال: " ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، ولبكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيا محزونا حليما حكيما سكيتا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا، ولا غافلًا ولا صخابًا ولا صيّاحًا، ولا حديدًا] (٢).

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقسطين» (٣). وهذا هو حال النبي ﷺ وصحابته الكرام.

بات ابن عباس عند خالته ميمونة زوج النبي ﷺ ذات يومٍ، فقالَ: «فاضطجعتُ في عَرضِ الوسادةِ، واضطجعَ رسولُ الله ﷺ وأهلُهُ في طولِها، فنامَ رسولُ الله ﷺ حتى إذَا انتصفَ اللَّيلُ أو قبلَهُ بقليلٍ استيقظَ فجلسَ يمسحُ النّومَ

---

(١) رواه مسلم.
(٢) الفوائد لابن القيم - ط العلمية ، (ص١٤٦).
(٣) رواه أبو داود وغيره .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عن وجهِهِ بيدِهِ، ثمَّ قرأَ عشرَ آياتٍ (خواتيمَ سورةِ آل عمرانَ)، ثمَّ قامَ يصلِّي. قالَ ابنُ عباسٍ: فقمتُ فصنعْتُ مثلَ الَّذِي صنَعَ ثُمَّ ذهبتُ فقمتُ إِلَى جنبِهِ، فوضعَ يدَهُ على رأسِي وأخذَ أُذني اليُمنَى ففتلَها (ليذهبَ عنّي النُّعاسُ) فصلَّى ركعتينِ ثُمَّ ركعتينِ ثمَّ ركعتينِ ثمَّ ركعتينِ ثمَّ ركعتينِ ثُمَّ أوترَ. ثمَّ اضطجعَ حتَّى أتاهُ المؤذِّنُ فقامَ فصلَّى ركعتينِ خفيفتينِ، ثمَّ خرجَ فصلَّى الصُّبْحَ»[١].

يقول صفوان بن المعطّل السَّلميّ: «كنتُ معَ رسولِ الله ﷺ في سفرٍ فرمقتُ صلاتَهُ ليلةً فصلَّى العشاءَ الآخرةَ ثمَّ نامَ. فلمَّا كانَ نصفُ اللَّيلِ استيقظَ فتلاَ الآياتِ العشرِ آخرَ سورةِ آل عمرانَ، ثمَّ تسوَّكَ، ثُمَّ توضَّأَ، ثُمَّ قامَ فصلَّى ركعتينِ فلاَ أدرِي أقيامُهُ أمْ ركوعُهُ أمْ سجودُهُ أطولُ؟ ثمَّ انصرفَ فنامَ، ثمَّ استيقظَ فتلاَ الآياتِ ثمَّ تسوَّكَ، ثمَّ توضَّأَ، ثمَّ قامَ فصلَّى ركعتينِ، لاَ أدْرِي أقيامُهُ أمْ ركوعُهُ أم سجودُهُ أطولُ؟ ثُمَّ انصرفَ فنامَ، ثُمَّ استيقظَ ففعلَ ذلكَ، ثُمَّ لم يزلْ يفعلُ كمَا فعلَ فِي أوَّلِ مَرةٍ حتَّى صَلَّى»[٢]، وفي هذا شرف الاقتداء بالنبي ﷺ، ويكفي طالب العلم شرفًا أن يقوم الليل من أجل التسني برسول الله ﷺ فهو قدوتنا واسوتنا، يقولُ تعالَى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقد أوصى رسول الله ﷺ بقيام الليل، فقال: «أيُّها النَّاسُ أفشُوا السَّلام، وأطعمُوا الطَّعام، وصِلُوا الأرحامَ، وصَلُّوا باللَّيلِ والنَّاسُ نِيَامٌ، تدخلُوا الجنةَ بسلامٍ»[٣].

٣- الأمر بتعهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، قال: «تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها»[٤]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ، قال: « إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت»[٥]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها»[٦].

---

(١)رواه أحمد والشيخان.
(٢)مسند الإمام أحمد بن حنبل.
(٣)الحاكم وابن ماجه والترمذي.
(٤)رواه البخاري ومسلم .
(٥)رواه مسلم .
(٦)رواه أبو داود والترمذي.

الصبر على التعلم:

يقول الإمام النووي رحمه الله في وصفه لطالب العلم: "ينبغي أن يكون حريصًا على التعلم، مواظبًا عليه في جميع أوقاته، ليلاً ونهارًا، وسفرًا وحضرًا، ولا يُذهب من أوقاته شيئًا في غير العلم إلا بقدر الضرورة، لأكل ونوم قدرًا لابد له منه ونحوهما، كاستراحة يسيرة لإزالة الملل، وشبه ذلك من الضروريات، وليس بعاقل من أمكنه درجة ورثة الأنبياء ثمَّ فوتها". ويقول ابن القيم رحمه الله: "وأما سعادة العلم فلا يورثك إياها إلا بذل الوسع، وصدق الطلب، وصحة النية".

ويؤكد على ذلك ابن الجوزي رحمه الله فيقول: "تأملت عجبًا، وهو أن كل شيءٍ نفيسٍ خطيرٍ يطول طريقه، ويكثر التعب في تحصيله، فإنَّ العلم لما كان أشرف الأشياء لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار، وهجر اللذات والراحة.." ، "قال بعض الفقهاء: بقيت سنين أشتهي الهريسة ولا أقدر على شرائها؛ لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس".

وكان شعار سلفنا الصالح رحمهم الله، من لم يصبر على ذل التعليم بقي عمره في عماية الجهالة ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الاخرة والدنيا، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا، ومن الشعر الحسن:

من لم يذق طعم المذلة ساعة * قطع الزمان بأسره مذلولا

صبر الإمام أحمد على طلب العلم

رأى أحد أصحاب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله جهده ومثابرته فسأله قائلاً: إلى متى تستمر في طلب العلم، وقد أصبحت إمامًا للمسلمين وعالمًا كبيرًا؟! فقال له: "مع المحبرة إلى المقبرة"

قال ابن رافع: رأيت أحمد بن حنبل بمكة بعد رجوعه من اليمن وقد تشقَّقت رجلاه وأبلغ إليه التعب، وقد خرج الإمام أحمد إلى طرسوس ماشيًا على قدميه لعجزه عن النفقة في السفر. وهو الذي قال: "لو كان عندي خمسون درهمًا لخرجت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الري (كان إمامًا في الرواية)، فخرج بعض أصحابنا ولم يمكني الخروج لأنه لم يكن عندي!!"

وننصح الإخوة من طلاب العلم الرجوع إلى كتاب (صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل) للعلامة عبدالفتاح ابو غدة. لما فيه من فوائد جليلة

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ويجب على حامل القرآن أن يكون عزيزا بالقرآن فلا يقبل الذل ولا الهوان علي نفسه ولا دينه. فعن الفضيل بن عياض قال ينبغي لحامل القرآن أن لا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم ، وعنه أيضا قال حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن.

وعن الفضيل بن عياض: «كم من عالم يدخل على الملك ومعه دينه، ويخرج وليس معه منه شيء، فلا جعل الله مصيبتنا في ديننا»، فقلنا: وكيف ذاك؟ قال: «يصدقه في كذبه، ويمدحه في وجهه».

ويقول ابن الجوزي في الدخول على السلاطين: «الدخول عَلَى السلاطين خطر عظيم؛ لأن النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغير باكرامهم وإنعامهم، أو بالطمع فيهم، ولا يتماسك عَنْ مداهنتهم وترك الإنكار عليهم.

وقد كان سفيان الثوري -رَضِيَ اللَّهُ عنه- يَقُول: (مَا أخاف من إهانتهم لي إنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبي إليهم))

وحكى الحافظ ابن كثير: «قال فلما حضروا مجلس قازان؛ قدّم لهم الطعام، فأكل منه الجميع إلا ابن تيمية. فقيل له: لماذا لا تأكل؟، فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس؟» ، «وطلب منه قازان الدعاء له، فقال في دعائه: اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وجاهد في سبيلك؛ فأنْ تؤيدَه وتنصره، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر؛ فأن تفعل به وتصنع». «قال – يعني البالسي -: وقازان يؤمّن على دعائه ويرفع يديه، قال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفًا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله! قال: فلما خرجنا من عنده؛ قال له قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى وغيره: كدتَ أن تهلكنا وتهلك نفسك! والله لا نصحبك من هنا!، فقال: وأنا والله لا أصحبكم».

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ثالثا: فضل طلب العلم:

لن يعلم لطالب العلم نظيراً له في الأجر والثواب إلا الجهاد في سبيل الله تعالى،_قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٣]. وقال: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]. وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]. وقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

قال ابن حجر: وقوله عز وجل: رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا {طه: ١١٤} واضح الدلالة في فضل العلم، لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]، قال ابن تيمية رحمه الله: بالصَّبر واليقين تُنال الإمامةُ في الدِّين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[١] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو في منزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره»[٢] .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال النبي ﷺ : «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[٣] .

---

(١) رواه مسلم وأبو داود بإسناد صحيح.
(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٢٧) بسند صحيح.
(٣) متفق عليه.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وعن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ قال : «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين »[1] ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله أوحى إليَّ : أنه من سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريق الجنة ومن سلبت كريمتيه أثبته عليهما الجنة و فضل في علم خير من فضل في عبادة و ملاك الدين الورع »[2] .

فهذه جملة طيبة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، تبين وتوضح فضل الطلب للعلوم الشرعية، ومعلوم أن أعظم وأجل العلوم هي العلوم المتعلقة بكتاب الله سبحانه، ولأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤٥) وقال : حسن صحيح.
(٢) أخرجه البيهقي ، بسند صحيح.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصـــل الثاني

تعريف علوم القرآن

لا بد في أي تعريفٍ خاص بالعلوم الشرعية أن يكون له تعريف في اللغة العربية، وتعريف آخر عند أهل الاصطلاح من أهل الذكر والفن والاختصاص، وهو ما يسمى (لغة واصطلاحًا):

ومعني اصطلاحًا، أي: ما اصطلح عليه أهل العلم والفن، وهو: "إخراج المعنى من معنى لغوي إلى معنى آخر، لمناسبةٍ بينهما ولبيان المراد منه .

والفرق بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي، أن المعنى اللغوي يطلق على المعنى الذي استعملته العرب للكلمة،

والمعنى الاصطلاحي يقصد به المعنى الذي اصطلح عليه أهل فن معين ،

وينقسم التعريف تعريف علوم القرآن إلى قسمين، هما كما يلي:

أولًا: تعريف علوم القرآن باعتباره (مركّبًا إضافيًّا): مكون من كلمتين، كلمة (علوم) وكلمة (قرآن).

تعريف كلمة (العلوم):

معنى علوم في اللغة العربية جمع علم وهي بمعنى، الفهم والمعرفة والإدراك .

والعلم اصطلاحًا: تطلق على معرفة الله تعالى وآياته وأفعاله في عباده وخلقه، قال الإمام الغزالي في الإحياء: قد كان العلم يطلق على العلم بالله تعالى وآياته وأفعاله في عباده وخلقه[1]، ومعناه عند علماء الفنون: (المعلومات المنضبطة بجهة واحدة)، أي: موضوع معين؛ فمسائل النحو مثلا تسمى: علم النحو، ومسائل الفقه تسمى: علم الفقه،

وعرفه بعض العلماء بالملكة التي تحصل بها تلك المعارف.

تعريف كلمة (القرآن) :

لغة "قرأ": تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض، والقرآن : مصدر قرأ قراءة وقرآنا، قال تعالى: ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه* فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ [القيامة:]، أي: قراءته، فهو مصدر على وزن "فعلان" بالضم؛ كالغفران والشكران، وقيل إن لفظ القرآن مشتق. من مادة

(١) إحياء علوم الدين ، للإمام محمد محمد الغزالي الطوسي،

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

«قرن» يقال قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه، فتكون السورة والآية قرآناً لأنهما مقرونتان ببعضهما. وإنه من قرن الشيء بالشيء إذا ضمه إليه، أو من القرائن لأن آياته يشبه بعضها بعضا فالنون أصلية، يقول الزركشي في البرهان: إنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه فسمي بذلك القرآن لقران السور والآيات والحروف فيه[١].

ولقد ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ القرآن غير مهموز، وأنه جامدٌ ليس بمشتق من كلمة (قرأ)، فهو علَمٌ على ما نزل من عند الله تعالى، بدون اشتقاق حيث إنه وضع علمًا خاصًّا بالذي أنزل على النبي -ﷺ-، وليس مشتقا، فهو إذًا اسم خاص لكلام الله تعالى، مثل: التوراة والإنجيل، غير مهموز،

وقالوا: إنه لم يؤخذ من (قرأ)، ولو أخذ من (قرأ) لكان كل ما قرئ قرآنًا ، وروي هذا عن الشافعي، قال البيهقي: كان الشافعي يهمز «قرأت» ولا يهمز القرآن ويقول: هو اسم لكتاب الله، قال الواحدي: قول الشافعي يعني أنه اسم علم غير مشتق[٢].

ورجّح هذا القول الإمام السيوطي، وقال: (القرآن) علم غير مشتق فهو اسم لكتاب الله مثل سائر الكتب السماوية وقرأ ابن كثير القرآن في قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة:]، دون همزة أي «القرآن»، وكلا القولين صحيح والأصح الأول، أي: أنه مشتق من مادة قرأ.

يقول الدكتور مناع القطان: (ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ القرآن غير مهموز الأصل في الاشتقاق، إما لأنه وضع علما مرتجلا على الكلام المنزل على النبي -ﷺ- وليس مشتقا من "قرأ"، وإما لأنه من قرن الشيء بالشيء إذا ضمه إليه، أو من القرائن لأن آياته يشبه بعضها بعضا فالنون أصلية، وهذا رأي مرجوح، والصواب الأول) [٣].

(١) البرهان في علوم القرآن، للإمام عبد الله بن بهادر الزركشي، ج١ ص٢٣٢
(٢): المدخل إلى علوم القرآن الكريم: محمد فاروق النبهان ج١ ص١٦
(٣) مباحث في علوم القرآن ص١٦.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

- **تعريف القرآن اصطلاحًا:**

القرآن الكريم هو: كلام الله -تعالى-، المُنزل على نبيّه محمد -ﷺ-، بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، المعجز بلفظه، المتعبّد بتلاوته، المُفتتح بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر.

ومعنى التعريف: القول بأنّه (كلام الله تعالى)، فخرج سائر كلام المخلوقين من الإنس، والجن، والملائكة، وغيرهم.

القول بأنه (المنزل على سيدنا محمد ﷺ)، خرجت منه الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء السابقين؛ كالتوراة المنزلة على نبيّ الله موسى -عليه السلام-.

والقول بأنّه (المعجز)، وتعرّف المعجزة بأنّها أمر خارقٌ للعادة، يوقعه الله تعالى على يد نبيٍّ من أنبيائه؛ ليكون برهان صدقٍ على دعوتِه، ورسالته.

والمراد بـ(المنقول إلينا بالتواتر)، أي: أنه ينقل بالجمع الغفير عن الجمع الغفير من الصحابة والتابعين، وأقله عشرة، ويستحيل العقلا تواطؤهم واجتماعهم على الكذب.

ثانيًا: تعريف (علوم القرآن) باعتباره لقبًا على علمٍ مخصوصٍ:

لقد اشتهر علوم القرآن كعلم مستقل بأنه: (العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه،، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن الكريم. وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير؛ لأنه يتناول المباحث التي لا بد للمفسّر من معرفتها للرجوع إليها في تفسير القرآن .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصـــــل الرابع

فضل علوم القرآن الكريم

علوم القرآن الكريم من أفضل العلوم وأشرفها وأسماها، كما قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى: "لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم" [1].

وقد نقل السيوطي فى «الإتقان» عن أبي القاسم النيسابوري فى كتابه (التنبيه على فضل علوم القرآن) قوله: (من أشرف علوم القرآن علم نزوله، وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة فى أهل المدينة وما نزل بالمدينة فى أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلا، وما نزل نهارا، وما نزل مشيعا، وما نزل مفردا، والآيات المدنيات فى السور المكية، والآيات المكيات في السور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدنية إلى أرض الحبشة، وما أنزل مجملا، وما نزل مفصلا، وما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدنى وبعضهم مكي، فهذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى) [2].

المراحل التاريخية التي مر بها علم (علوم القرآن):

لم يكن أيام النبي ﷺ ولا صحابته الكرام مؤلفا خاصا في علوم القرآن، وسبب عدم التأليف في علوم القرآن في عهد النبي ﷺ وعهد الصحابة رضي الله عنهم.

أولا: عدم الحاجة إلى التأليف والتدوين : لأنهم أهل البلاغة والمعرفة، والفطرة السليمة وكثرة فهمهم لمعاني اللغة العربية، فهم عرب خلص والقرآن جاء بلسانهم. والنبي بين أيديهم .،فإذا التبس عليهم فهم آية من الآيات سألوا رسول الله ﷺ عنها.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي ج١ ص٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ج١ ص٣٦

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وكان رسول الله ﷺ يفسر لهم بعض الآيات، كما أخرج مسلم وغيره عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول وهو على المنبر: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ [الأنفال : ٦٠] « ألا إن القوة الرمي »[١].

وقد حرص الصحابة على تلقي القرآن الكريم من رسول الله -ﷺ- وحفظه وفهمه، وكان ذلك شرفا لهم عظيم .

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم عرب امتازوا بالبلاغة وكانوا يتذوقون الأساليب العربية ، ويفهمون ما ينزل على رسول الله ﷺ من الآيات البينات، فإذا أشكل عليهم فهم شيء من القرآن سألوا عنه النبي عليه الصلاة والسلام "كسؤالهم لما نزل قوله تعالى: ﴿ ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ [الأنعام ٨٢]، فقالوا: أينا لم يظلم نفسه! ففسره النبي ﷺ بالشرك، واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان ١٣] [٢].[٣]

فلم تكن الحاجة ملحة إلى التأليف في علوم القرآن الكريم في عهد الرسول ﷺ و لا الصحابة الكرام ؛ لأن النبي هو المرجع لكل مسلم ،والصحابة الكرام كانوا يرجعون له فيما أشكل عليهم من مسائل، ومثال ذلك: لما نزل قوله : ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ [البقرة:]، قال له عدي: « يا رسول الله، إني أجعل تحت وسادتي عقالين: عقالا أبيض وعقالا أسود، أعرف الليل من النهار، فقال رسول الله ﷺ: «إن وسادتك لعريض، إنما هو سواد الليل وبياض النهار»[٤].

ومن الأسباب أيضا -

أن أغلب الصحابة كان أميون لا يعرفون القراءة ولا الكتابة. وهذا فضلا عن قلة أدوات الكتابة في هذا التوقيت وندارتها.

ولا ننسي أيضا منع رسول الله ﷺ عن الكتابة في أول عهده . قفد ثبت عنه ﷺ أنه قال عن أبي سعيد الخدري. ﴿لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه. وحدثوا عني ولا حرج. ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار﴾[٥]، والسبب هو مخافة أن يختلط القرآن بغيره من الكلام.

---

(١)رواه مسلم.
(٢)رواه البخاري ج١ ص٩٥ راجع البرهان في علوم القرآن الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) ج١ ص١٤
(٣) كتاب مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص١٩
(٤)صحيح مسلم في "كتاب الصيام.
(٥)مسلم في صحيحه ٨/ ٢٢٩.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ثم جاء بعد ذلك عهد التدوين للعلوم الشرعية، فبموت الصحابة الكرام خاف المسلمون على السنة والعلوم الشرعية من الضياع والنسيان ، فأمر عمر بن عبد العزيز بتدوين الأحاديث والآثار فانتشر التدوين من نهاية المائة الأولى وبداية الثانية، وكان في هذه المرحلة مقتصرًا على تعلم القرآن والحديث وآثار الصحابة، وكان لسان العرب حينها غضًّا طريًّا فلم يحتاجوا إلى تعلمه.

ومع بداية المائة الثانية بدأت العلوم الشرعية بالتمايز، وبدأت تدخل مواد دراسية جديدة فقد فسدت الألسن وغلبت عليها العجمة واحتاج الناس إلى دراسة لسان العرب ؛ لأنه وعاء علوم الشرع، فبدأوا في تدوين أشعار العرب وأقوالهم وتقعيد قواعد العربية، فصار من اللازم لطالب العلم التمهر في اللغة العربية وقواعدها ليستوعب ما يقرؤوه من القرآن والحديث [1] .

وفي هذا الزمن دونت بعض علوم القرآن الكريم كالقراءات وغريب القرآن والناسخ والمنسوخ وأما التفسير فكان تدوينه حين بدأ تدوين الحديث النبوي، ومر بمراحل قبل أن يكون على ما هو عليه الآن.

فكان التدوين في البداية للتفسير وبعض علومه ، على أنه باب من أبواب الحديث، وممن دونه في هذه المرحلة: يزيد بن هارون السلمي "ت١١٧هـ"، وشعبة بن الحجاج "ت١٦٠هـ" ووكيع بن الجراح "ت١٩٧هـ"، وسفيان بن عيينة "ت١٩٨هـ"، وغيرهم، وكان جمعهم للتفسير بابا من أبواب الحديث، ولم يكن جمعًا مستقلا على سبيل الاستقلال والانفراد.

وكل ما جمعوه ونقلوه لم يصل إلينا شيء منها .

ثم دون التفسير مستقلًا وأصبح علمًا قائمًا بذاته وأشهر من دونه على هذا النحو يحيى بن سلام البصري٢ "ت٢٠٠هـ"، وابن ماجه "ت٢٧٣هـ"، وابن جرير الطبري "ت٣١٠هـ"، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري "ت٣١٨هـ"، وابن أبي حاتم "ت٣٢٧هـ"، وابن حبان "ت٣٦٩هـ"، والحاكم "ت٤٠٥هـ"، وابن مردويه "ت٤١٠هـ"، وغيرهم[2] .

يقول الدكتور محمد فاروق النبهان: وأول العلوم التي نشأت في تاريخ الإسلام هي العلوم التي ارتبطت بالقرآن الكريم، وسميت بعلوم القرآن، وتشمل كل ما يتعلق بالقرآن الكريم نزولا عن طريق الوحي وجمعاً لنصوصه، وتعريفاً بأسباب نزول الآيات، والأحرف التي نزل بها القرآن والرسم العثماني للمصحف، والإعجاز

(١) نشأة العلوم الشرعية وتطورها في حياة المسلمين، أ. محمد المحبوبي.
(٢) راجع التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي: ج١ ص١٤١.

القرآني والنسخ في القرآن، والقصة القرآنية، وكيفية نزول القرآن والمكي والمدني، ويسمى هذا العلم بعلوم القرآن.

أول من ألف في علوم القرآن كتب مستقلة و أبوابا منفردة:

الإمام علي بن المديني شيخ البخاري ألف في أسباب النزول، وهو أبوالحسن علي بنُ عبدِ اللهِ بنِ جعفر بنِ نجيح بنِ بكر بن سعد (١٦١ هـ - ٢٣٤هـ)، وهو من أكابر شيوخ البخاري ومن الأئمة في علم الحديث النبوي.

وأبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ألف في الناسخ والمنسوخ. ولد (١٥٧هـ)، وتوفي سنة: (٢٢٤ هـ) لزم مكة، وتوفي في شهر المحرم ودفن بمكة، وكان عالم لغة وفقيه ومحدث وإمام ومن أئمة الجرح والتعديل.

وألف في غريب القرآن أبو بكر السجستاني ، وهو أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت. ٣٣٠ هـ) صاحب تفسير غريب القرآن المسمّى بـ «نزهة القلوب».

وألف في (إعراب القرآن) علي بن سعيد الحوفي، وهو صاحب كتاب (البرهان في علوم القرآن)، وهو أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي المصري، المتوفى سنة ٤٣٠هـ، غلب عليه الجانب اللغوي، خاصة إعراب القرآن؛ لذا جعله الزركشي من كتب إعراب القرآن.

و مبهمات القرآن: أبو القاسم عبد الرحمن المعروف بالسبيلي، وهو من علماء القرن السادس الهجري.

وعلم المبهمات هو أحد علوم القرآن و يُعنى ببيان ما خفي اسمه أو رسمه أو وصفه أو زمانه أو مكانه، ونحو ذلك مما خفيت آثاره، أو جُهِلت أحوالُه لسبب من الأسباب الجلية أو الخفية، سواءً احتاج المكلفون إلى معرفته، بالبحث عن الوسائل التي تزيل خفاءه، وتدفع إشكاله، أم لم يحتاجوا إلى ذلك[1]

وفي القراءات: علم الدين السخاوي، وهو من علماء القرن السابع الهجري.

كذلك في (مجاز القرآن) ابن عبد السلام. وهو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السُّلَمي الشافعي (٥٧٧هـ/ - ٦٦٠هـ/) الملقب بسلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام،

---

[1] تأليف مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، الجزء الأول، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص ٦٠٨.

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ومعنى مجاز القرآن: هو اللفظ المستعمل في غير موضوعه الأصلي على وجه يصح، مثل قوله تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ}، وهذا مجاز، لأنه استعمال اللفظ في غير موضوعه([1]) وهكذا عدد كبير من أهل العلم والفضل.

أول من ألف في علوم القران كتاباً مستقلا، وجمع فيه جميع أبوابه :

يعتبر أول من ألف ودون في علوم القرآن، الإمام علي بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي المتوفى سنة (٣٣٠ هـ) كتاب البرهان في علوم القرآن. و يقع في ثلاثين مجلدا والموجود منه الآن خمسة عشر مجلدا غير مرتبة ووجد في دار الكتب المصرية.

ثم تبعه ابن الجوزي سنة ٥٩٧ هجرية في كتابه "فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن" ، ثم جاء بدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هجرية وألف كتابا وافيا سماه "البرهان في علوم القرآن" ، ثم أضاف إليه بعض الزيادات جلال الدين البلقيني المتوفى سنة ٨٢٤ هجرية في كتابه "مواقع العلوم من مواقع النجوم". ثم ألف جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هجرية كتابه المشهور "الإتقان في علوم القرآن".

يقول الشيخ مناع القطان: ولم يكن نصيب علوم القرآن من التأليف في عصر النهضة الحديثة أقل من العلوم الأخرى. فقد اتجه المتصلون بحركة الفكر الإسلامي اتجاها سديدا في معالجة الموضوعات القرآنية بأسلوب العصر، مثل كتاب "إعجاز القرآن" لمصطفى صادق الرافعي، وكتابي "التصوير الفني في القرآن" و"مشاهد القيامة في القرآن" للشهيد سيد قطب. و"ترجمة القرآن" للشيخ محمد مصطفى المراغي، وبحث فيها لمحب الدين الخطيب، و"مسألة ترجمة القرآن" لمصطفى صبري، و"النبأ العظيم" للدكتور محمد عبد الله دراز، ومقدمة تفسير "محاسن التأويل" لمحمد جمال الدين القاسمي.

وألف الشيخ طاهر الجزائري كتابا سماه "التبيان في علوم القرآن".

وألف الشيخ محمد علي سلامة كتابه "منهج الفرقان في علوم القرآن" تناول فيه المباحث المقررة بكلية أصول الدين بمصر تخصص الدعوة والإرشاد.

وتلاه الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني فألف كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن".

([1]) راجع النملة، عبد الكريم بن علي بن محمد. "كتاب المهذب في علم أصول الفقه المقارن -مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. ص. ١١١٦.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ثم الشيخ أحمد أحمد علي في "مذكرة علوم القرآن" التي ألقاها على طلابه بالكلية، قسم إجازة الدعوة والإرشاد.

و"مباحث في علوم القرآن" للدكتور صبحي الصالح.

وللأستاذ أحمد محمد جمال، أبحاث "على مائدة القرآن".

هذه المباحث جميعها هي التي تعرف بعلوم القرآن، حتى صارت علما على العلم المعروف بهذا الاسم[1].

ومن المؤلفات المعاصرة في علوم القرآن. التي ننصح بها طلاب العلم الشرعي بدراستها ، لما لها من فوائد طيبة:

التبيان في علوم القرآن، لطاهر الجزائري.

منهج الفرقان في علوم القرآن، لمحمد علي سلامة..

مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان.

وإتقان البرهان في علوم القرآن، لفضل حسن عباس.

والواضح في علوم القرآن، لمصطفى ديب البغا.

ومباحث في علوم القرآن، لمساعد الطيار..

وكتاب مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح.

والموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر

وغير ذلك من المؤلفات النافعة.

(١)راجع مباحث في علوم القرآن ص١١.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فصل: القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، والكلام صفة من صفاته تعالى.

و الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الله تعالى يتكلم بكلام حقيقي، كيفما شاء ومتى شاء ولم يزل متكلمًا، وأن كلامه بحرف وصوت مسموع؛ يسمعه من شاء من عباده كما سمعه موسى عليه السلام وغيره من المخلوقين ، فالكلام صفة ذاتية فِعْلية. وكلامه بحرف وصوت، لا يماثل أصوات المخلوقين

والأدلة على صفة الكلام كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تُخرِج من أمتك بعثًا إلى النار))[1].

وفي سنن أبي داود والترمذي أن النبي ﷺ قال: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب، قال: وما أكتب يا رب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة. صححه الألباني.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى: وأما أهل السنة وأئمة السنة وكثير من أهل الكلام كالهاشمية والكرامية وأصحاب أبي معاذ التومني وزهير اليامي وطوائف غير هؤلاء يقولون: إنه صفة ذات وفعل هو يتكلم بمشيئته وقدرته كلامًا قائمًا بذاته، وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم، فكل من وصف بالكلام من الملائكة والبشر والجن وغيرهم فكلامهم لابد أن يقوم بأنفسهم، وهم يتكلمون بمشيئتهم وقدرتهم، والكلام صفة كمال لا صفة نقص، ومن تكلم بمشيئته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته، فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق[2].

---

(١) البخاري ومسلم

(٢): مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ج٦ ص٢١٩

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

كلام الله تعالى هل هو كلام حقيقي أم كلام نفسي؟

فهل يراد بكلام الله تعالى الكلام النفسي أم يراد به الكلام اللفظي الحقيقي؟

فالصحيح أن القرآن كلام الله حقيقة وأن الله تعالى يتكلم بكلام حقيقي مسموع بحرف وصوت،وليس كلاما نفسيًّا مجازيا كما ذهب بعض أهل العلم من الأشاعرة وغيرهم.

فالمتكلمون من الأشاعرة وغيرهم كالكلابية يطلقون كلام الله على الكلام النفسي فقط، ويقرّرون أنه كلام قديم غير مخلوق، فيجب تنزيهه عن الحوادث وأعراض الحوادث، وتجرّده عن الحروفِ اللفظيةِ المتعاقبةِ المستلزمةِ لتجدّد الزمانِ والحدوثِ، ولقد اهتم الأصوليون والفقهاء بإطلاق القرآن على الكلام اللفظي؛ لأن غرضهم الاستدلال على الأحكام، وهو لا يكون إلا بألفاظ، وكذلك علماء اللغة العربية يهتمون بالكلام اللفظي؛ لأن عنايتهم بالإعجاز، وطريقة الألفاظ".([1])

وقول علماء الأشاعرة رحمهم الله ومن وافقهم ، رد عليهم علماء أهل السنة فقالوا لو قلنا " أن كلام الله معنى واحد قائم بالنفس، يستوي فيه الأمر والنهي والخبر والإنشاء، فمعنى هذا أن :قل هو الله أحد هي بعينها :تبت يدا أبي لهب وتب ، وهي ايضا ولا تقربوا الزنا وهي ايضا يسألونك عن المحيض.

ثم قال الأشاعرة : إن عُبر عن القرآن بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة.

ويلزم من هذا أن ما في القرآن من المعاني هو ما في التوراة والإنجيل، وهذا غير صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: جمهور العقلاء يقولون: إن فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام، نحن إذا عربنا التوراة والإنجيل لم يكن معناهما معنى القرآن، بل معاني هذا ليست معاني هذا، وكذلك ﴿قل هو الله أحد﴾ ليس هو معنى ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ ولا معنى آية الكرسي ولا آية الدين[2] . انتهى .

---

[1] مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف : محمد عبد العظيم الزرقاني

[2] من. : مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ج٦ ص٢١٩

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والأشاعرة أيضا يختلفون في المعبر من هو؟ فمنهم من يقول: المعبر هو جبريل، ومنهم من يقول: المعبر هو محمد ﷺ، وهذا مشابهة لمن قال عن القرآن، إنه قول البشر.

وهذا مخالف الكتاب والسنة وأهل اللغة والعرف، أما الكتاب فإن الله تعالى قال لزكريا: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً*فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾ [مريم : ١٠-١١]، فلم يسم إشارته إليهم كلامًا، وقال لمريم: ﴿ فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾ [مريم:٢٦]. فالحجة فيه مثل الحجة في الأول.

وأما السنة فإن النبي ﷺ قال: «إن الله عفا لأمتي عما حدثت به نفسها ما لم تتكلم أو تعمل به»[١]، و عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لي عن أُمَّتي ما وسْوَسَتْ به صُدُورُهَا، ما لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ.: صحيح البخاري

ولم يرد بذلك ما في النفس، وأما أهل اللسان فإنهم اتفقوا عن آخرهم على أن الكلام: اسم وفعل وحرف.

واتفق الفقهاء بأجمعهم على أن من حلف ألا يتكلم فحدث نفسه بشيء دون أن ينطق بلسانه لم يحنث، ولو نطق وتكلم حنث، وأهل العرف كلهم يسمون الناطق متكلماً وما عداه يسمي ساكتاً أو أخرس.

ومن خالف كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع الناس كلهم على اختلاف طبقاتهم فلا يعتد بخلافه. [٢].

حكم وصف القرآن بأنه كلام الله القديم أو وصف القرآن بالقدم:

قال العلماء: وصف كلام الله تعالى بأنه قديم، يراد به معنيان: المعنى الأول : أنه غير مخلوق ، وأن جنس الكلام في حق الله تعالى قديم وأنه تعالى لم يزل متكلمًا متى شاء، وكيف شاء، ويكلم من عباده من شاء ، وهذا حق، وهذا هو مأخذ من أطلق "القِدَم" في حق القرآن، أو في حق كلام الله تعالى عامة من أهل السنة ، ومن هؤلاء أبو القاسم اللالكائي، قال: " سياق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، مما يدل على أن القرآن من صفات الله القديمة "[٣] ، ثم قال: " ما روي من إجماع الصحابة على أن القرآن غير مخلوق"[٤].

---

(١) . صحيح البخاري رقم ٢٥٢٨

(٢)راجع موقع إسلام ويب بتصرف رقم الفتوى: ١٩٣٩٠ والإمام ابن قدامة -رحمه الله- في روضة الناظر

(٣) أبو القاسم اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (٢/٢٢٤) (٢/٢٢٤).

(٤)أبو القاسم اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (٢/٢٢٧).

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وممن أطلق ذلك أيضا الإمام ابن قدامة -رحمه الله- في لمعة الاعتقاد، قال: "ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه ، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة ، وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء : ١٦٤]، وقال سبحانه: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف : ١٤٤]، وقال سبحانه: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾[البقرة: ٢٥٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[الشورى : ٥١]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[طه: ١١-١٢]"[١].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء "، روى ذلك عن النبي ﷺ وروى عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ أنه قال: «يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان» ، رواه الأئمة واستشهد به البخاري.

وفي بعض الآثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته ففزع منها فناداه ربه: يا موسى، فأجاب سريعا استئناسا بالصوت، فقال لبيك لبيك، أسمع صوتك ولا أرى مكانك، فأين أنت؟ فقال: " أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك "، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى. قال كذلك أنت يا إلهي، أفكلامك أسمع، أم كلام رسولك؟ قال: " بل كلامي يا موسى [٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكلام الله : تكلم الله به بنفسه ، تكلم به باختياره وقدرته ، ليس مخلوقا بائنا عنه، بل هو قائم بذاته ، مع أنه تكلم به بقدرته ومشيئته ، ليس قائما بدون قدرته ومشيئته .

والسلف قالوا: لم يزل الله تعالى متكلما إذا شاء؛ فإذا قيل: كلام الله قديم، بمعنى: أنه لم يصر متكلمًا بعد أن لم يكن متكلما، ولا كلامه مخلوقًا، ولا معنى واحد قديم قائم بذاته، بل لم يزل متكلما إذا شاء فهذا كلام صحيح .

ولم يقل أحد من السلف: إن نفس الكلام المعين قديم. وكانوا يقولون: القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود .

---

[١] ابن قدامة، لمعة الاعتقاد .ص ١٦

[٢] كتاب شرح لمعة الاعتقاد - يوسف الغفيص ج٧ ص٤

ولم يقل أحد منهم : إن القرآن قديم ، ولا قالوا : إن كلامه معنى واحد قائم بذاته ، ولا قالوا : إن حروف القرآن أو حروفه وأصواته قديمة أزلية قائمة بذات الله ، وإن كان جنس الحروف لم يزل الله متكلما بها إذا شاء ؛ بل قالوا : إن حروف القرآن غير مخلوقة وأنكروا على من قال : إن الله خلق الحروف " [1] . انتهى.

والمعنى الثاني لمعني أن القرآن قديم: أن القرآن معنى، أو معنى وحروف، تكلم الله بها في الأزل، ثم لم يتكلم بعدها ، وهذا من أخطاء الأشاعرة، ومن وافقهم من أهل الكلام، التي أرادوا بها الخروج من بدعة المعتزلة والجهمية القائلين بخلق القرآن، فمن قال في القرآن، أو غيره من صفات الله تعالى وأفعاله الاختيارية: إنه قديم، وأراد ذلك فمراده باطل، ثم إن اللفظ الذي أطلقه مجمل غير مأثور [2]. والله تعالى أعلم[3] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله" فمن قال : القرآن قديم ، أو كلام الله قديم ، وأراد المعنى الأول : أن القرآن ، وسائر كلام الله تعالى ، منزل من عنده غير مخلوق ، ومع ذلك فهو متعلق بمشيئته واختياره، فمراده صحيح ، وإن كان الأولى والأسلم في ذلك أن يقتصر على الألفاظ الواردة عن السلف ، السالمة من الإجمال واحتمال المعاني الباطلة .

وإن أراد المعنى الثاني ونفى أن يتعلق كلام الله تعالى بمشيئته واختياره ، فمراده باطل ، واللفظ الذي أطلقه . أيضا . مبتدع .([4])

فصل: ويقال قرآن علي كله أو بعضه:

يصح أن يقال لمن قرأ جزء من القرآن أو آية من آياته أنه قرأ القرآن لقوله تعالى ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾[الأعراف:]، أي قرأ شيئا من القرآن ، وهو ما يفهم من كلام الفقهاء إذ قالوا مثلا: يحرم قراءة القرآن على الجنب فإنهم يقصدون حرمة قراءته كله أو بعضه على السواء.

(١)من مجموع الفتاوى (١٢/٥٦٦-٥٦٧) .
(٢)منهاج السنة النبوية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٥/٤١٩-٤٢١).
[3] راجع كتاب موقع الإسلام سؤال وجواب الشيخ محمد صالح المنجد بتصرف. ج١ ص ٧٢٦
(٤) منهاج السنة النبوية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٥/٤١٩-٤٢١) .

سبب تسمية القرآن الكريم قرآن:

القرآن لغة: مصدر قرأ، وقرأ تأتي بمعنى الجمع والضم، وسمي القرآن بذلك: لأنه يجمع السور ويضمها، ويجمع القصص، والأوامر والنواهي والأحكام والمواعظ والأمثال

يُقال: «قرأت الماء في الحوض» أي جمعته

ويقال أن القرآن الكريم سمي قرآنا لكونه جامعا لثمرة وفوائد وعلوم جميع كتب السابقة، وشاملا لجميع العلوم وملما بكل ما يحتاجه الإنسان قال تعالى: ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ﴾ [سورة النحل- ٨٩]، وقوله: ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾[سورة الأنعام- ٣٨]

الفصـــل الرابع

(أسماء القرآن وأوصافه)

قد سمى الله تعالى القرآن بأسماء كثيرة:

منها القرآن قال تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾[البروج: ٢١]، وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]،

وسماه الله تعالى أيضا

الفرقان: قال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[الفرقان: ١] سمي بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام.

وسماه الكتاب:﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة: ٢].

وسماه الذكر، وهو التذكرة والشرف ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[الزخرف: ٤٤] أي وإن القرآن لشرف لك ولقومك.

وسماه التنزيل، ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ﴾[الشعراء ١٩٢]،

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ومن أوصافه : أنه نور وهدى ورحمة وشفاء وموعظة وعزيز ومبارك وبشير ونذير إلى غير ذلك من الأوصاف التي تشعر بعظمته وقدسيته .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس: ٥٧]. ومنها قوله تعالي ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا ﴾ [النساء ١٧٤] .

قال العلماء: القرآن له خمسة وخمسون اسما، يقول صاحب التبيان في آداب حملة القرآن النووي، ذكر للقرآن نيفا وتسعين، وذكر الزمخشري في تفسيره للقرآن اثنين وثلاثين اسمًا[١]، عدّها بعضهم سبعة وأربعين اسمًا[٢]، وقال القاضي أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك: «أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسمً وصنف الحرالي جزءًا وأنهى أساميه إلى نيف وتسعين[٣] .

أول اسم أطلق على كتاب الله، اسم القرآن حيث أطلق على كتاب الله -تعالى-، وهو أشهرها، وهو في أصل وضعه مرادف لمعنى القراءة، ثم تغيّر معناه المصدري ليصبح اسم علم لكتاب الله -تعالى- المنزل على خاتم أنبيائه ورسله[٤]

من خصائص القرآن الكريم :

للقرآن الكريم خصائص عديدة جعلته أفضل وأهمّ الكتب السماويّة وخاتمها، وبيان هذه الخصائص فيما يأتي:

١- محفوظ في الصدور: يختصّ القرآن الكريم بالتعهّد بحفظه من قبل الله -تعالى-، وقد أوكل إلى المسلمين أمانة حفظ جميعه، بحيث يحصل التواتر بحفظ عدد كبير من المسلمين له، وتقع الأمة الإسلامية بالإثم إذا تخلّفت عن أمانة حفظه.

٢- مشتمل على الحق المطلق: فالقرآن الكريم يشتمل علي الحق المطلق، الذي لا شك فيه، ولا ريب، يقول الله -تعالى- واصفاً كتابه العزيز: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ..]، فكتاب الله -تعالى- حقّ لا باطل فيه، وصدق لا كذب فيه، وجميع ما تضمّنه صدق وحقّ، سواءٌ كان من قصص الأقوام الماضين، أو أحوال الناس

(١)جمال القراء وكمال الإقراء - علم الدين السخاوي - ج١ ص١٦١]
(٢)الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - ج١ ص٥٨.
(٣)راجع البرهان في علوم القرآن الزركشي.
(٤)مصطفى البغا ، الواضح في علوم القرآن.

قال تعالى
﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾]سورة فصلت ٤٢

٣- شفيعا لأهله: يأتي القرآن الكريم يوم القيامة شافعًا لأصحابه؛ فعن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتِي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ» (١).

٤- حفظ الله له:قال تعالى﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر٩)

٥- القرآن شفاء القلوب والأبدان: قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

٦- القرآن مهيمن على الكتب السابقة، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

٧- القرآن لا يعتريه التحريف والتبديل؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. بخلاق بقية الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل.

٨- تيسيره للحفاظ والقارئين: يسّر الله -تعالى- كتابه على عباده المؤمنين؛ حتى يشتغلوا بحفظه، وتلاوته، وتدبّر آياته، ويقول الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى- معلّقًا على قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[القمر: ١٨] إنّ القرآن محفوظ في صدور المسلمين، ميسّر التلاوة على ألسنة القارئين، ذو سيطرة على قلوب المؤمنين، وهو معجز بلفظه ومعناه(٢).

قوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا الظَّالِمُونَ﴾ (العنكبوت٤٩)

٩- شمل كل العلوم وكل ما يحتاجه الناس: قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ النحل ٨٩

عن ابن عباس: ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم، وقال ابن مسعود : قد بين لنا في هذا القرآن كل علم ، وكل شيء

(١) صحيح مسلم، عن أبو أمامة الباهلي.
(٢)راجع عبد الرب نواب الدين كيف تحفظ القرآن الكريم

القرآن والحديث النبوي والحديث القدسي

الحديث القدسي

ويقال الأحاديث القدسية والأحاديث الإلهية أو الربانية والكل يرجع إلى الله عز وجل.

والحديث القدسي: مأخوذ من التقديس، بمعنى: التعظيم، لأن الكلمة تدل على التنزيه والتطهير في اللغة، فالتقديس: تنزيه الله تعالى،: قال الله تعالى على لسان ملائكته: ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾[البقرة ٣٠].

والحديث القدسي في الاصطلاح:

هو ما يرويه النبي -ﷺ- عن ربه تعالى، فيقال، قال رسول الله -ﷺ- فيما يرويه عن ربه عز وجل، أو يقول: "قال رسول الله، ﷺ: قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى.

مثال: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله -ﷺ- فيما يرويه عن ربه عز وجل: « قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: أنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ. وقالَ: يَدُ اللَّهِ مَلْأَى، لا تَغِيضُها نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ والنَّهارَ. وقالَ: أرَأَيْتُمْ ما أنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّماءَ والأرْضَ؟! فإنَّه لَمْ يَغِضْ ما في يَدِهِ، وكانَ عَرْشُهُ علَى الماءِ، وبِيَدِهِ المِيزانُ يَخْفِضُ ويَرْفَعُ»[(١)] .

ومثال: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -ﷺ- قال: «يقولُ اللَّهُ تَعالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[(٢)] .

ومن المؤلفات في الأحاديث القدسية، كتاب: الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية لعبد الرؤوف المناوي جمع فيه ٢٧٢ حديثًا.

وكتاب: الجامع في الأحاديث القدسية لعبد السلام علوش، وكتاب: الجواهر السنية في الأحاديث القدسية تأليف: محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي. وكتاب: التحفة السنية في الاحاديث القدسية تأليف: عبد الوهاب إسماعيل. وكتاب: الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية تأليف: محمد المدني.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).
(٢) صحيح البخاري. مسلم.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وكتاب: الأحاديث القدسية الأربعينية تأليف: الملا علي قاري. وكتاب: الأحاديث القدسية تأليف: لجنة القرآن والسنة. وكتاب: جامع الأحاديث القدسية موسوعة جامعة مشروحة ومحققة"، يقع في ثلاثة مجلداتٍ كبار، مرتب على الأبواب والموضوعات، اشتمل على (١١٥٠) حديثا مخرجا ومحققا مجموعة من أكثر كتب السنة والآثار ، مع بيان الحكم على الحديث ، وشرح غريب الكلمات ، ونقل شيء من تعليقات أهل العلم . لعصام الدين الصبابطي.

ثالثًا: الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

١- أن القرآن الكريم تحدى الله به العرب، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، ولا يزال التحدي به قائم الي قيام الساعة، والحديث القدسي لم يقع به التحدي والإعجاز.

٢- والقرآن الكريم ينسب إلى الله تعالى، مباشرة بدون إضافة إلى النبي يقال قال الله تعالى، والحديث القدسي يروى مضافا إلى رسول الله -ﷺ- فيقال: قال رسول الله فيما يرويه عن رب العزة تعالى.

٣- والقرآن الكريم جميعه منقول بالتواتر، فهو قطعي الثبوت، والأحاديث القدسية ليست كذلك فأكثرها احاديث آحاد، فهي ظنية الثبوت، ومنها المتواتر، ومن الأحاديث القدسية المتواترة: يقول اللهُ عز وجل: «من أذهبتُ حبيبتَيه فصبر واحتسَب، لم أرضَ له ثوابًا دونَ الجنةِ»[١]، وقد يكون الحديث القدسي صحيحًا، وقد يكون حسنًا، وقد يكون ضعيفًا[٢]، ومن الكتب المؤلفة في الأحاديث المتواترة.

٤- والقرآن الكريم اللفظ والمعنى من عند الله تعالى ، فهو وحي باللفظ والمعنى، والحديث القدسي معناه من عند الله، ولفظه من عند الرسول -صلى الله عليه وسلم- على الصحيح فهو وحي بالمعنى دون اللفظ، وذهب بعض العلماء إلى أن الحديث القدسي كلام الله لفظًا ومعنًى، لكنه يختلف عن القرآن: فله أحكام خاصة تختلف عن أحكام القرآن.

٥- والقرآن الكريم متعبد بتلاوته، فلا تصح الصلاة إلا به: ﴿فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾ [المزمل: ٢٠]، والحرف بعشرة حسنات «من قرأ حرفا من كتاب الله

---

(١) عن : أبي هريرة حسن صحيح أخرجه الترمذي ، والنسائي في السنن الكبرى، وأحمد، رواه أربعة عشر صحابيا.

(٢) كتاب: نظم المتناثر في الحديث المتواتر ص ٧٧ لمحمد بن جعفر الكتاني.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول "ألم" حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» [١].

٦- الحديث القدسي لا تصح قراءته في الصلاة، ويثاب قارئه ولكن ليس كثواب قارئ القرآن.

٧- القرآن الكريم لا تجوز روايته بالمعنى لأن روايته بالمعنى تحريف وتبديل لكلماته وخروجه عن الاعجاز الحديث القدسي تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين.

٨- القرآن الكريم لا يجوز للجنب حمل القرآن ولمس المصحف، ويجوز للجنب حمل الحديث القدسي ومس الكتاب الذي يحتويه.

٩- أن الله تكفل بحفظ القرآن، فقال: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} وحفظه من الضياع . فلا يضيع حرف من حروفه حتى يأتي أمر الله، بخلاف الحديث القدسي، فإنه قد يبدل لفظ من ألفاظه، أو ينسى بعضه بمرور الزمان، وذهاب الحافظين.

١٠. القرآن الكريم من أنكر لفظا من ألفاظ القرآن الكريم كفر؛ لأنه متواتر قطعي في ثبوته بخلاف الحديث القدسي، فإنه من أنكر شيئا منه لم يعلم من الدين بالضرورة لا يكفر

١١- القرآن نزل علي سبعة أحرف أما الأحاديث القدسية ليس كذلك

الفارق بين الحديث القدسي والحديث النبوي:

الحديث النبوي: الحديث في اللغة: ضد القديم، والحديث في الاصطلاح: ما أضيف إلى النبي -ﷺ- من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، فالقول: كقوله: ﷺ: « إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى »[٢]، والفعل: كالذي ثبت من تعليمه لأصحابه كيفية الصلاة ثم قال: " «صلوا كما رأيتموني أصلي» [٣]، وما ثبت في حج رسول الله ﷺ فقد قال: " «خذوا عني مناسككم»، جابر بن عبدالله قال «رَأَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَرْمِي علَى رَاحِلَتِهِ يَومَ النَّحْرِ، ويقولُ: لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فإنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِه» [٤]، والإقرار: كأن

(١)رواه الترمذي عن ابن مسعود وقال: حديث حسن صحيح
(٢)رواه البخاري ومسلم .
(٣)رواه البخاري.
(٤)رواه مسلم

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يقر أمرا علمه عن أحد الصحابة من قول أو فعل. سواء أكان ذلك في حضرته -ﷺ- أما في غيبته ثم بلغه.

ومن أمثلته: "أكل الضب على مائدته، ﷺ، فعن عبدالله بن عباس، قال: « أَهْدَتْ خَالَتِي إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ضِبَابًا وأَقِطًا ولَبَنًا، فَوُضِعَ الضَّبُّ علَى مَائِدَتِهِ، فلوْ كانَ حَرَامًا لَمْ يُوضَعْ، وشَرِبَ اللَّبَنَ، وأَكَلَ الأقِطَ »[1]، وما روي من أن رسول الله -ﷺ- بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿قل هو الله أحد﴾، فعن عائشة أم المؤمنين « أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا علَى سَرِيَّةٍ، وكانَ يَقْرَأُ لأصْحَابِهِ في صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بقُلْ هو اللَّهُ أحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذلكَ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: سَلُوهُ لأيِّ شيءٍ يَصْنَعُ ذلكَ؟، فَسَألُوهُ، فَقالَ: لأنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وأَنَا أُحِبُّ أنْ أقْرَأَ بهَا، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أخْبِرُوهُ أنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»[2].

والصفة: كما روي: "من أنه -ﷺ- كثير التبسم حسن الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ... ".

الحديث النبوي قسمان:

الأول (قسم توقيفي) وهو الذي تلقى الرسول -ﷺ- مضمونه من الوحي فبينه للناس بكلامه، كالعبادات والتكليفات. الثاني: (قسم توفيقي)، وهو الذي فهمه الرسول -ﷺ- من فهمه للقرآن، أو استنبطه بالتأمل والاجتهاد فيقره الوحي إذا كان صوابا، ويبين له أن كان خطأ، مثاله ما كان في أسرى بدر، فإن رسول الله -ﷺ- أخذ برأي أبي بكر وقبل منهم الفداء، فنزل القرآن الكريم معاتبا له: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾[الأنفال: ٦٧]، والصلاة على المنافقين وغيرها. واستغفاره لعمه أبو طالب ، وتحريم العسل علي نفسه. وهكذا

أما الحديث القدسي فمن عند الله تعالى، ويكون في الغالب مواعظ وأداب وغير مشتمل علي أحكام.

(١) صحيح البخاري.
(٢) صحيح البخاري.

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصـل الخامس

وحي القرآن الكريم

معنى الوحي:

جاءت كلمة الوحي في أكثر من سبعين مرة في القرآن الكريم، بألفاظ مختلفة «أوحى»، «أوحيت»، «أوحينا»، «يوحي»، «نوحيه»، «نوحيها»، «ليوحون»، «أوحي»، «وحي»، «وحيه»، «وحينا.([1])

والوحي يدل، على معاني منها: الخفاء والسرعة، والإلهام، والاعلام والأمر والاخبار والإلهام هو توجيه خفي لا يدرك مصدره، و: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره.

جاء الوحي في القرآن الكريم بعدة معاني:

١- الإلهام الفطري للإنسان، كالوحي إلى أم موسى ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ [القصص الآية: ٧]، واختلف العلماء في كيفية الوحي لها فمنهم من قال كان بالمنام ومنهم من قال : قذف في نفسها " ومنهم من قال بواسطة ملك، وفي هذه الآية توجيه رباني مقترن بأوامر وتعليمات، ولا بد أن أم موسى أدركت مصدر هذا الإلهام، وعرفت أنه من الله، ولهذا نفذت ما أمرت به واطمأنت، ولولا ذلك لما نفذت هذا الأمر الذي لا يمكن لأم أن تفعله، وكيف يمكن لأم أن تلقي وليدها في اليم لمجرد خاطر عابر لا تعرف مصدره[٢] .

٢- الإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النحل ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾[النحل: ٦٨].

٣- معنى الإشارة الظاهرة التي تعطي معنى الأمر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴾ [مريم: ١١]

٤- ووسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾[الأنعام: ١٢١]، ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ [الأنعام: ١١٢] .

---

(١) راجع المدخل إلى علوم القرآن محمد النبهان
(٢)راجع المدخل إلى علوم القرآن محمد النبهان

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

نزول الوحي علي الأنبياء والرسل

ومعنى وحي الله إلى أنبيائه: هو إعلام الله تعالى من يصطفيه ويختاره من عباده الرسل والأنبياء ،من تشريعات وأحكام التى فيها الهداية والرشاد بطريقة خفية سريعة.

و وحي الله إلى ملائكته:

يكون بمعنى الإخبار والأمر والتكليف ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها﴾[البقرة: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾[الأنفال: ١٢].

كيفية تلقي الملائكة الأمر من الله تعالى:

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، أخذت السموات منه رجفة -أو قال: رعدة- شديدة خوفا من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: "قال الحق وهو العلي الكبير" فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينت هي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل»[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ فِي السَّمَاءِ أَمْرًا ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهَا سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ فَ ﴿إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ قَالَ: وَالشَّيَاطِينُ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ»[(٢)].

كيفية وحي الله إلى جبريل بالقرآن:

تعددت الأقوال في هذا الأمر فمنهم من قال أن جبريل أخذه سماعا من الله بلفظه ومعناه. ولا دخل لجبريل فيه إلا البلاغ.

٢_ ومنهم من قال: إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، وهذا لا يصح لأن الله كتب في اللوح المحفوظ القرآن وغيره وما هو كائن الي يوم القيامة، قال

---

(١) راجع عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥/ ١٥٢) و السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة للألباني (١/ ٢٢٧)

(٢) الترمذي قال حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير، لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾[الحديد ٢٢].

٣- أن الله تعالي ألقى إلي جبريل المعنى - والألفاظ لجبريل، أو لمحمد، صلى الله عليه وسلم، وهذا غير صحيح ، فمعنى هذا أن الكلام كلام بشر وليس كلام الله تعالى، هذا القول ممكن ينطبق علي الحديث القدسي والحديث النبوي .

والرأي الأول هو الصواب، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة، لقوله تعالى: ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾[النمل ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[يونس: ١٥].

كيفية نزول الوحي إلى الرسل

لقد أوحى الله تعالى إلى الأنبياء والمرسلين برسائل وتشريعات وأحكام فيها الهدى والنور ، فقال تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما﴾[النساء ١٦٣]

ووحي الله تعالى لرسله يكون بواسطة جبريل ملك الوحي عليه السلام، ويكون بغير واسطة جبريل عليه السلام

وأمثل ذلك:

١ _ الوحي المباشر من وراء حجاب بدون واسطة جبريل ملك الوحي عليه السلام، ويكون في اليقظة، قال تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾[الشورى: ٥١]، كما حدث مع موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك﴾[الأعراف ١٤٣]، وقوله تعالى : ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾[النساء ١٦٤]،

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وحدث مع النبي ليلة الإسراء حين فرض الله عليه الصلاة من خمسين صلاة إلى خمس صلوات: حين قال له موسي عليه السلام «راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك»[١]، فقد ثبت أن الله كلم الرسول -ﷺ- ليلة الإسراء

فعن أَنَسُ بنُ مالِكٍ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: « فَرَضَ اللَّهُ علَى أُمَّتي خَمْسِينَ صَلاةً، قالَ: فَرَجَعْتُ بذلكَ حتَّى أمُرَّ بمُوسَى، فقالَ مُوسَى عليه السَّلامُ: ماذا فَرَضَ رَبُّكَ علَى أُمَّتِكَ؟ قالَ: قُلتُ: فَرَضَ عليهم خَمْسِينَ صَلاةً، قالَ لي مُوسَى عليه السَّلامُ: فَراجِعْ رَبَّكَ، فإنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذلكَ، قالَ: فَراجَعْتُ رَبِّي، فَوَضَعَ شَطْرَها، قالَ: فَرَجَعْتُ إلى مُوسَى عليه السَّلامُ، فأخْبَرْتُهُ قالَ: راجِعْ رَبَّكَ، فإنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذلكَ، قالَ: فَراجَعْتُ رَبِّي، فقالَ: هي خَمْسٌ وهي خَمْسُونَ لا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، قالَ: فَرَجَعْتُ إلى مُوسَى، فقالَ: راجِعْ رَبَّكَ، فَقُلتُ: قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِن رَبِّي، قالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بي جِبْرِيلُ حتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ المُنْتَهَى فَغَشِيَها ألْوانٌ لا أدْرِي ما هي؟ قالَ: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فإذا فيها جَنابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وإذا تُرابُها المِسْكُ»[٢].

٢_ الرؤيا الصالحة في المنام: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: « أول ما بدئ به -ﷺ- الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»[٣]

وهذا النوع لا يكون في القرآن الكريم لأن القرآن نزل جميعه في اليقظة بإجماع المسلمين، وليس صحيحا من ادعى نزول سورة "الكوثر" مناما للحديث الوارد فيها.

ففي صحيح مسلم عن أنس، رضي الله عنه: «بينما رسول الله -ﷺ- ذات يوم بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقلت: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: "نزلت علي آنفا سورة"، فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر﴾ سورة الكوثر»[٤]، والإغفاء هذه هي الحالة التي كانت تعتريه عند الوحي. وليس معناه النوم كما يدعي أهل الأهواء، ومما يدل على أن الرؤيا الصالحة للأنبياء في المنام وحي يجب اتباعه.

---

(١)البخاري ومسلم
(٢)رواه مسلم.
(٣)متفق عليه.
(٤)رواه مسلم

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وكما جاء في قصة إبراهيم من رؤيا ذبح ولده إسماعيل ﷺ: ﴿فبشرناه بغلام حليم، فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم، قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم، وتركنا عليه في الآخرين، سلام على إبراهيم، كذلك نجزي المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين، وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين﴾ [سورة الصافات] .

ولو لم تكن الرؤيا من عند الله تعالى وحيا يجب اتباعها ما أقدم إبراهيم عليه السلام على ذبح ولده الوحيد الذي رزقه الله إياه وهو في هذا السن الكبير.

ومنها: رؤيا النبى ﷺ أنه يدخل المسجد الحرام، حيث قال تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾[الفتح: ٢٧].

وعن معاذ بن جبل قال: «احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس، فخرج رسول الله ﷺ سريعا، فثوب بالصلاة وصلى وتجوز في صلاته فلما سلم. قال: «كما أنتم على مصافكم كما أنتم» ثم أقبل إلينا. فقال: « إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة إني قمت من الليل، فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت، فإذا أنا بربي في أحسن صورة»، فقال: « يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟» قلت: «لا أدري يا رب» قال: «يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟» قلت: «لا أدري رب»، قال: «يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟» قلت: «لا أدري يا رب»، فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال: «يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟» قلت: في الكفارات، قال: «وما الكفارات؟» قلت: «نقل الأقدام إلى الجمعات، وجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء عند الكريهات»، قال: «وما الدرجات؟» قلت: «إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام»، قال: سل، قلت: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك»، وقال رسول الله ﷺ: «إنها حق فادرسوها وتعلموها» (١).

(١)مسند أحمد.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وتكون الرؤيا بشرى للمؤمنين في صحيح البخاري: " «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»[1].

٣_ إلقاء الأشياء في صدره ﷺ فعن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ «وإن الروح الأمين نفث في روعي (قلبي) أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته» [2].

شدة الوحي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

قال تعالى: ﴿إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾[المزمل: ٥]، وأخرج أحمد وابن جرير وغيرهما عن عائشة أيضا: «أن النبي ﷺ كان إذا أوحي إليه، وهو على ناقته، وضعت جرانها-يعني صدرها-على الأرض، فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه» [3]، أي: الوحي.

وعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول

---

(١) رواه البخاري.
(٢) صحيح الجامع.
(٣) صحيح الجامع.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أومخرجي هم؟! قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي»[1].

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ - أي انقطاعه-، قَالَ فِي حَدِيثِهِ: « فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ". قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا ، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنْذِرْ* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، وَهِيَ الْأَوْثَانُ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ» [2].

وعن زيد بن ثابت، قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ فقال: « اكتب ﴿لا يستوي القاعدون﴾[النساء: ٩٥] ﴿والمجاهدون في سبيل الله﴾ فجاء عبد الله ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله، إني أحب الجهاد في سبيل الله، ولكن بي من الزمانة، وقد ترى، وذهب بصري. قال زيد: فثقلت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي، حتى خشيت أن ترضها فقال: "اكتب ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله﴾[النساء: ٩٥]»[3]، ومعنى ترضها أي تنخلع .

وعن عائشة في حديث البراءة من الإفك قالت: «حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الذي أُنْزِلَ عَلَيْهِ»[4]، و (الجمان) هو حب من فضة يعمل على شكل اللؤلؤ ، وقد يسمى به اللؤلؤ.

وكان ﷺ يثقل وزنه جدّاً حتى إن البعير الذي يكون عليه يكاد يبرك ، وحتى خشي زيد بن ثابت على فخذه أن ترضّ وقد كانت فخذه رضي الله عنه تحت فخذ النبي ﷺ .

وعن عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: «إِنْ كَانَ لَيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَتَضْرِبُ بِجِرَانِهَا»[5]، زاد البيهقي في " دلائل النبوة، قولها «مِن

---

(١)رواه البخاري.
(٢)رواه مسلم.
(٣)إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه أبو نعيم في "الدلائل"
(٤)رواه مسلم (٢٧٧٠) .
(٥)رواه أحمد.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ثقل ما يوحي إلى رسول الله»، الجِران : باطن عنق الناقة، قال السندي -رحمه الله-: قوله (فَتَضْرِبُ بِجِرَانِهَا) -بكسر الجيم - : باطن العنق ، والبعير إذا استراح مدَّ عنقه على الأرض[١].

وعن زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ قال: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنَّ تَرُضَّ فَخِذِي » [٢]

الوحي بواسطة جبريل عليه السلام:

ويكون الوحي بواسطة أمين الوحي سيدنا جبريل عليه السلام وبه نزل القرآن الكريم. ويكون على حالتين

الحالة الأولى: وهي أشدهما على الرسول، ﷺ أن يأتيه مثل صلصلة الجرس، ومعنى الصلصلة صوت الحديد عندما يتصادم بالحديد، وقد يكون هذا الصوت هو صوت حفيف أجنحة الملائكة.

عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله -ﷺ- فقال: «يا رسول الله.. كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول»[٣]، وروت عائشة رضي الله عنها ما كان يصيب رسول الله -ﷺ- من شدة فقالت: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا» [٤]. رواه البخاري.

والحالة الثانية: أن يتمثل له الملك رجلا وهذه الحالة أخف من الأولى ويأتيه في صورة رجل معروف لدى الصحابة أو غير معروف

فالرجل المعروف كالصحابي دحية الكلبي رضي الله عنه

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: " وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ " [٥]

---

(١)" مسند أحمد " (٤١ / ٣٦٢).
(٢)رواه البخاري.
(٣)صحيح البخاري.
(٤)رواه البخاري.
(٥) رواه الإمام أحمد في "المسند" (١٠ / ١٠٢)، وصححه محققو المسند.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والرجل غير معروف لدى الصحابة:

كما حدث في حديث جبريل عن عمر رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طَلَعَ علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سَواد الشعر، لا يُرى عليه أثرُ السفر ولا يعرفه منَّا أحدٌ، حتى جلس إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فأسنَد ركبتيْه إلى ركبتيْه، ووضع كفَّيه على فخذيْه، وقال: يا محمد أخبرْني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: الإسلامُ أن تشهدَ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتُؤتيَ الزكاة، وتصومَ رمضان، وتحجَّ البيت إن استطعتَ إليه سبيلًا، قال: صدقتَ، فعَجِبْنا له يَسأله ويُصدِّقه، قال: فأخبرْني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمنَ بالله وملائكته وكُتبه ورسُله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدَر خيره وشرِّه، قال: صدقتَ، فأخبرْني عن الإحسان؟ قال: أن تعبدَ الله كأنَّك تراه، فإن لَم تكن تراه فإنَّه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلمَ مِن السائل، قال: فأخبرني عن أمَاراتِها؟ قال: أنْ تلِدَ الأَمَةُ ربَّتَها، وأنْ تَرَى الحُفاةَ العُراة العَالَة رِعاءَ الشاءِ يَتَطاوَلون في البُنيان، ثمَّ انطلق فَلَبِثَ مليًّا ثم قال: يا عمر أتدري مَن السائل؟ قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: فإنَّه جبريلُ أتاكم يعلِّمُكم دينَكم»[1].

وقد يأتيه الوحي في صورته الحقيقة، التي خلقه الله عليها، فعن مسروق أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾[التكوير: ٢٣]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[النجم: ١٣- ١٤]، فَقَالَتْ: «أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»[2]، وعن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضى الله عنهما، قال ﷺ: «لَمْ أرَهُ -أي جبريل- عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عليها غيرَ هاتَيْنِ المَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّماءِ سادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ ما بيْنَ السَّماءِ إلى الأرْضِ»[3]، وهذا ما ذكره الله تعالى، فقال تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾ [الشورى ٥١].

(١) رواه مسلم
(٢) رواه مسلم.
(٣) متفق عليه .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بعض شبه الجاحدين والرد عليها

١- زعموا أن القرآن الكريم من عند الرسول محمد ﷺ ومن كلامه فهو الذي ابتكر معانيه، وصاغ أسلوبه، وليس القرآن وحيا يوحى. من قبل الله.

يقول الدكتور مناع القطان: وهذا زعم باطل، فإنه عليه الصلاة والسلام إذا كان يدعي لنفسه الزعامة ويتحدى الناس بالمعجزات لتأييد زعامته فلا مصلحة له في أن ينسب ما يتحدى به الناس إلى غيره، وكان في استطاعته أن ينسب القرآن لنفسه، ويكون ذلك كافيا لرفعة شأنه، والتسليم بزعامته، ما دام العرب جميعا على فصاحتهم قد عجزوا عن معارضته، مباحث في علوم القرآن [١].

ويقول الشيخ الزرقاني في مناهل العرفان: وقد زعم بعض الناس أن جبريل كان ينزل على النبي ﷺبمعاني القرآن والرسول يعبر عنها بلغة العرب. وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل وأن الله كان يوحي إليه المعنى فقط وكلاهما قول باطل أثيم مصادم لصريح الكتاب والسنة والإجماع ولا يساوي قيمة المداد الذي يكتب به. وعقيدتي أنه مدسوس على المسلمين في كتبهم. وإلا فكيف يكون القرآن حينئذ معجزا واللفظ لمحمد أو لجبريل؟ ثم كيف تصح نسبته إلى الله واللفظ ليس لله؟ مع أن الله يقول: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ إلى غير ذلك مما يطول بنا تفصيله.

والحق أنه ليس لجبريل في هذا القرآن سوى حكايته للرسول وإيحائه إليه وليس للرسول النبي ﷺ في هذا القرآن سوى وعيه وحفظه ثم حكايته وتبليغه ثم بيانه وتفسيره ثم تطبيقه وتنفيذه. نقرأ في القرآن نفسه أنه ليس من إنشاء جبريل ولا محمد نحو ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾، ونحو: ﴿وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي ﴾، ونحو: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾، ونحو: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾[٢]. انتهي

ويقول الدكتور محمد بكر إسماعيل "والذي يجب الجزم به أن جبريل نزل بألفاظ القرآن المعجِزَة من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس، وتلك الألفاظ هي كلام الله وحده، لا دخل لجبريل ولا لمحمد -ﷺ- في إنشائها ولا في ترتيبها،

(١) مباحث في علوم القران مناع القطان ص٣٨
(٢)مناهل العرفان ج١ ص٤٩

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فالألفاظ التي نقرؤها ونكتبها هي من عند الله، وليس لجبريل -عليه السلام- في هذا القرآن سوى حكايته للرسول -ﷺ-، وليس للرسول -ﷺ- سوى وعيه وحفظه وتبليغه، ثم بيانه وتفسيره، ثم تطبيقه وتنفيذه[1].

أمية النبي ﷺ :

سؤال من الممكن يطرح نفسه هل النبي ﷺ كان "أميًّا" من بداية حياتِه إلى نهايةِ حياته؟ أم أنه تعلّم القراءةَ والكتابة في فترة النبوة؟ الصحيح أنه ظل أميًّا إلى نهاية حياته، فعاش ومات أميًّا، والأمية معجزة بالنسبة إليه، وصفة مدح له وصفة نقص لغيره، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ..﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقوله: ﴿فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ..﴾ [الجمعة: ٢].

قال ابن كثير : فإنه علم بالتواتر وبالضرورة أن محمدا ﷺ لم يكن يعلم الكتابة في أول عمره ولا في آخره.

والأمي في هذه الآيات له أكثر من معنى: **الأول**: من لا يقرأ ولا يكتب. **والثاني**: من ليس له كتاب سماوي مثل التوراة والإنجيل. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت: ٤٨]، فقوله ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو﴾ نفي للقراءة، وقوله ﴿وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ نفي للكتابة. عن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام قال: «نحن أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب»[2]، قال البوصيري:.

كفاك بالعلم في الأمي معجزة ** في الجاهلية والتأديب في اليتم!

يقول ابن جرير الطبري: عَلَّم محمدا ﷺ هذا القرآن جبريلُ عليه السلام ، وعُنِي بقوله ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ شديد الأسباب، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[الشعراء:١٩٢ - ١٩٥]. وقال الحسن «الذي علمه هو الله عز وجل». قال ابن عباس رضي الله عنه: « كان نبيكم ﷺ أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب؛ قال

(١) دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ٢٧).
(٢) متفق عليه.

الله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ [العنكبوت: ٤٨]»

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن النبي ﷺ تعلم القراءة والكتابة في آخر حياته بدليل أنه محا اسمه من وثيقة صلح الحديبية حين رفض علي رضي الله عنه أن يمحوه، وأرادوا بذلك أن ينفوا عنه الأمية

ومن هؤلاء الإمام أبو الوليد الباجي، أحد أعلام المالكية المغاربة، وشارح "الموطأ" ولما قال ذلك طعن فيه ورمي بالزندقة، وسُبَّ على المنابرِ، وقد دافع عن نفسِه بالمناظرة، والكتابة، ونقل عن الشعبي أنه قال: « ما مات النبي صلى عليه وسلم حتى كتب»[١]،

واستدل أيضا بحديث أبي كبشة السلولي أنه ﷺ قرأ صحيفة لعيينة بن حصن، وأخبر بمعناها

واستدلوا أيضا ما رواه ابن ماجة مرفوعا: «مررت ليلة أسري بي مكتوبا على الجنة: "الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر»[٢]، قالوا: والقدرة على القراءة فرع الكتابة.

ورد العلماء على هذه الروايات فقالوا: إنه يتحمل أن النبي يعلم رسم (محمد رسول الله) ويعرف شكلها فمحاها وليس معناه أنه يعلم الكتابة، ولو كان يعلم الكتابة ما سأل علي بن أبي طالب عن موضعها أصلًا، والحديث الذي يقول: «إنه وجد مكتوبًا على الجنة: الصدقة بعشر أمثالها، رأيتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي على بابِ الجنةِ مكتوبًا»[٣]، فيحتمل أنه أخبر بذلك من أحد من الملائكة. أو عمله الله هذا وكشف له معناه، وما قيل من أنه ﷺ كتب تعاويذ بيده، فهذا لم يثبت عنه ﷺ، وإنما كان يستعيذ بالله تعالى، وصحّت عنه استعاذات كثيرة وفيرة، وكان يعوذ بعض الناس، وخصوصا الأطفال . بالله تبارك وتعالى، كما كان يقول للحسن والحسين: « أعيذك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»[٤]،

(١)تفسير الألوسي روح المعاني ج١١ ص٦
(٢) رواه ابن ماجه
(٣)سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٣/ ٥٠١)
(٤)صحيح البخاري (٤/ ١٤٧)

السَّادَة لِلفِكرِ وَالثَّقَافَة
www.sadah.net

وقد ألف الشيخ أحمد بن حجر قاضي المحكمة الشرعية الأولى في قطر كتابا فنَّد فيه دعاوى القائلين بمعرفته للكتابة، سماه "الرد الوافر على من نفى أمية سيد الأوائل والأواخر" فليرجع إليه.

الفصـل السادس

نزول القرآن الكريم

قد يقرأ المسلم في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾[القدر ١]، وقال: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾[الدخان: ٣]، وقال: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة ١٨٥]، فيفهم من هذه الآيات أن القرآن نزل دفعة واحدة، وهذا يخالف الواقع التاريخي حيث تبين أن القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ على مدار فترة الرسالة بشقيها المكي والمدني في قرابة ثلاثة عشرون سنة .

وما عليه علماء الأمة أن القرآن الكريم نزل أولا وسجل في اللوح المحفوظ، كاملاً وجملةً واحدةً لقوله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ [البروج: ٢٢]، كما ثبت إنزاله جملة بعد ذلك إلى بيت العزة من السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان.

قال السيوطي: ": السر في إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر من نزل عليه وهو النبي ﷺ. وفي السنة ما يوضح هذا النزول، ويدل على أنه غير النزول الذي كان على قلب رسول الله -ﷺ-

فعن ابن عباس موقوفا: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾[الفرقان٣٣]»[1]، وقال: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلًا﴾[الإسراء ١٠٦]

وفي رواية: "فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي، ﷺ وأخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما من طريق منصور عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «أُنْزِلَ القرآن جملة واحدة إلى

(١)رواه النسائي والحاكم.

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله -ﷺ بعضه في إثر بعض»[١]. [٢].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة، ثم أنزل نجوما»[٣]، وعن ابن عباس أنه سأله عطية بن الأسود فقال: « أوقع في قلبي الشك قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ وقوله: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وهذا أنزل في شوال، وفي ذي القعدة، وفي ذي الحجة، وفي المحرم، وصفر، وشهر ربيع، فقال ابن عباس: «إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم ورسلًا في الشهور والأيام»[٤]، قال أبو شامة: رسلًا أي: وفقًا، وعلى مواقع النجوم أي: مثل مساقطها، يريد أنه أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم مفرقًا، يتلو بعضه بعضًا على تؤدة ورفق.

هذه أحاديث من جملة أحاديث ذكرت في هذا الباب، وكلها صحيحة كما قال السيوطي، وهي أحاديث موقوفة على ابن عباس، غير أن لها حكم المرفوع إلى النبي -ﷺ، لما هو مقرر من أن قول الصحابي مما لا مجال للرأي فيه[٥].

وذكر السيوطي أن القرطبي نقل الإجماع على نزول القرآن جملةً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، والحكمة في هذا التنزل لا نعلمها على وجه اليقين، ولسنا مكلفين بمعرفتها.

وأبلغ الظن أنه تفخيم لشأن القرآن الكريم، وشأن من نزل عليه، بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزَّلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم[٦].

ويتضح مما سبق أن القرآن الكريم تكلم به رب العزة سبحانه وتعالي ونزل ووضع في اللوح المحفوظ دفعة واحدة بكيفية يعلمها الله تعالى ، ثم الي بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل به جبريل -عليه السلام- على قلب محمد بن عبد الله -صلوات الله وسلامه عليه- منجَّمًا ومفرقا في نحو ثلاث وعشرين سنة فينزل جبريل عليه السلام بالنزول بالآية الآيتين والثلاثة أ وأكثر قال جلَّ شأنه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [سورة الشعراء:١٩٥].

---

(١)رواه البيهقي والحاكم.
(٢)دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ٢٥).
(٣) رواه الطبراني.
(٤)أخرج ابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.
(٥)راجع دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ٢٦).
(٦)راجع دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ٢٦).

ولقد ذهب بعض أهل العلم وهو الذي روي عن الشعبي قال: أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث ابتداء نزوله على رسول الله -ﷺ- فقد ابتدأ نزوله في ليلة القدر في شهر رمضان، وهي الليلة المباركة، ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجا مع الوقائع والأحداث في قرابة ثلاث وعشرين سنة، فليس للقرآن سوى نزول واحد هو نزوله منجما على رسول الله -ﷺ- لأن هذا هو الذي جاء به القرآن: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾[الإسراء ١٠٦]، والصحيح والصواب القول الأول لورود الأدلة السابقة.

يقول الشيخ: عبد الله بن يوسف الجديع: من علماء السّلف من ذهب إلى أنّ ابتداء النّزول كان في ليلة القدر لا جميع القرآن، وهذا القول لا يوجد ما يردّه، وهو وجه في تفسير الآيات الثّلاث المذكورة، لكن صحّ عن إمام المفسّرين عبد الله بن عبّاس- رضي الله عنهما- ما أفادنا أنّ للقرآن تنزّلين:

الأوّل: من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا، وكان جملة واحدة.

الثّاني: من السّماء الدّنيا إلى الأرض على النّبيّ ﷺ مفرّقا على الوقائع. فعنه قال: أنزل الله القرآن إلى السّماء الدّنيا في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئا أوحاه، فهو قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[القدر١]، وفي لفظ: أنزل القرآن كلّه جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السّماء الدّنيا، فكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئا أنزله منه، حتّى جمعه .

وهذا خبر تلقّاه أكثر العلماء بالقبول، وهو مرويّ من وجوه متعدّدة عن ابن عبّاس، ومثله إخبار عن أمر غيبيّ لا يصار إلى مثله إلّا بتوقيف، فله حكم الحديث المرفوع، والقول به أولى من القول بمجرّد النّظر[١].

والحقيقة أن هذا المذهب الذي روي عن الشعبي لا يتعارض مع المذهب الأول الذي روي عن ابن عباس. فيكون نزول القرآن جملة واحدة وأيضا وبداية نزوله بعد ذلك مفرقا في ليلة القدر من شهر رمضان، وهي الليلة المباركة.

وقت نزول القرآن:

(١) المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص: ٣٧).

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

اختلف العلماء في تحديد موعد نزول القران روى محمد بن عمر الأسلمي عن أبي جعفر قال: كان ابتداء الوحي إلى رسول ﷺ يوم الإثنين لسبعة عشرة ليلة خلت من رمضان.

وروى الإمام أحمد، وابن جرير، والطبراني، والبيهقي في "الشعب" عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزلت صحف إبراهيم عليه وسلم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»[1]. والله أعلم

فقد ذهب جمهور العلماء إلى أن أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الآيات الأول من صدر سورة العلق وهي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق: ١- ٥]، وقد كان هذا في السابع عشر من رمضان، قال ابن كثير في البداية والنهاية نقلاً عن الواقدي عن أبي جعفر الباقر أنه قال: كان ابتداء الوحي إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان وقيل من الرابع والعشرين[2]. انتهى.

واختلف أهل العلم في أي سنة كان ذلك من عمره ﷺ فقيل في السنة الأربعين لما روى أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ وأنزل عليه القرآن وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقيل إن بداية نزول القرآن كانت في السنة الثالثة والأربعين من عمر النبي ﷺ، لما روى أحمد أيضاً عن ابن عباس قال: أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين فمكث بمكة عشراً والمدينة عشراً، ومات وهو ابن ثلاث وستين. والله أعلم.

وذهب بعض المحققين إلي أن الرسول -ﷺ- نبئ أولا بالرؤيا في شهر شهر ربيع الأول، ثم كانت مدتها ستة أشهر، ثم أوحي إليه يقظة في شهر رمضان بـ "اقرأ".

وذهب بعض أهل العلم إلى أن نُزول القرآن كان في شهر ربيع الأوّل؛ وكما جاء عن ابن القيّم؛ باعتبار أنّ شهر ربيع الأوّل شهر بعثة النبيّ -عليه الصلاة والسلام- ، وولادته، وقد اختُلِف في اليوم من ذلك الشهر؛ فقِيل: في أوّله، وقِيل: في اليوم

---

(١) رواه أحمد، وابن جرير، والطبراني، والبيهقي.
(٢) مسند أحمد (ج ٤ ص ١٠٧. (راجع البداية والنهاية لابن كثير ج١ ص٣٦٨

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الثاني عشر منه كما جاء عن جابر، وابن عباس، وقِيل: في الثامن وهو القول المشهور بين أقوال العلماء.

وفسروا الآيات بأنه إنزاله كان في رمضان إلى اللوح المحفوظ وايضا نزوله إلى السماء الدنيا، والمقصود به هنا هو نزوله علي رسول الله ﷺ

وقيل إن نُزول القرآن في شهر رجب، وتحديداً في اليوم السابع عشر منه، وعلى الرغم من عدم اشتهار هذا القول، إلّا أنّه مذكورٌ في بعض الكُتُب.

الحكمة من نزول القرآن مفرقًا:

نزل القرآن مفرقًا منجمًا، وليس جملة واحدة كما حدث مع الكتب السماوية السابقة

١- تثبيت قلب النبي ﷺ، قال تعالي: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[الفرقان: ٣٢].

٢- التحدي والإعجاز، فلو نزل دفعة واحدة لفقد روح التحدي والإعجاز أمام المشركين الذين عجزوا أمامه، وشهدوا له بأنه ليس من عند بشر، يقول ابن عباس عن نزول القرآن: «فكان المشركون إذا أحدثوا شيئًا، أحدث الله لهم جوابًا»[١].

٣- تيسير حفظ القرآن وفهمه: فبنزول القرآن مُفَرَّقًا يسهل للناس حفظه وفهمه بخلاف لو نزل دفعة واحدة، وخاصة أنه كان يتنزل على حسب الوقائع والأحداث، قال عمر رضي الله عنه: «تعلَّموا القرآنَ خمس آياتٍ، خمس آيات، فإنَّ جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ خمسًا خمسًا»[٢]، وعن أبي نضرة قال: «كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة، وخمس آيات بالعشي، ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات»[٣]، وهذا ما كان ينزل في الغالب ،وليس على الدوام فقد نزل من القرآن سور كاملة كسورة الأنعام

(١) أخْرَجَ النَّسائِيُّ، وابْنُ جَرِيرٍ، وابْنُ أبِي حاتِمٍ، والحاكِمُ وصَحَّحَهُ، وابْنُ مَرْدُويَهْ، والبَيْهَقِيُّ"
(٢) أخْرَجَ البَيْهَقِيُّ في "الشُّعَبِ
(٣) رواه ابن عساكر.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أخرج الطبراني وأبو عبيد في فضائل القرآن، عن ابن عباس قال: « نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح»[1]، وأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ، وابْنُ الضُّرَيْسِ في فَضائِلِهما، وابْنُ المُنْذِرِ والطَّبَرانِيُّ، وابْنُ مَرْدَوَيْهِ، عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ قالَ: نَزَلَتْ سُورَةُ "الأنْعامِ" بِمَكَّةَ لَيْلًا جُمْلَةً، وحَوْلَها سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ يَجْأرُونَ بِالتَّسْبِيحِ.

وأَخْرَجَ ابْنُ الضُّرَيْسِ »عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ قالَ: أُنْزِلَتْ سُورَةُ "الأنْعامِ" جَمِيعًا بِمَكَّةَ، مَعَها مَوْكِبٌ مِنَ المَلائِكَةِ يُشَيِّعُونَها، قَدْ طَبَّقُوا ما بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، لَهم زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ حَتّى كادَتِ الأرْضُ أنْ تَرْتَجَّ مِن زَجَلِهِمْ بِالتَّسْبِيحِ ارْتِجاجًا، فَلَمّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ زَجَلَهم بِالتَّسْبِيحِ رَهِبَ مِن ذَلِكَ فَخَرَّ ساجِدًا، حَتّى أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ . «

وأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قالَ: نَزَلَتْ سُورَةُ الأنْعامِ يُشَيِّعُها سَبْعُونَ ألْفًا مِنَ المَلائِكَةِ .

وهناك آيات نزلت تزيد وآيات تقل عن خمس آيات.

كما أَخْرَجَ اِبْنُ أبِي شَيْبَةَ، وابْنُ جَرِيرٍ، وابْنُ المُنْذِرِ، مِن طَرِيقِ أبِي العالِيَةِ، عَنِ اِبْنِ عَبّاسٍ، يَقُولُ: أُنْزِلَ آيَةً آيَةً.

٤- تشويق نفوس المؤمنين لقبوله والاشتياق إليه: حيث يتشوق المسلمون إلى نزول الآية، وخاصة عند الحاجة إليه، كما في آيات حادثة الإفك عندما اتهم المنافقون زوجة النبي عائشة رضي الله عنها بالإفك، وهي أحب زوجاته إليه، فكانوا في اشتياق إلى نزول آيات تبرأها. فنزلت ولله الحمد آيات سورة النور.

٥- مسايرة ومواكبة الأحداث والوقائع: كما حدث في نزول الآيات الخاصة بالغزوات والمواقف كغزوة بدر وغزوة أحد والخندق وحنين وفتح مكة والثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهكذا .

٦- التدرج في التشريع: فقد كان القرآن الكريم يتدرج في نزوله، ويرسخ في نفوس المؤمنين الأحكام والتشريعات فقد بدأ بترسيخ التوحيد ونبذ الشرك وعبادة الأصنام .

وبعد أن ترسخ هذا كله نزل بعد ذلك التشريع والأحكام كما حدث في ذم الخمر، في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[البقرة: ٢١٩]، ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء:

(١) رواه الطبراني

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٤٣]، ثم نزل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]

فعن عائشة رضي الله عنها -، قالت: «إنما نزل أول ما نزل سورة مِن المفَصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء "لا تشربوا الخمر" لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل "لا تزنوا" لقالوا: لا ندَع الزنا أبدًا»[1].

مدة نزول القرآن:

نزل القرآن الكريم على النبي الأمين ﷺ في فترة تزيد على عشرين سنة، كما هو معلوم، وقد حدد الشيخ محمد محمد أبو شهبة مدة نزول القرآن الكريم بأنها اثنتان وعشرون سنة وخمسة أشهر، ونصف الشهر. راعى في هذا التحديد ما ذهب إليه الجمهور من أنه ﷺ ولد في الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل، وتوفي في الثاني عشر أيضاً من ربيع الأول عام إحدى عشرة من الهجرة.

وبين ذلك بأن النبي ﷺ نبئ على رأس الأربعين من ميلاده الشريف وذلك من الثاني عشر من ربيع الأول وقد بدئ الوحي إليه([2])

يقول المباركفوري رحمه الله في كتاب الرحيق المختوم نزول الوحي عليه ﷺ: وبعد النظر والتأمل في القرائن والدلائل يمكن لنا أن نحدد يوم نزول الوحي بأنه يوم الإثنين لإحدى وعشرين مضت من شهر رمضان ليلا ويوافق ١٠ أغسطس سنة ٦١٠ م وكان عمره إذ ذاك بالضبط أربعين سنة قمرية وستة أشهر و١٢ يوما وذلك نحو ٣٩ سنة شمسية وثلاثة أشهر و١٢ يوما . مع التنبيه إلى أن هناك اختلافا كبيرا في اليوم والشهر .

وقد كتب القرآن الكريم ودون على ما كان ميسورا من أدوات الكتابة ، في هذا التوقيت كالعسب (جريد النخل)، واللخاف (الحجارة الرقاق)، والأديم والأكتاف

---

(1) رواه البخاري.

(2) كتاب نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد الرسول ﷺ [محمد بن عبد الرحمن الشايع]ص٤٤

(عظام الأكتاف)، والأقتاب (ما يوضع على ظهور الإبل). وهذا هو المتاح عندهم في هذا الوقت.

واستمر هذا الحال طوال حياة رسول الله ﷺ وبعد أن قبض رسول الله ﷺ وكثر القتل في أهل القرآن جمع أبو بكر القرآن في مصحف واحد بعد رسول الله ﷺ.

أول ما نزل من القرآن الكريم

روى الإمام أحمد، وابن جرير الطبري، والطبراني، والبيهقي في " الشعب " عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " أنزلت صحف إبراهيم عليه وسلم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان ".

الرأي الأول: أول ما نزل من القرآن الكريم عموما- عند جمهور العلماء، أول خمس آيات من سورة العلق من أولها إلى قوله تعالى علم الإنسان ما لم يعلم، لما رواه البخاري ومسلم (واللفظ للبخارى) عن عائشة أم المؤمنين- رضى الله عنها- قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث- يتعبد- فيه الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ؛ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ من الجهد ثم أرسلنى فقال: اقرأ؛ فقلت: ما أنا بقارئ؛ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم﴾.. الحديث»[1].

وأخرج الواحدي عن عكرمة والحسن. قالا: «أول ما نزل من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم، وأول سورة سورة اقرأ»[2].

الرأي الثاني في أول ما نزل من القرآن: أوائل سورة المدثر. واستدل أصحاب هذا القول بما عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: سألت جابر ابن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل؟ فقال: يا أيها المدثر؛ فقلت: أو اقرأ باسم ربك وفى

(١) حديث بدء الوحي (متفق عليه)، وهذا لفظ البخاري.
(٢) راجع كتاب تاريخ نزول القرآن محمد رأفت سعيد ٥٠

رواية نبئت أنه اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال: «أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «إني جاورت بحراء، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي- زاد فى رواية: فنوديت فنظرت أمامى وخلفى، وعن يمينى وعن شمالى- ثم نظرت إلى السماء فإذا هو -يعنى جبريل- زاد فى رواية: جالس على عرش بين السماء والأرض- فأخذتني رجفة فأتيت خديجة، فأمرتهم فدثروني؛ فأنزل الله: ﴿يا أيها المدثر * قم فأنذر﴾ [المدثر: ١ – ٢]» [١]

لكن هذه الرواية ليست دليلا على أنها أول ما نزل من القرآن إطلاقا، بل تحتمل أن تكون عما نزل بعد فترة الوحى وهذا هو الظاهر من الروايات الأخرى.

روي الشيخان أيضا عن أبى سلمة عن جابر أيضا: « فبينما أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء؛ فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض فجئثت- أى ثقل جسمى عن القيام- حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي؛ فقلت: زملوني، زملوني فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر﴾ [المدثر: ١- ٥]»[٢].

يقول الشيخ الزرقاني: فظاهر هذه الرواية يدل على أن سيدنا جابر رضي الله عنه استند فى كلامه على أن أول ما نزل من القرآن هو المدثر- إلى ما سمعه من رسول الله ﷺ، وهو يحدث عن فترة الوحى، وكأنه لم يسمع بما حدث به رسول الله ﷺ عن الوحى قبل فترته من نزول الملك على الرسول ﷺ فى حراء بصدر سورة اقرأ كما روت عائشة- رضى الله عنها- فاقتصر فى إخباره على ما سمع ظانا أنه ليس هناك غيره؛ اجتهادا منه، غير أنه أخطأ فى اجتهاده بشهادة الأدلة السابقة فى القول الأول، ومعلوم أن النص يقدم على الاجتهاد، وأن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال؛ فبطل إذا القول الثانى وثبت الأول، ولعل جابر بن عبد الله أراد أن أوائل المدثر نزل فى أول الرسالة، وآيات سورة العلق نزلت فى بدء النبوة، وبذلك يرتفع الإشكال بدليل قوله تعالى: ﴿قم فأنذر﴾، أو أن آيات المدثر من أوائل ما نزل، لا أول ما نزل على الإطلاق. والله أعلم[٣].

فيتضح أن ﴿اقرأ﴾ أول ما نزل مطلقا، وأن سورة المدثر بعدها"، وهذا ما قاله ابن حبان في صحيحه: لا تضاد بين الحديثين، بل أول ما نزل: ﴿اقرأ باسم

---

(١) رواه البخاري ومسلم
(٢) رواه الشيخان.
(٣)راجع مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ج ١ ص ٨٧، ٨٨.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ربك الذي خلق﴾ بغار حراء، فلما رجع إلى خديجة -رضي الله عنها- وصبت عليه الماء البارد، أنزل الله عليه في بيت خديجة: ﴿يا أيها المدثر﴾، فظهر أنه لما نزل عليه ﴿اقرأ﴾ رجع فتدثر، فأنزل عليه: ﴿يا أيها المدثر﴾.

الرأى الثالث: أول ما نزل سورة الفاتحة، روي ذلك من طريق أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال: «كان رسول الله -ﷺ- إذا سمع الصوت انطلق هاربا، وذكر نزول الملك عليه وقوله: قل ﴿الحمد لله رب العالمين..﴾ إلى آخرها» [1]

وقد استدل أصحاب هذا الرأي أيضاً بما رواه البيهقي في الدلائل بسنده عن ميسرة عمر بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: «إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء فقد والله خشيت على نفسي أن يكون هذا أمرا". قالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث. فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت: اذهب مع محمد إلى ورقة. فانطلقا فقصا عليه فقال: "إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فأنطلق هاربا في الأفق". فقال: لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى ما يقول. ثم ائتني فأخبرني. فلما خلا ناداه: يا محمد قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى بلغ ﴿وَلا الضَّالِّينَ﴾»[2]، ولكن هذا الحديث لا يصلح للاحتجاج

قال الشيخ مساعد الطيار: وهذا قول فيه ضعف شديد جداً، والعجيب أن صاحب الكشاف يقول: إنه قول أكثر المفسرين.. وهذا فيه نظر، ولكن بعض من تعرض لأولية سورة الفاتحة قال: لعلهم يريدون أول ما نزل من جهة كونها سورة كاملة، وهذا كقيد أو ضابط يحتاج إلى دليل خاص به[3]،

وقيل: المقصود إن أول سورة أنزلت مرة واحدة هي الفاتحة، وليس المقصود عموم التنزيل.

ورجح الحافظ السيوطي في كتابه الإتقان سورة المدثر أنها اول ما نزلت كسورة كاملة

طريق للجمع بين هذه الروايات:

وطريق الجمع بين الأقاويل، أن أول ما نزل من الآيات: ﴿اقرأ باسم ربك﴾، وأول ما نزل من أوامر التبليغ: ﴿يا أيها المدثر﴾، وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة،

---

(١) رواه الطبراني
(٢) البيهقي في الدلائل.
(٣) راجع مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وهذا كما ورد في الحديث: "أول ما يحاسب به العبد الصلاة" وحديث ، أول ما يقضى فيه الدماء" وجمع بينهما بأن أول ما يحكم فيه من المظالم التي بين العباد الدماء. وأول ما يحاسب به العبد من الفرائض البدنية الصلاة.

وقيل: أول ما نزل للرسالة: ﴿يا أيها المدثر﴾، وللنبوة: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ فإن العلماء قالوا: أن قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ دال على نبوة محمد -ﷺ؛ لأن النبوة عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف خاص، وقوله: ﴿يا أيها المدثر * قم فأنذر﴾ دليل على رسالته -ﷺ- ؛ لأنها عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف عام[1].

قال القاضي أبو بكر في "الانتصار وأثبت الأقاويل: ﴿اقرأ باسم ربك﴾، ويليه في القوة: ﴿يا أيها المدثر﴾

وخلاصة القول أن أوائل سور العلق اول النزول مطلقا وبقي الاختلاف في المدثر والفاتحة أيهما نزل قبل الآخر.

آخر ما نزل من القرآن الكريم

أختلف العلماء فى آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق اختلافا كثيرا، لعدم وجود أثر صحيح مسند إلى رسول الله صلى الله عليه يبن هذا ويوضحه لذا نجد كثرة الاختلاف والاجتهاد، وأشهر هذه الأقوال، ما يلي:

القول الأول: « آخر ما نزل قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ [البقرة: الآية: ٢٨١]»[2].

وكذلك أخرجه ابن أبى حاتم قال: «آخر ما نزل من القرآن كله: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾، فلقد عاش النبى ﷺ بعد نزولها تسع ليال تقريبا»[3].

القول الثاني: أن « آخر ما نزل هو قول الله تعالى فى سورة البقرة أيضا: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ [البقرة آية: ٢٧٨]»[1].

---

(١) البرهان في علوم القرآن" للزركشي، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم جـ١ ص٢٠٦.
(٢) أخرجه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس.
(٣) كتاب نفحات من علوم القرآن محمد معبد[ص٣٨

الثالث: أن آخر ما نزل آية الدين في سورة البقرة أيضا، وهي قوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ..﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿والله بكل شيء عليم﴾ [البقرة الآية: ٢٨٢]، وهي أطول آية فى القرآن، وأخرج ابن جريج عن سعيد بن المسيب: (أنه بلغني أن أحدث القرآن عهدا بالعرش آية الدين).

وأخرج أبو عبيد فى «الفضائل» عن ابن شهاب قال: (آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا وآية الدين).

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة بما قاله السيوطى رضي الله عنه من أن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها فى المصحف؛ لأنها فى قصة واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر.

قال الزرقانى فى «مناهل العرفان» بعد أن سرد هذه الأقوال: ولكن النفس تستريح إلى أن آخر هذه الثلاثة نزولا هو قول الله تعالى: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾، وذلك لأمرين: **أحدهما**: ما تحمله هذه الآية فى طياتها من الإشارة إلى ختام الوحى والدين، بسبب ما تحث عليه من الاستعداد ليوم المعاد، وما تنوه به من الرجوع إلى الله واستيفاء الجزاء العادل من غير غبن ولا ظلم، وذلك كله أنسب بالختام من آيات الأحكام المذكورة فى سياقها. **ثانيهما**: التنصيص فى رواية ابن أبى حاتم السابقة على أن النبي ﷺعاش بعد نزولها تسع ليال فقط، ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله) [٢]. أهـ.

القول الرابع: عن ابن عباس، «أن آخر ما نزل هو سورة إذا جاء نصر الله والفتح»[٣]، ولكنك تستطيع أن تحمل هذا الخبر على أن هذه السورة آخر ما نزل مشعرا بوفاة النبي ﷺ، ويؤيده ما روى من أنه ﷺ قال حين نزلت: «نعيت إلى نفسي». وكذلك فهم بعض كبار الصحابة كما ورد أن عمر رضي الله عنه بكى حين سمعها وقال: «الكمال دليل الزوال».

روى مسلم عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: «تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنْ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ جَمِيعًا قُلْتُ نَعَمْ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ قَالَ صَدَقْتَ» [٤].

---

(١) أخرجه البخاري عن ابن عباس، والبيهقي عن ابن عمر.
(٢) مناهل العرفان للزرقاني.
(٣) رواه مسلم عن ابن عباس.
(٤) رواه مسلم.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وروى البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: « كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ فَقَالَ عُمَرُ إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلا لِيُرِيَهُمْ قَالَ مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا فَقَالَ لِي أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ لا قَالَ فَمَا تَقُولُ قُلْتُ هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ لَهُ قَالَ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَذَلِكَ عَلامَةُ أَجَلِكَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا فَقَالَ عُمَرُ مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلا مَا تَقُولُ»[1].

وقال البراء بن عازب رضي الله عنه : آخر سورة نزلت هي براءة (التوبة)، وهذا القول المقصود به أن سور النصر آخر سورة كاملة نزلت كاملة وليس مطلق النزول.

وذهب بعضهم إلى القول: إن سورة التوبة هي آخر السور نزولا، فعن البراء بن عازب قال: «آخر سورة نزلت براءة ،وآخر آية نزلت: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة..﴾»[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها : آخر سورة أنزلت هي المائدة، فعن جبير بن نفير قال: « دخلت على عائشة فقالت : هل تقرأ سورة المائدة ؟ قال : قلت : نعم ، قالت : فإنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه وسألتها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ فقالت القرآن»[3].

وخلاصة القول أنه لم يثبت عن النبي ﷺ حديث في بيان آخر سورة نزلت من القرآن ، ولهذا اختلف الصحابة ، فقال كل بما أداه إليه اجتهاده .

قال البيهقي رحمه الله : يجمع بين هذه الاختلافات بأن كل واحد أجاب بما عنده . نقله عنه المباركفوري في تحفة الأحوذي ويحتمل أيضا أنها ما نزل من السور فقط، ويدل عليه رواية ابن عباس: «آخر سورة نزلت من القرآن جميعا: إذا جاء نصر الله والفتح[4].

ويظن بعض طلبة العلم ، أن آخر آية نزلت هي قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم..﴾، والحق أنها ليست آخر ما نزل بإطلاق، لأن نزولها

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري (٤٣٢٩) ومسلم (١٦١٨) .
(٣) والحديث صححه شعيب الأرناؤوط في تحقيق مسند. أحمد (٢٥٥٨٨).
(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٠٠)

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

كان في حجة الوداع فعن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة، ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله ﷺ فمات.

قالت أسماء بنت عميس: «حججت مع رسول الله ﷺ تلك الحجة فبينما نحن نسير إذ تجلى له جبريل، فمال رسول الله ﷺ على الراحلة، فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن، فبركت، فأتيته فسجيت عليه بردا كان عليّ»[1]، وقال ابن جريج وغير واحد: مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بأحدٍ وثمانين يوما، رواهما ابن جرير.

قال العلماء: لقد مات ﷺ في أول ربيع الأول، وأن محرم تم ثلاثين، وصفر تم ثلاثين وواحد وعشرين من ذي الحجة تام، يكون واحد وثمانين، أما على القول المشهور أنه مات في اثني عشر ربيع الأول، فيكون مات بعد ذلك بإحدى وتسعين ثلاثة أشهر، لأن المشهور أنه مات في اثني عشر ربيع الأول عليه الصلاة والسلام، اليوم الذي ولد فيه، فإذا حسبت واحد وعشرين من ذي الحجة ومحرم وصفر وإحدى عشر من ربيع الأول كان الجميع واحد وتسعين أو اثنين وتسعين على حسب تمام الشهور

عن هارون بن عنترة، عن أبيه، قال: لما نزلت ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبي ﷺ ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال صدقت.

وقال الإمام أحمد: « جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: وأي آية؟ قال، قوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[المائدة:٣] فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ: عشية عرفة في يوم جمعة»[2].

ويحتمل أن كل واحد من الصحابة أخبر عن آخر ما سمعه عن رسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه، أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو لمفارقته له، ونزول الوحي عليه بقرآن بعده.

ويحتمل أيضا أن تنزل الآية، التي هي آخر آية تلاها الرسول مع آيات نزلت معها، فيؤمر برسم ما نزل معها وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخرا وتلاوته،

(١) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٦/ ٥١)، والمروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (١/ ٣٥٢، ٣٥٣ رقم ٣٥٥) من طريق أسباط عن السدي به.: وسنده ضعيف جداً؛
(٢) رواه أحمد وأصله في الصحيحين

فيظن سامع ذلك أنه آخر ما نزل في الترتيب»[1]، ولقد حاول كثير من العلماء الجمع بين الروايات فقولوا إن كل آيه نزلت اخر آية في بابها ، فآية الدين مثلا آخر ما نزل في المعاملات المالية، وآية الربا آخر آية في أحكام الربا ،وآية الكلالة آخر آية في المواريث ،وايه القتل آخر آية في الدماء وهكذا لكي يجمعوا بين الروايات.

كيف يعرف أول ما نزل وآخر ما نزل؟

أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن يعتمد على النقل والتوقيف، ولا مجال للعقل فيه إلا بالترجيح بين الأدلة والجمع بينها أن وجد ما يظهر من تعارض كشأن، معرفة المكي والمدني وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك.

فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل.

(أ) معرفة الناسخ من المنسوخ. (ب) معرفة تاريخ التشريع الإسلامى وتدرجه .

اهتمام علماء التفسير بجهات النزول،

فقد اهتم الكثير من علماء التفسير بمعرفة جهات النزول وهى الأماكن التى نزل فيها على النبي ﷺ كمكة والمدينة بالجحفة وبيت المقدس والطائف والحديبية وتبوك وغيرها.

نقل الزركشي فى «البرهان» عن القاضي أبى بكر فى «الانتصار»: (أن هذا يرجع إلى حفظ الصحابة وتابعيهم .. غير أنه لم يكن من النبى ﷺ فى ذلك قول ولا ورد عنه أنه قال: اعلموا أن قدر ما نزل بمكة كذا، وبالمدينة كذا، وفضله كذا، ولو كان ذلك منه لظهر وانتشر، وإنما لم يفعله لأنه لم يؤمر به ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة.

أوائل موضوعية:

(١) (انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج ١، ص ٢١٠).

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والمقصود به النزول المتعلق بالمواضيع، تناول العلماء أوائل ما نزل بالنسبة إلى موضوعات خاصة، ومن ذلك:

١- أول ما نزل في الأطعمة:

أول آية نزلت بمكة في الأطعمة آية الأنعام: ﴿قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم﴾ [الأنعام: ١٤٥]، ثم آية النحل: ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون، إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ﴾[النحل: ١١٤، ١١٥]، ثم آية البقرة: ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾[البقرة: ١٧٣]، ثم آية المائدة: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾[المائدة: ٣].

٢- أول ما نزل في الأشربة:

أول آية نزلت في الخمر آية البقرة: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ [البقرة: ٢١]، ثم آية النساء: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾[النساء: ٤٣]، ثم آية المائدة: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

عن ابن عمر قال: « نزل في الخمر ثلاث آيات، فأول شيء: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر..﴾ الآية. فقيل: "حرمت الخمر"، فقالوا: يا رسول الله.. دعنا ننتفع بها كما قال الله، فسكت عنهم، ثم نزلت هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ فقيل: "حرمت الخمر"، فقالوا: يا رسول الله.. ألا

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

نشربها قرب الصلاة، فسكت عنهم، ثم نزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ فقال رسول الله -ﷺ-: «حرمت الخمر»[1].

أول ما نزل في القتال: عن ابن عباس قال: «أول آية نزلت في القتال: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ [سورة الحج: ٣٩]»[2]،[3].

أواخر مخصوصة:

آخر ما نزل بمكة: قيل سورة النبأ نزلت بمكة، وهي من آخر المكي الأول؛ لأن النبي ﷺ هاجر من غدِ يومٍ نزلت، والمكي الأول: ما نزل قبل الهجرة، والمكي الآخر: ما نزل بعد فتح مكة، وسورة النبأ: ليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

وقيل: سورة المطففين هي آخر ما نزل بمكة، قال به عطاء.

قال الزركشي: واختلفوا في: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾، فقال ابن عباس: مدنية، وقال عطاء: «هي آخر ما نزل بمكة»[4].

آخر ما كتب في المصحف الذي جمعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه

عن أبي العالية «أنهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر، فكان رجال يكتبون، ويملّ عليهم أبي بن كعب حتى انتهوا إلى هذه الآية في سورة براءة: ﴿ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾، فظنوا أن هذا آخر ما أنزل من القرآن، فقال أُبَيُّ بنُ كعب: «إن النبي ﷺ قد أقرأني بعد هذا آيتين : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم * فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾[التوبة : ١٢٩]»[5].

---

(١) رواه الطيالسي في مسنده.
(٢)رواه الحاكم في المستدرك .
(٣)ترتيب نزول القرآن في كتاب المباني (ص ٨ - ١٦)، المنشور مع مقدمة ابن عطية بعنوان: «مقدمتان في علوم القرآن».
(٤)البرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٤)
(٥)الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ٣٣١)

السنادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصـل السابع

القصة في القرآن الكريم

تعريف القصة: القصة هي: (الحكاية عن خبر وقع في زمن مضى لا يخلو من عبرة، فيه شيء من التطويل في الأداء[1].

أثر القصة وأهميتها في القرآن الكريم:

تعتبر القصة أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان، حيث تميل لها النفس وتشتاق، قال تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾[سورة يوسف: ٣]، ولقد أمر الله رسوله صلّى الله عليه وسلم أن يقص على الناس ما أوحي إليه: ﴿فاقصص القَصَص لعلهم يتفكرون﴾ [سورة الأعراف: ١٧٦]، وقال: ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾[سورة النمل ٧٦]، وقال تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتِكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي﴾[سورة الأنعام ١٣٠].

(١)راجع بحوث في قصص القرآن ص: (٤١).

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ومن فوائد القصة في القرآن الكريم :

١- تثبيت قلب النبي صلّى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾[سورة هود: ١٢٠] وقال: ﴿ولقد كُذِبتْ رسلٌ مِن قبْلِك فصبروا على ما كُذبوا وأُوذوا حتى أتاهم نصرُنا ولا مبدِّلَ لكلماتِ اللهِ ولقد جاءَكَ من نبأِ المرسلين ﴾[الأنعام: ٣٣- ٣٤].

٢- إثبات صدق النبي صلّى الله عليه وسلم في دعوته، قال تعالى: ﴿وما أرسلنا مِن قبلِك إلاّ رجالا نوحي إليهم فاسْألوا أهلَ الذكرِ إن كنتم لا تعلمون﴾[سورة النمل: ٤٣]

٣- العبرة والعظة من خلال النظر في سنة الله تعالى في كونه، يقول سبحانه: ﴿لقد كان في قَصَصِهم عبرةٌ لأولي الألبابِ﴾[سورة يوسف: ١١١]

سبب التكرار في القَصَص القرآني:

التكرار ذكر الشيء مرة بعد مرة. وإذا تكررت القِصة الواحدة فإنما هو لفائدة اشتمل عليها كل موضع خلت منها المواضع الأخرى[١].

ومن أمثلة ذلك: عصا موسى عليه السلام؛ ففي سورة طه، وصفَها الحقُ سبحانه بأنها ﴿حيةٌ تسعى﴾[طه: ٢٠]، وفي سورة الأعراف وصفها بأنها ﴿ثعبانٌ مبينٌ﴾[الأعراف: ١٠٧]، وفي سورة النمل وصفها بأنها ﴿تهتز كأنها جان﴾[النمل: ١٠]، (فهي حية باعتبار ضخامتها، وثعبان من حيث الخِفة والنشاط وسرعة الحركة، وهي كأنها جان لكونها مرعبة)[٢].

والقصة المكررة تكون متجهة إلى هدف غير الهدف الذي تتجهُ إليه القصة في مواضع أخرى.. أو تتحدث من جهةٍ غير الجهة التي تعرضت إليها في مواضع أخرى.. وذلك نظراً لأن القرآن الكريم كتاب هداية وعبرة، وليس كتاب سرد تاريخي، ولا متعة أدبية فارغة فتكون القصة وسيلة لتحقيق تلك الأهداف المتعددة، متجهة نحو الغرض الذي سيقت من أجله[٣].

وفي هذا المعنى يقول الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى في كتابه إعجاز القرآن: (إن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدًا.. من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحةُ وتَبِينُ البلاغةُ)[٤].

---

(١) البرهان في علوم القرآن: (٣/٢٥-٢٧) .
(٢) كتاب الدعوة إلى الله تعالى ص: (١٦١).
(٣) بحوث في قصص القرآن ص:(١٨٠-١٨١) بتصرف واختصار .
(٤) الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى في كتابه إعجاز القرآن (٢٣) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

- ولقد ألَّفَ العلماء قديمًا وحديثًا مصنفاتٍ واسعةً في بيان (أسرار التكرار) و (الوجوه والنظائر) الواردة في القرآن الكريم في ألفاظه وفي قصصه، كالإمام الكرماني في كتابه: (أسرار التكرار في القرآن)، والإمام ابن الخطيب الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط في كتابه: (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري في كتابه: (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن).

مسألة مهمة جدا

القصص في القرآن والحوار الذي يدور بين الأنبياء وقومهم ليس هو نفس الأسلوب ونفس العبارات.

فلقد قص الله عز وجل علينا في كتابه قصص الأنبياء ومواقفهم مع قومهم، فليس ما ذكر في القرآن هو نفس الحوار ونفس الأداء لأن ما جاء في القرآن من ألفاظ بلاغية وعبارات تعجيزية لا يستطيع بشر مهما بلغ فضله وارتفعت منزلته أن يتكلم بمثل هذه الألفاظ، بل ذكر المضمون والمعني العام بأفصح الألفاظ، وادق اللغات قال تعالى في سورة نوح عليه السلام: ﴿ قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا * فلم يزدهم دعائي إلا فرارا * وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا * ثم إني دعوتهم جهارا * ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا * فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا﴾ [نوح: ٥ - ١١] .

فهل هذه الألفاظ القرآنية هي نفس الألفاظ بعينها التي قالها نوح عليه السلام؟

بالطبع لا لأنه يستحيل أن يأتي بشر بهذا الجمال وهذه الروعة والبلاغة التي ليس لها نظير.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصـل الثامن

لغة القرآن الكريم

لغة القرآن:

لا بد أن نعلم إن الصلة والترابط بين القرآن الكريم واللغة العربية ترابط شديد الصلة، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين ، فالهجوم على اللغة العربية هجوم على القرآن، والنيل من اللغة هو نيل من القرآن، والمحاولات والمعاول التي تهدم اللغة العربية إنما هي معاول هدم القرآن.

ويزعم المشككون في دين الله تعالى «أن القرآن قد حوى في آياته ألفاظا أعجمية، غير عربية فهو مزيج من لغات شتى»[1].

والرد علي هذا الكلام المزعوم الكاذب لابد أن نعلم.

أولًا: أجمع العلماء على أنه ليس في القرآن " كلام مركب من كلمتين فأكثر من ألفاظ أعجمية غير عربية "

(١) (المنار في علوم القرآن محمد علي الحسن).

السَّادَة لِلفِكرِ والثَّقافَة
www.sadah.net

وأجمعوا على أن في القرآن "أسماء أعلام أعجمية " مثل: نوح، ولوط، وإسرائيل، وجبريل. وعمران واسماعيل وابراهيم، قال الإمام القرطبي -رحمه الله- في "مقدمة تفسيره": لا خلاف بين الأئمة أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب، وأن في القرآن أسماء أعلاماً لمن لسانه غير لسان العرب كإسرائيل وجبريل وعمران ونوح ولوط[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل في القرآن الكريم كلمات أعجمية غير عربية مفردة ؟

والجواب اختلف العلماء بين من قال نعم وبين من لا، ومن قال نعم يوجد في القرآن كلمات منفردة بغير العربية. اختلفوا في حصر هذه الكلمات بين مكثر ومقل، فقد حصرها الإمام الغزالي في كلمتين أو ثلاث، وحصرها تاج الدين السبكي بسبعة وعشرين كلمة ونظمها شعرا، وزادها الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني أربعة وعشرين لفظا ونظمها شعرا أيضا، كما زادها الإمام السيوطي بضعة وستين لفظا فتمت أكثر من مائة لفظ[2].

بعض هذه الألفاظ الأعجمية في القرآن:

سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿فرت من قسورة﴾ [المدثر: ٥١] قال: هو بالعربية الأسد، وبالفارسية جاد، وبالقبطية أريا، وبالحبشية قسورة، وحين سئل ابن عباس عن معنى قوله تعالى: ﴿إنه كان حوبا كبيرا﴾[النساء: ٢] قال: حوبا بلغة الحبشة، وبالعربية إثما، وعن ابن مسعود أنه فسر لفظ ناشئة في قوله تعالى من سورة المزمل: ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا﴾[المزمل: ٦] قال: الناشئة هي بالحبشية، وبالعربية قيام الليل، وبما روي عن مجاهد أنه فسر القسط في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط﴾ [النساء: ١٣٥] قال: إن القسط بالرومية وبالعربية العدل.

تفاصيل أقوال العلماء:

القول الأول: من العلماء من قال أنه لا يوجد في القرآن الكريم كلمات غير العربية، فلا وجود لألفاظ أعجمية في القرآن، وهو مذهب الإمام الشافعي والامام الطبري و بدر الدين الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن وقالوا أن هذه

---

(١) تفسير القرطبي (١ / ٦٨) .
(٢)ينظر الإتقان في علوم القرآن، ومقدمة تفسير ابن جرير الطبري.

الكلمات كلمات عربية غير أعجمية، كان العرب يتكلون بها فأندثرت فأحياها القرآن مرة أخرى.

ووافقهم أهل اللغة، فقالوا القرآن كله عربي وليس فيه كلمة واحدة، غير عربية، لقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ [يوسف: ٢]، وقوله تعالى: ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾[فصلت: ٣]، وقوله: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾[الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]، وقوله: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾[إبراهيم: ٤]، والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين .

يقول الإمام الشافعي في رسالته: ومن جماع علم كتاب الله العلم بأن جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب[١]. ويقول الإمام الطبري: أنه غير جائز أن يتوهم على ذي فطرة صحيحة، مقر بكتاب الله، ممن قرأ القرآن وعرف حدود الله، أن يعتقد أن بعض القرآن فارسي لا عربي، وبعضه حبشي لا عربي بعد ما أخبر الله تعالى أنه جعله قرآنا عربيا[٢].

و ذهب فخر الدين الرازي المفسر، والعالم اللغوي ابن فارس إلى هذا الرأي وأطال الاستشهاد على صحة هذا القول[٣].

ويقول أيضا أبو بكر الباقلاني: القرآن عربي لا عجمة فيه، فكل كلمة في القرآن استعملها أهل لغة أخرى فيكون أصلها عربيا إنما غيرها غيرهم تغييرا ما، كما غير العبرانيون فقالوا: للإله، لاهوت، وللناسك: ناسوت.

هذا مذهب العلماء القائلين بعدم وجود كلام غير عربي في القرآن الكريم، وخاصة أن الله نفى ذلك في آيتين من كتابه ، فقال تبارك وتعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾[النحل: ١٠٣]، وقال: ﴿ولو جعلناه أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي وعربي﴾[فصلت: ٤٤]، وقولهم يعتمد على أن هذه الكلمات أصلها أصول عربية ولكنها اندثرت نوعا ما بمرور الزمان وتعاقب الأجيال.

القول الثاني:

وهو وجود كلمات منفردة بغير عربية، هو مذهب الإمام المفسر ابن عطية فأجاز: بأن يكون في القرآن بعض ألفاظ أعجمية، ووافقه بعض الفقهاء ، وهو

---

(١) الرسالة للشافعي، تحقيق أحمد شاكر. ص ٤١ - ٤٣.
(٢) تفسير الطبري جامع البيان ١/ ٢٠
(٣) المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره (ص: ٢٤)

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الذي أيده السيوطي وذكر كلمات منها ما ورد بلسان الحبشة، الأرائك بمعنى السرر، وأواه: المؤمن بمعنى الرحيم، وطوبى اسم للجنة. وبلسان العبرية: مرقوم بمعنى مكتوب، وراعنا وهي كلمة سب عند اليهود، وبلسان الروم: فصرهن، أي: قطعهن، وطفقا، أي: قَصَدَا، والفردوس بمعنى البستان، وبلسان الفرس: سجيل

وعن مجاهد: سجيل أولها حجارة وآخرها طين، وسرادق بمعنى الدهليز، والسندس بمعنى دقيق الديباج، وبالنبطية: بأيدي سفرة، أي: بأيدي القراء، وبالسريانية: أسفار بمعنى الكتب، وكلمة شهر ذكر بعض أهل اللغة أنها سريانية كذلك ومن أدلتهم : ما وجد من ألفاظ أعجمية كإستبرق، وسندس،

وقالوا: إن النبي ﷺ بُعث للناس كافة، فلا يمتنع وجود أكثر من لغة في القرآن ، بل هو أبلغ في الإعجاز[1].

وقالوا بأن القرآن شامل لجميع لغات العالم استنادا لقوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[الأنعام: ٣٨]

وقالوا: إن القرآن فيه من كل لهجة عربية بل يوجد فيه اللغات الشائعة في زمن نزوله كالفارسية والرومية والعبرية، وهذه مزية من مزاياه لأن القرآن جاء للناس أجمعين، قال الثعلبي: "إنه ليس لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن"، ويرى أن وقوع هذه الألفاظ في القرآن إنما يدل على حكمة احتوائه لعلوم الأولين والآخرين، ومن ضمن ذلك إحاطته بجميع اللغات والألسن.

القول الثالث: بينما ذهب فريق آخر -وهو الوسط بين الفريقين فليس بمبالغ ولا متساهل، ذلك أنهم أثبتوا وجود كلمات أعجمية، ولكنها لما نطق بها العرب أصبحت عربية ،والعرب في جاهليتهم قد استعملوا كلمات أعجمية، ولكنهم قالوها بألسنتهم وأخضعوها لتفعيلاتهم، فأصبحت معربة، فامرؤ القيس استعمل لفظة السجنجل في معلقته المشهورة:

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ***** ترائبها مصقولة كالسجنجل**

والسجنجل بمعنى المرآة وهي لفظة معربة لم يستعملها العرب من قبل،

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: (إن القرآن كله عربي، وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم في أحرف كثيرة من غير لسان العرب، مثل: سجيل ومشكاة واليم والطور وأباريق وإستبرق وغير ذلك، فهؤلاء أعلم بالتأويل وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فلفظت بها العرب بألسنتها، فعربته

(١)ينظر: جلال الدين السيوطي في كتابه، الإتقان في علوم القرآن.

السَّادَة لِلفِكرِ وَالثَّقَافَة
www.sadah.net

فصار عربيا بتعريبها إياه، فهي عربية في هذه الحال)[1]، وأن هذه الألفاظ هي أعجمية في الأصل، عربية بالاستعمال والتعريب[2]. ولعل القول الأخير هو أنسب الأقوال أوسطها .

الآيات والسور

أولًا: تعريف الآية وطرق معرفتها:

معنى الآية لغة، تطلق الآية في اللغة على المعجزة، والعلامة، والدليل، والعبرة، والأمر العجيب، والآية القرآنية في اصطلاح العلماء: هي طائفة من كلمات القرآن لها بداية ونهاية، مندرجة في سورة من سور القرآن الكريم:

طريق معرفة الآي:

طريق معرفة الآية القرآنية هو السماع من النبي -ﷺ، فقد كان رسول الله ﷺ يحدِّد بداية كل الآيات وخواتيمها، حتى لأصحابه، وهم الذين نقلوا لنا ، عدد الآيات في كل سورة كما اخذوها من قراءته -ﷺ.

قال الزمخشري: الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه، ولذلك عدوا ﴿ الم﴾ حيث وقعت ، وهي ست و﴿المص﴾، ولم يعدوا ﴿المر﴾ ولا ﴿الر﴾ وهي في خمسة سور، وعدوا ﴿حَم﴾ آية في سورها، وهي سبعة، و ﴿ حم، عسق﴾

(١) المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره (ص: ٢٧)
(٢) راجع نفس المصدر

آيتان. وكذا عدوا ﴿طه﴾، و ﴿يس﴾، ولم يعدوا ﴿طس﴾ النمل، و ﴿طسم﴾ آية في الشعراء والقصص.

ومما يدل على أن تحديد الآيات أمر توقيفي، لا مجال للاجتهاد فيه قول القاضي ابن العربي: ذكر النبي -ﷺ- أن الفاتحة سبع آيات، وسورة الملك ثلاثون آية، وصحَّ أنه قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران. قال: وفي آياته طويل وقصير، ومنه ما ينقطع ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام، ومنه ما يكون في أثنائه كقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم﴾ على مذهب أهل المدينة، فإنه يعدونها آية، وينبغي أن يعوَّل في ذلك على فعل السلف.

سبب الخلاف في عد الآي:

سبب اختلاف السلف في عد الآي، أن النبي -ﷺ- كان يقف على رءوس الآي ليعلمهم أوائلها وأواخرها، فلما رآهم قد عرفوا ذلك صار يقف أحيانًا على ما يتم به المعنى، فحسب بعضهم أن ما وقف عليه رأس آية. ومن هنا اختلفوا في عد الآي، أضف إلى ذلك أن بعضهم كان يَعُدُّ البسملة آية من السورة، فسورة الفاتحة -مثلًا- عند الجمهور سبع آيات، لكنهم اختلفوا فيما بينهم في البسملة، هل هي آية من الفاتحة أم ليست بآية منها. فمن عدَّها آية من الفاتحة كالكوفيين والمكيين، لم يعتبر: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم﴾ رأس آية، ومن لم يعدها آية من الفاتحة -وهم من سوى أهل الكوفة وأهل مكة- يعدون: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم﴾ آية، ويقفون عليها.

فوائد معرفة الآي:

لمعرفة الآيات فوائد كثيرة منها:

١- إدراك الحد الذي يقع به الإعجاز، فقد صحَّ عند المحققين أن الآية الواحدة إذا كانت في طول سورة "الكوثر" وقع بها التحدي، وثبت عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثلها.

٢- معرفة ما يجزئ من القراءة في الصلاة بعد الفاتحة، فإن أقلَّ ما يجزئ فيها قراءة سورة أو آية في طولها أو ثلاث آيات.

٣- حفظ سبع آيات بديلة عن سورة الفاتحة لمن لم يحفظ الفاتحة -قال السيوطي في الإتقان، والعجيب فيمن يجهل الفاتحة كيف يحفظ من القرآن سبع آيات تقوم مقامها في الصلاة.

٤- معرفة الوقف والابتداء، فإنَّ مَنْ عرف أوائل الآيات وأواخرها أمكنه أن يقف على رأس كل آية، والبدء بالآية التي بعدها .

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عدد آيات القرآن.

- عدد آيات القرآن برواية حفص عن عاصم في مصر والسعودية و الأكثر انتشارا اليوم بين المسلمين ٦٢٣٦ آية

- عدد آيات القرآن بروايتي قالون وورش المتداولتين في شمال أفريقيا ٦٢١٣ آية

- عدد آيات القرآن برواية الدوري المتداول في السودان ٦٢٠٤ آية

١. المصحف المدني الأول	٦٠٠٠ آية
٢. المصحف البصري	٦٢٠٤ آية
٣. المصحف المدني الأخير	٦٢١٣ آية
٤. المصحف المكي	٦٢١٩ آية
٥. المصحف الشامي	٦٢٢٦ آية
٦. المصحف الكوفي	٦٢٣٦ آية

جاء في كتاب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي، مجد الدين

قال فإذا فهمت ذلك فاعلم أَنَّ عدد آيات القرآن عند أَهل الكوفة ستة آلاف ومائتان وستّ وثلاثون آية.

هكذا مسند المشايخ من طريق الكسائي إِلى علىّ بن أَبى طالب. وقال سليم عن حمزة قال: هو عدد أَبى عبد الرّحمن السُّلَمى. ولا شكَّ فيه أَنَّه عن على، إِلا أَنى أجبُن عنه.

وروى عبد الله بن وهب عن عبد الله بن مسعود أَنَّه قال: آيات القرآن ستَّة آلاف ومائتان وثمان عشرة آية. وحروفها ثلاثمائة أَلْف حرف وستمائة حرف وسبعون حرفاً، بكلّ حرف منها عشر حسنات لقارئ القرآن. وروينا عن الفضل بن عبد الحنَّان قال: سمعت أَبا معاذ النحوىّ يقول: القرآن ستَّة آلاف آية ومائتان وسبع عشرة آية. وهو ثلاثمائة أَلف حرف وأَحد وعشرون أَلفَ حرف ومائتان حرف.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وقال: صاحب الإيضاح: عدد آيات القرآن فى قول المدَنىّ الأَوّل ستَّة آلاف ومائتان (وأَربع عشرة آية، وهو أَحد وعشرون وأَلف. وهو العدد الذى رواه أَهل الكوفة عن أَهل المدينة، قال: وفى قول المدنىّ الأَخير ستة آلاف ومائتان) وسبع عشرة آية. وهو عدد شَيْبة بن نِصَاح قال: وفى عدد يزيد بن القعقاع: ستَّة آلاف ومائتان وعشر آيات. قال: وعددها عند أَهل مكَّة ستة آلاف وعشر آيات. وفى بعض الرّوايات مائتان وخمس وفى بعضها مائتان وأَربع. وعند أَهل الشام ستة آلاف ومائتان وستّ (وعشرون آية. وروينا عن ابن عباس وابن سيرين أَنه ستة آلاف ومائتان وست) عشرة آية وعن عطاءِ بن يسارٍ أَنَّه ستَّة آلاف ومائة وتسعون وسبع آيات. وعن قتادة مائتان وثمان عشرة آية.

يقول الفيروز أبادي: ومن هذه الجملة أَلف آية وستمائة آية فى قِصَصِ الأَنبياءِ، وأَلف ومائتان فى شرائع الإِيمان، وأَلف وعشرون فى التوحيد والصّفات، وأَلْف فى ترتيب الولايات، وأَربعمائة فى الرُّقية وتعويذ الآفات، وأَربعمائة فى أَنواع المعاملات، ومائة فى عذر جُرْم العُصات، ومائة فى

ضمان أَرزاق البرّيات، وسبعون فى جهاد الغزات، وخمسون فيما يتعلق بقصد مكّة وعرفات. والباقى فى أَحكام النكاح، وطلاق المنكوحات. .([1])

وسبب الإختلاف

كما قال مجد الدين الفيروزآبادي: اعلم أَنَّ عدد سور القرآن . بالاتِّفاق . مائة وأَربعة عشر سورة، وأَمّا عدد الآيات: فإِن صدر الأُمّة وأَئمة السّلف من العلماءِ والقراءِ كانوا ذوي عنايةٍ شديدة في باب القرآن وعِلمه، حتى لم يبق لفظ ومعنى إِلاَّ بحثوا عنه، حتى الآيات والكلمات والحروف، فإِنهم حَصَروها وعدُّوها، وبين القرّاءِ في ذلك اختلاف، لكنَّه لفظي لا حقيقي،

مثال ذلك أَنَّ قرّاءَ الكوفة عدُّوا قوله: والقرآن ذِي الذكر . آية، والباقون لم يعدّوها آية، وقراء الكوفة عدّوا، قَالَ فالحق والحق أَقُولُ . آية والباقون لم يعدّوها، بل جعلوا آخر الآية: فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ، و: لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ . وهكذا عدّ أَهل مكَّة والمدينة والكوفة والشَّام آخر الآية والشياطين كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ . وأَهل البصرة جعلوا آخرها: وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأصفاد . ولا شكَّ أَنَّ ما هذا سبيله اختلاف في التَّسمية لا اختلاف في القرآن، ومن هاهنا صار عند بعضهم آيات القرآن أَكثر، وعند بعضهم أَقلّ، لا أَن بعضهم

[1]: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي، مجد الدين جلد : ١ صفحه : ٥٥٨

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يزيد فيه، وبعضهم ينقص، فإنَّ الزّيادة والنّقصان في القرآن كفر ونفاق، على أنّه غير مقدور للبشر، قال تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.

وأَما الحروف فإن بعض القراءِ عدّ الحرف المشدّد حرفين، فيكون على هذا القرآن عنده أكثر..([1])

وأوضح الزركشي في البرهان سبب هذا الاختلاف في عد الآي فقال: وَاعْلَمْ أَنَّ سَبَبَ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي عَدِّ الْآيِ وَالْكَلِمِ وَالْحُرُوفِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ كَانَ يَقِفُ عَلَى رُءُوسِ الْآيِ لِلتَّوْقِيفِ، فَإِذَا عُلِمَ مَحَلُّهَا وَصَلَ لِلتَّمَامِ فَيَحْسَبُ السَّامِعُ أَنَّهَا لَيْسَتْ فَاصِلَةً، وَأَيْضًا الْبَسْمَلَةُ نَزَلَتْ مَعَ السُّورَةِ فِي بَعْضِ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ فَمَنْ قَرَأَ بِحَرْفٍ نَزَلَتْ فِيهِ عَدَّهَا، وَمَنْ قَرَأَ بِغَيْرِ ذَلِكَ لَمْ يَعُدَّهَا. انتهى.([2])

فعن أم سلمة أنها قالت: "كَانَ رَسُولُ اللهِ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ، يَقْرَأُ: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالِمِينَ. ثُمَّ يَقِفُ. الرَّحمنِ الرَّحِيمِ. ثُمَّ يقِفُ. ..." .

ثانيا: تعريف السورة وطريق معرفتها:

معنى السورة:

السورة في اللغة قال ابن منظور «والسورة: المنزلة، والجمع سور، والسورة من البناء: ما حسن وطال، والجمع سور ... ويجوز أن يجمع على سورات، وسورات[3]، وأنشد النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

معناه: أعطاك رفعة وشرفا ومنزلة، وقال ابن فارس: «سور: السين والواو والراء أصل واحد يدل على علو وارتفاع»[4]، وتطلق على ما ذكره صاحب القاموس بقوله: والسورة: «المنزلة»، ومن القرآن معروفة؛ لأنها منزلة بعد منزلة:

---

[1] : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي، مجد الدين جلد : ١ صفحه : ٥٥٨

[2] [البرهان في علوم القرآن: ١/٢٥١-٢٥٢]

[3] «لسان العرب لابن منظور. ط ٣ دار إحياء التراث العربى ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م».

[4] «مقاييس للغة، لابن فارس. ..

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

مقطوعة عن الأخرى، «والشرف» «وما طال من البناء وحسن»، «والعلامة»، «وعرق من عروق الحائط»[١]. أهـ .

قالوا: وهي -أي السورة - مأخوذة من سور المدينة، لوضع الكلمة بجانب الكلمة، والآية بجانب الآية، كالبنيان توضع كل لبنة فيه بجانب لبنة. السورة: معنى العلو والرفعة أو لأنها حصن وحماية. وطول وقصر السور من عند الله تعالي فهذه من الطوال وهذه من القصار.

السورة اصطلاحا: طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع[٢]. يعنى: بداية ونهاية قال الجعبري: السورة هي: قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات[٣].

وسميت بهذا الاسم: سميت جملة الآيات القرآنية ذات المطلع والمقطع سورة لكمالها وتمامها، لشرفها وارتفاعها، فإنها تحيط بآياتها إحاطة السور بالبناء، وترتفع بقارئها وحافظها حيث الشرف في الدنيا والآخرة.

كيفية معرفة السور:

من المعلوم والمقرر لدى أهل العلم أن ترتيب الأيات أمر توقيفي من عند الله تعالي

ولقد تحددت السورة القرآنية بفاتحتها وخاتمتها بتوقيف من الله تعالى، وليس باجتهاد من بشر أيا كان، وكان الصحابة- رضى الله عنهم- يعرفون السورة الجديدة بنزول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، كما بين النبى صلّى الله عليه وسلم ذلك من خلال قراءته. (٤)

يقول الزرقانى - رحمه الله- «ومرجع الطول والقصر والتوسط، وتحديد المطلع والمقطع إلى الله وحده لحكم سامية»[٥].

---

(١)**المعجم** :المعجم الوسيط
(٢) الحديث في علوم القرآن والحديث (ص: ١٨)
(٣)مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٣٥٠)
(٤) كتاب الموسوعة القرآنية المتخصصة [مجموعة من المؤلفين]
(٥)محمد عبد العظيم الزرقانى. مناهل العرفان ١/ ٣٥٠ ط دار الكتب العلمية ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م» .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عدد سور القرآن:

يقول الإمام الزركشي: «واعلم أن عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحل والعقد مائة وأربع عشرة سورة، كما هى فى المصحف العثمانى، أولها الفاتحة وآخرها الناس[1]، قال مجاهد: ثلاث عشرة[2]. بجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين وعدم البسملة. والرد على هذا تسمية النبي صلّى الله عليه وسلم كلا منهما باسمه، والأول هو المعتمد عند علماء الأمة.

أسماء السور:

والأصل أن التسمية من عند الله تعالى، وهو أعلم بمراده من تسميةِ كل سورةٍ بكل اسمٍ، فالقرآن كلامه، والآيات آياته والسور سوره فله سبحانه أن يسمّي كل سورة بما أراد.

ولقد ذهب كثير من علماء علوم القرآن إلى أن تسمية سور القرآن الكريم إنما كانت على نسق تسمية العرب لقصائدهم وأشعارهم، فنجد الشاعر يختار اسما لقصيدته من خلال قصيدته ، ويعتمد علي مضمونها، أو ما ندر منها، وهذا هو المعمول به في الجاهلية والإسلام عند الشعراء حتى المعاصرين سلكوا نفس المسلك، كشوقي، وحافظ إبراهيم، والبارودي، ومن كان في الإسلام مثل: المتني، وأبو نواس، والفرزدق،، وغيرهم.

ومن قبلهم في الجاهلية أمثال: امرؤ القيس، النابغة، زهير، طرفة بن العبد، لبيد، عنترة، عمرو بن كلثوم، الحارث بن حلزة، الأعشى، عبيد بن الأبرص.

مثال لأسماء قصائد قديمة وحديثة:

١- قصيدة (قفا نبك) لأمرئ القيس.

٢- قصيدة (قذى بعينك) للخنساء.

٣ – قصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير.

٤ – قصيدة: (ألا هبّي بصحنك فاصبحينَا) الشاعر عمرو بن كلثوم.

٥ – قصيدة (أراك عصي الدمع) لأبي فراس الحمداني.

٦ – قصيدة: (لله نافلة الأجل الأفضل) للشاعر لبيد بن ربيعة.

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي .
(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٥١)

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٧ – قصيدة (على قدر أهل العزم) للمتنبي.

٨. قصيدة (نهج البردة) لأحمد شوقي.

قال الزركشي في " البرهان ": ينبغي البحث عن تعداد الأسماء، هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معان كثيرة يقتضي اشتقاق أسمائها، وهو بعيد، قال: وينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به، ولاشك أن العرب تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب[١].

يقول العلامة أبو شهبة:

يكون في الشيء، من خلُقٍ أو صفة تخصه، أو يكون معه أحكم، أو أكثر، أو أسبق، لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام، أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن، كتسميةِ (البقرة) بهذا الاسم؛ لقرينة قصةِ البقرةِ المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها ؛ فالعرب يسمون الخطبة، أو القصيدة الطويلة بأشهر شيء فيها، وعلى هذا والله أعلم تسمت كل سورة بهذا، كسورة البقرة سميت بهذا الاسم لذكر قصة البقرة فيها ، وعجيب الأحداث فيها، كما سميت سورة النساء بهذا الاسم لما جاء فيها من من أحكام النساء ، وكذا سورة المائدة، لذكر صفة مائدة عيسي عليه السلام»[٢].

هذا هو الغالب والله أعلم ولا شك أن في كل اسم سر، الله أعلم به، فعلى سبيل المثال سورة البقرة سميت بهذا الاسم وقد ذكر فيها قصص كثيرة وموضيع مهمة قصة هاروت وماروت، وتحويل القبلة، والقصاص، والصيام، والإيلاء، والرضاع، وأحكام الربا، وآية الدّين، والكرسي وأحكام الإنفاق والصدقة،

والعجيب أن الله تعالي لم يسمها سورة الكرسي مثلا ، مع أنها أعظم أية في القرآن، أو سورة الصيام ، أوسورة القبلة ، وهكذا ولكن الله خصّها بهذا الاسم لماذا ؟ العلم عند الله تعالى . وهكذا في بقية السور.

يقول الدكتور إبراهيم خليفة: «وما يرجح هذا أسامى سور القرآن جاءت على خلاف ما يسمى به الناس، فإن كانت السورة الأولى سميت بالفاتحة فلم تسمّ السورة الأخيرة بالخاتمة. وإن سميت بعضها بأغرب ما فيها فلم يتوافر ذلك فى كل السور. فلو عرضت سورة النمل على اجتهادات البشر لذهبوا إلى تسميتها

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي .
(٢) كتاب المدخل لدراسة القرآن الكريم، د. محمد محمد أبو شهبة، (ص٣٢١) .

السَّادَة لِلفِكْرِ وَالثَّقَافَة
www.sadah.net

بسورة الهدهد مثلا لأن قصته أعجب من قصة النملة، ودوره أغرب من دورها»[١].

تعدد أسماء السورة:

قد يكون للسورة اسم واحد وهو أكثر السور، وقد يكون لها أكثر من اسم كسورة البقرة، يقال لها: (فسطاط القرآن)، لعظمها وبهائها، ويقال لها: (سورة النساء العظمى) لما اشتملت عليه من أحكام النساء، وكسورة المائدة، يقال لها: (سورة العقود، والمنقذة)، وسورة براءة، تسمى: (التوبة، والفاضحة، والحافرة، والعذاب، والمقشقشة، والبحوث، والمبعثرة)، وأيضا سورة الإسراء تسمّى (بني إسرائيل)، وسورة محمد ﷺ وتسمى أيضًا (القتال) وسورة سأل وتسمى أيضا (المعارج) وسورة عمّ وتسمى أيضا (النبأ، والتساؤل، والمعصرات)، وسورة أرأيت وتسمى أيضا (الدِّين، والماعون)، وسورة الإخلاص وتسمى أيضا (الأساس)، وسورتا الفلق والناس وتسميان أيضا (المُعوِّذَتَيْن) بكسر الواو المشددة[٢].

وقد ذكر الإمام السيوطي رحمه الله السور ذات الأسماء المتعددة في كتابه الإتقان في علوم القران.

أسماء السور بين التوقيف والاجتهاد:

للعلماء في ذلك مذهبان:

المذهب الأول:

أن أسماء السور توقيفية، واستدلوا لذلك بذكر النبى صلّى الله عليه وسلم لأسماء بعض السور، كفاتحة الكتاب، وسورة البقرة، وآل عمران، والنساء، وغيرها، وبشهرة السور بأسمائها بين الصحابة -رضي الله عنهم- وتواترها بين أجيال الأمة حتى هذا الحين، دون أن يختلف عليها أهل قرنٍ عن غيرِهم، ولا أهل مكانٍ عمَّن سواهم.

وقال السيوطي رحمه الله: "وقد ثبتت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك" [٣]، ومما يدل لذلك ما

---

(١) منة المنان في علوم القرآن .. التفسير الموضوعي دراسات في القرآن .. موسوعة علوم القرآن الكريم للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

(٢) كتاب المدخل لدراسة القرآن الكريم، د. محمد محمد أبو شهبة، (ص٣٢١) .

(٣) "الإتقان" (١٤٨/١) .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: كان المشركون يقولون: سورة البقرة، سورة العنكبوت، يستهزءون بها، فنزل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[الحجر- ٩٥] »[١]، وهو مذهب أكثر العلماء فقالوا أن سور القرآن كلها توقيفية عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "لِسوَر القرآن أسماءٌ سمّاها بها رسول الله ﷺ"[٢]، انتهى.

وقال الزركشي رحمه الله: "ينبغي البحث عن تعداد الأسامي : هل هو توقيفي ، أو بما يظهر من المناسبات ؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفَطِنُ أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها، وهو بعيد"[٣]. انتهى.

وقال العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله: "وأما أسماء السور فقد جُعلت لها من عهد نزول الوحي ، والمقصود من تسميتها تيسير المراجعة والمذاكرة"[٤].

يقول الدكتور إبراهيم خليفة: «وما يرجح هذا أسامى سور القرآن جاءت على خلاف ما يسمى به الناس، فإن كانت السورة الأولى سميت بالفاتحة فلم تسمّ السورة الأخيرة بالخاتمة. وإن سميت بعضها بأغرب ما فيها فلم يتوافر ذلك فى كل السور. فلو عرضت سورة النمل على اجتهادات البشر لذهبوا إلى تسميتها بسورة الهدهد مثلا لأن قصته أعجب من قصة النملة، ودوره أغرب من دورها»[٥].

المذهب الثاني:

أن أسماء السور اجتهادية، ولعلهم اعتمدوا في هذا على عدم ورود اسم كل سورة من طريق التوقيف، وإن وقع هذا لبعض السور.

قال الشيخ الجديع: "لم يرد نص بتسمية كل سورة من سور القرآن باسم يخصها، إنما وردت أحاديث كثيرة في تسمية كثير من السور، كالفاتحة والبقرة وآل عمران، وغيرها، ولم يحفظ ذلك في كل السور "[٦].

ولقد قسم بعض العلظاء أسماء السور فقالوا السور تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما ثبت تسميته عن النبي ﷺ.

---

(١)"رواه بن ابي حاتم
(٢)جامع البيان" (١/١٠٠) .
(٣)البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (١/٢٧٠) .
(٤) التحرير والتنوير، (١/٨٨) .
(٥) منة المنان في علوم القرآن .. التفسير الموضوعي دراسات في القرآن .. موسوعة علوم القرآن الكريم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
(٦) الشيخ الجديع – في (المقدمات الأساسية) ص ١٣٦ –

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الثاني: ما ثبت تسميته عن الصحابة رضي الله عنهم.

الثالث: ما تعارف عليه الناس بعدهم في تسمياتهم لبعض السور، كحكايتهم لأول السورة اسمًا لها؛ كقولهم: سورة أرأيت. وسورة عم وسورة تبارك ....

تقسيم سور القرآن من حيث الاسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ماله اسم واحد، وهو أكثر سور القرآن. مثل النساء والأعراف والأنعام وغيرها.

الثاني: ما له أكثر من اسم، ويشمل هذا النوع سوراً لها اسمان كسورة (محمد)، حيث تسمى (القتال)، وسورة (الجاثية) تسمى (الشريعة)، وسورة (النحل) تسمى (النِّعم) لما عدد الله فيها من النِّعم على عبادة.

الثالث: سورًا لها ثلاثة أسماء مثل (المائدة) وتسمى (العقود) و (المنقذة)، ومثل سورة (غافر) وتسمى (الطّول) و (المؤمن).

الرابع: سورًا لها أكثر من ثلاثة أسماء مثل سورة (التوبة) اسمها (براءة) و (الفاضحة) و (الحافرة) وقال حذيفة هي سورة (العذاب) وقال ابن عمر كنا ندعوها (المُشقْشِقَة) وقال الحارث بن يزيد: كانت تدعى (المُبَعْثِرة) ويقال لها (المُسورة) ويقال لها (البَحُوث).

وكسورة الفاتحة فقد ذكر السيوطي لها خمسة وعشرين اسماً منها (أم الكتاب) (أم القرآن) و (السبع المثاني) و (الصلاة) و (الحمد) و (الوافية) و (الكنز) و (الشافية) و (الشفاء) و (الكافية) و (الأساس).

ولقد توسع العلماء في أسماء السور جدا، ولعلنا ننقل بعضا مما ذكروه حتي تعم الفائدة

وكما سبق اتضح أنه قد يكون للسورة اسمٌ واحدٌ، وقد يكون لها اسمان فأكثر:

مثلا (الفاتحة)، ذكر السيوطي -رحمه الله تعالى-: لها نيفاً وعشرين اسما **أولها**: (فاتحة الكتاب)؛ لأنها افتتح بها المصحف. **ثانيها**: (فاتحة القرآن). **ثالثها**: (أم الكتاب). وكره الحسن أن تسمى (أم الكتاب)؛ لأن (أم الكتاب) هو اللوح المحفوظ. وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة تسميتها بذلك. واختلفوا لم سميت (أم الكتاب)، فأحسن ما قيل: أم الشيء أصله، وهي أصل القرآن من حيث انطوائها على جميع أغراض القرآن وما فيه من العلوم والحكم. **رابعها**: (أم القرآن). **خامسها**: (القرآن العظيم) كما سميت بذلك. روى أحمد عن أبي هريرة

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لأم القرآن وهي أم القرآن، وهي السبع المثاني وهي القرآن العظيم»[1]، وسميت بذلك لاشتمالها على المعاني التي في القرآن". **سادسها**: (السبع المثاني)، واختلفوا في سبب تسميتها بذلك، فقيل: المثاني مشتق من الثناء؛ لما فيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى. وقيل: لأنها تثنى في كل ركعة، وقيل: لأنها تثنى بسورة أخرى. وقيل: لآنها نزلت مرتين. **سابعها**: (الوافية)، كل سفيان بن عيينة يسميها بها. قال المرسي: لأنها جمعت بين ما لله وما للعبد. **ثامنها**: (الكنز) لجمعها جميع معاني القرآن. **تاسعها**: (الكافية). **عاشرها**: (الأساس) لأنها أصل القرآن. **حادي عشرها**: (النور). **ثاني عشرها**: سورة (الحمد). **ثالث عشرها**: سورة (الشكر). **رابع عشرها**: سورة (الحمد الأولى). **خامس عشرها**: (الحمد القصوى). **سادس عشرها**: (الراقية). **سابع عشرها**: (الشفاء). **ثامن عشرها**: (الشافية). **تاسع عشرها**: سورة (الصلاة). **العشرون**: (الصلاة) لحديث: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي. **الحادي والعشرون**: سورة (الدعاء). **الثاني والعشرون**: سورة (السؤال)، ذكره الإمام فخر الدين. **الثالث والعشرون**: سورة (تعليم المسألة). **الرابع والعشرون**: سورة (المناجاة) لأن العبد يناجي فيها ربه. **الخامس والعشرون**: سورة (التفويض)، لاشتمالها عليه في قوله: (وإياك نستعين) [الفاتحة: ٤] قال السيوطي - رحمه الله تعالى -: هذا ما وقفت عليه من أسمائها، ولم تجتمع في كتاب قبل هذا[2]. انتهى.

سورة (البقرة)، ورد في حديث مرفوع أخرجه في " الفردوس " تسميتها (فسطاط القرآن)، وذلك لعظمها وجمعها أحكاماً ليست في غيرها. قال في " الصحاح ": والفسطاط بيت كبير من الشعر، وفيه لغات: فسطاط، وفسطاط، وفسطاط. وكسر الفاء، لغة فيهن. وقال في "النهاية": قال الزمخشري: هو ضرب من الأبنية في السفر دون السرادق. وبه سميت المدينة. ويقال لمصر والبصرة: فسطاط[3]. وورد تسميتها (سنام القرآن)، وسنام كل شيء أعلاه.

سورة (آل عمران): روى سعيد بن منصور في "سننه" عن أبي عطاف قال: اسم (آل عمران) في التوراة (طيبة)، وفي " صحيح مسلم " تسميتها والبقرة (الزهراوين).

سورة (المائدة): تسمى (العقود) و (المنقذة).

سورة (الأنفال): أخرج أبو الشيخ عن سعي بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الأنفال. قال: تلك سورة (أهل بدر).

---

(١) رواه أحمد
(٢) الإتقان للسيوطي و الزيادة والإحسان في علوم القرآن (١/ ٣٨٢)
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير .

سورة (براءة): تسمى (التوبة)، لقوله تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبي..﴾ الآية [التوبة: ١١٧]. و(الفاضحة)، أخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «سورة (التوبة). قال: بل هي (الفاضحة)، ما زالت تتنزل حتى ظننا أن لا يبقى أحد منا إلا ذكر فيها»[١]، وكذا أورد عن سيدنا عمر رضي الله عنه. وسورة (العذاب)، أخرج الحاكم في المستدرك عن حذيفة رضي الله عنه قال: التي تسمونها سورة (التوبة) هي سورة (العذاب).

وكذا روي عن سيدنا عمر تسميتها (المشقشقة)

روي عن ابن عمر أنه قال: «ما كنا ندعوها إلا (المشقشقة) أي: المبرئة من النفاق»، قال في " الصحاح ": وتقشقش المريض، أي: برئ، قال الأصمعي: وكان يقال لـ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾، و﴿قل هو الله أحد﴾ المشقشقتان، أي: أنهما يبرئان من النفاق والشك. قال أبو عبيدة: كما يشقشق الهناءة الجرب فيبريه، و(المستقصية) لأحوال أهل النفاق، وهتكهم. و(المنقرة)، روى الشيخ عن عبيد بن عمير قال: «كانت تسمى (برءاة) (المنقرة)، نقرت عن ما في قلوب المشركين». و(البحوث) - بفتح الباء -، أخرج الحاكم عن المقداد أنه قيل له: «لو قعدت العام عن الغزو، فقال: أبت علينا البحوث»، يعني (برءاة)، مأخوذة من البحث، وهو التفتيش والاستقصاء في كشف الأمور الخفية. و(الحافرة) ذكره ابن الفرس؛ لأنها حفرت عن قلوب المنافقين. و(المثيرة) أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة: «وكان يقال: (المثيرة) لأنها أنبأت بمثالبهم وعوراتهم»، أي: المنافقين. و(المبعثرة) لأنها بعثرت أسرار المنافقين.

وذكر في (جمال القراء) من أسمائها: (المخزية)، و(المنكلة) و(المشردة) و(المدمدمة)، فهذه ثلاثة عشر اسمًا لسورة (براءة)[٢].

سورة (النحل): قال قتادة: «تسمى سورة النِّعَم»[٣]. أخرجه ابن أبي حاتم. قال ابن الفرس: « لما عدد الله جل شأنه فيها من النعم على عباده»[٤].

سورة (الإسراء): تسمى سورة (سبحان)، وسورة (بني إسرائيل).

سورة (الكهف): ويقال سورة (أصحاب الكهف)، وتسمى (الحائلة)، تحول بين قارئها وبين النار. وفي الحديث مقال

سورة (طه): تسمى (الكليم)، ذكره السخاوي في "جمال القراء"[١].

---

(١) رواه البخاري. .
(٢)الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٩٣) البرهان في تناسب سور القرآن (ص: ٣٨٤)
(٣) رواه ابن أبي حاتم ..
(٤)الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٩٣)

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سورة (الشعراء): وقع في تفسير الإمام مالك -رحمه الله تعالى- تسميتها بسورة (الجامعة)[٢].

سورة (النمل): تسمى سورة (سليمان) عليه السلام.

(السجدة): تسمى سورة (المضاجع).

(فاطر): تسمى سورة (الملائكة).

(يس): تسمى (قلب القرآن)، و (المعمة) تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة، وتسمى (المدافعة) و (القاضية) تدفع عن صاحبها كل سوء، وتفضي له كل حاجة، وتسميتها بهذه الثلاثة الأسماء بهذا اللفظ أخرجه البيهقي وقال: إنه منكر. والله أعلم.

(الزمر): تسمى سورة (الغرف).

(غافر): تسمى (الطول) و (المؤمن).

(فصلت): تسمى (السجدة) وسورة (المصابيح).

(الجاثية): تسمى (الشريعة) وسورة (الدهر)، حكاه الكرماني في العجائب.

سورة (محمد): تسمى (القتال).

(ق): تسمى (الباسقات).

(اقتربت): تسمى (القمر)، وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنها تدعى في التوراة المبيضة، تبيض وجه صاحبها يوم تسود وجوه». وقال إنه منكر.

(الرحمن) تسمى «عروس القرآن»[٣]، روي ذلك عن علي – رضي الله عنه - مرفوعًا. أخرجه البيهقي.

(المجادلة): سميت في مصحف أبي (الظهار).

(الحشر): «تسمى سورة (بني النضير)» ، كما في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(الممتحنة): قال ابن حجر: المشهور في هذه التسمية أنها بفتح الحاء، وقد تكسر، فعلى الأول هي وصف المرأة التي نزلت بسببها، وعلى الثاني هي صفة السورة. وفي " جمال القراء " تسمى: سورة (الامتحان)، وسورة (المودة).

---

(١) جمال القراء . الزيادة والإحسان في علوم القرآن (١/ ٣٨٥)

(٢) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٩٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٦٩) دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي ص: ١٠٦)

(٣) رواه البيهقي .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(الصف): تسمى سورة (الحواريين).

(الطلاق): تسمى سورة (النساء القصرى). هكذا سماها ابن مسعود. أخرجه البخاري

(التحريم): تسمى سورة (لم تحرم).

(تبارك): تسمى سورة (الملك) و (الممانعة)، و(المنجية) و(المجادلة)، كل ذلك أورده في " جمال القراء"، وتسمى أيضًا (الواقية) و(المانعة).

سأل: تسمّى: (المعارج) و(الواقع).

عم: يقال لها (النبأ)، و(التساؤل)، و(المعصرات).

(لم يكن): تسمى سورة (أهل الكتاب) وسورة (البينة) وسورة (القيمة) وسورة (البرية) وسورة (الانفكاك).

(أرأيت): تسمى سورة (الدين) و (الماعون).

(الكافرون): تسمى (المشقشقة) وسورة (العبادة). وقال في (النهاية): يقال لسورتي: (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد): المشقشقتان، أي: المبرئتان من الشقاق والشك كما يبرأ المريض من علته. انتهى.

(النصر): تسمى سورة (التوديع).

(تبت): تسمى سورة (المسد).

(الإخلاص): تسمى سورة (الأساس).

(الفلق والناس): يقال لهما (المعوذتان) بكسر الواو، والمشقشقتان، من قولهم: (خطيب مشقشق) من شقشقة البعير، أي: هدره. ([1])

مجموعة سور لها اسم واحد

وقد تسمى عدة سور باسم واحد: ومن ذلك تسمية البقرة وآل عمران بـ (الزهراوين) وتسمية سورتي الفلق والناس بـ (المعوذتين) وتسمية السور المبدوءة بـ (حم) بـ (الحواميم).

([1]) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٩٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٦٩) دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: ١٠٦)

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

تقسيم سور القرآن

قسّم العلماء السور القرآنية إلى أربعة أقسام: ١ - السبع الطوال. ٢ - المئون. ٣ - المثانى. ٤ - المفصل. واعتمدوا فى هذا على ما أخرج أحمد وأبو عبيد من رواية سعيد بن بشير عن قتادة عن أبى المليح عن واثلة بن الأسقع عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: «أعطيت السبع الطّول مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضّلت بالمفصل»[١].

السبع الطوال:

ويقال لها الطّول، وسميت بذلك لطولها، وهى سبع سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، والسابعة: الأنفال مع التوبةلاتحاد موضوعهما وعدم الفصل بينهما بالبسملة، فكانتا كالسورة الواحدة. ورجّح السيوطي في «الإتقان» رواية ابن أبى حاتم وغيره عن سعيد بن جبير، وغيره أن السورة السابعة هى سورة يونس، بدلا من الأنفال والتوبة[٢].

جاء من حديث أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري، قال: سمع عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أنَّ وفد أهل مصر قد أقبلوا فاستقبلهم فلما سمعوا به أقبلوا نحوه، قال: وكره أنْ يقدموا عليه بالمدينة فأتوه فقالوا له: ادع المصحف

---

(١) رواه أحمد وأبو عبيد
(٢)الموسوعة القرآنية المتخصصة (١/ ٢٢٣)

السَّادَة لِلفِكرِ وَالثَّقَافَة
www.sadah.net

وافتح السابعة وكانوا يسمون سورة يونس السابعة فقرأها حتّى أتى على هذه الآية {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ} ، وقالوا له: قف. أرأيت ما حميت من الحمى، آلله أذن لك أم على الله تفترون؟ فقال: امضه، نزلت في كذا وكذا، فأما الحمى، فإنَّ عمر حمى الحمى قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة، فزدت في الحمى لما زاد في الصدقة.([1])

المئون:

وهى السور التالية للسبع الطوال إلى سورة الشعراء، وسميت بذلك لأن كل سورة منها مائة آية أو نحوها.

المثانى:

فهى السور التالية للمئين إلى سورة الحجرات أو سورة [ق]، وسميت بهذا الوصف لأنها ثانية بعد المئين، والمئون أولى بالنسبة لها. «وقال الفراء: هى السورة التى آياتها أقل من مائة، ولأنها تثنى أكثر وأسرع مما يثنى الطوال والمئون، أى تطوى بالقراءة»[٢].

المفصل:

فهو ما يلى المثانى من السور القصار، من سورة الحجرات أو (ق) إلى سورة الناس- على ما رجّحه العلماء .

روى أحمد وغيره من حديث حذيفة الثقفى، وفيه: «أن الذين أسلموا من ثقيف سألوا الصحابة- رضى الله عنهم: كيف تحزّبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل من (ق) حتى النهاية»[٣]، وسمى المفصل بذلك لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة، لقصرها وكثرتها.

---

(١) أخرجه: ابن أبي شيبة (٣٧٦٩٠) ، والبيهقي ١٤٧/٦

(٢) الموسوعة القرآنية المتخصصة (١/ ٢٢٣)

(٣) رواه أحمد في مسنده

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وهذا المفصل ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ١- طوال. ٢- وسط. ٣- قصار. وطوال المفصل: من أول سورة الحجرات أو (ق) إلى سورة البروج. ووسط: من سورة الطارق إلى سورة لَمْ يَكُنِ. وقصار: من سورة الزلزلة إلى آخر سورة الناس.

ألقاب وتسميات أخرى:

جاء فى كتاب «جمال القراء» عن بعض السلف أنهم كانوا يقولون: في القرآن: ميادين، وبساتين، ومقاصير، وعرائس، وديابيج، ورياض. فميادينه: جمع ميدان، وهو ما افتتح ب (الم). وبساتينه: جمع بستان، وهو ما افتتح ب (الر).
ومقاصيره: جمع مقصورة، وهى الحامدات، أى السور المبدوءة ب (الحمد لله).
وعرائسه: هى المسبحات، أى السور المبدوءة بصيغة من صيغ التسبيح.
وديابيجه: جمع ديباجة، وهى آل عمران. ورياضه: جمع روضة وهى المفصل[١].

مسألة:

قد كره بعض العلماء أن يقال: سورة كذا ، أي سورة البقرة أو يقال سور آل عمران وهكذا.

لما روى الطبراني والبيهقي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: لا تقولوا سورة (البقرة) ولا سورة (آل عمران) ولا سورة (النساء) وكذلك القرآن كله، ولكن قولوا: السورة التي تذكر فيها البقرة، والتي يذكر فيها آل عمران

قال الحافظ السيوطي -رحمه الله تعالى-: وإسناده ضعيف، بل ادعى ابن الجوزي فيه الوضع، وقال البيهقي: «إنما يعرف موقوفًا على ابن عمر»[٢]، ثم أخرجه عنه بسند صحيح.

وهذا مخالف للسنة فقد صح عن النبي ﷺ إطلاق سورة (البقرة) وآل عمران والنساء والملك وغيرها

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فَافْتَتَحَ البقرة، فقلت: يركع عند المئة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها،

---

(١) جمال القراء .و. الزيادة والإحسان في علوم القرآن (١/ ٣٧٦)
(٢) رواه البيهقي..

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يقرأ مُتَرَسِّلًا: إذا مَر بآية فيها تَسبِيحٌ سَبَّحَ، وإذا مَر بسؤال سَأل، وإذا مَر بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثم ركع، فجعل يقول: «سبحان ربي العظيم» فكان ركوعه نحوًا من قِيَامِهِ، ثم قال: «سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد» ثم قام طويلًا قريبا مما ركع، ثم سجد، فقال: «سبحان ربي الأعلى» فكان سجوده قريبًا من قيامه. - [رواه مسلم]

وأخرج مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لكل شيء سنام، وأن سنام القرآن سورة البقرة» الحديث[1]، فلهذا جاز التسمية بسورة (البقرة) وسورة (آل عمران) وجميع السور، عند الجمهور..

ترتيب السور والأيات:

القارئ للقرآن يجد أن ترتيب السور والأيات لم تكن له قاعدة ثابته ، كمثلا تكون البداية بالسور الطويلة وينتهي الترتيب بالقصار

أو مثلا ترتيب بحيث النزول فيكون الأول ما نزل في أول الدعوة وهكذا حتي وفاة النبيﷺ

قال العلماء

لقد جاء ترتيب السور القرآنية على نسقٍ غير مألوفٍ، وأبرز ما يميز ذلك، أن ترتيب السورِ فى المصحفِ كان على خلافِ ترتيبِ النزولِ، فتجد السورةَ المدنيةَ المتأخرة نزولًا مقدَّمة في المصحف على السورة المكية المتقدّمة نزولًا، والعكس كذلك، بل ربما وقع هذا في الآياتِ نفسِها كآيتَي عِدّة المرأة المتوفّى عنها زوجُها.

كما تتقدم السورة القصيرة على الطويلة، والعكس أيضًا، وتجتمع سور متشابهات فى نسق متتابع، مثل السور التى تبدأ بـ (حم)، بينما تأتي في مقام آخر

(١) رواه مسلم والترمذي .

السَّادَة لِلفِكرِ وَالثَّقَافَة
www.sadah.net

في نسقٍ متفرّقٍ، مثل المسبّحات، ومع هذا فقد اختلف العلماء فى كون هذا الترتيب بالتوقيفِ، أو بالتوفيق والاجتهاد.([1])

أراء العلماء في ترتيب آيات وسور القرآن:

انعقد إجماع الأمة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا الشكل الذي نراه اليوم بالمصاحف، كان بتوقيف من النبي ﷺ عن ربه سبحانه وتعالى، ولا مجال للرأي والاجتهاد فيه، فلقد كان جبريل ينزل بالآيات على الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ويرشده إلى موضع كل آية من السورة، ثم يقرؤها النبي -صلى الله عليه وسلم- على أصحابه، ويأمر كتَّاب الوحي بكتابتها موضحًا لهم مكانها، وموضعها، وكان يتلوه عليهم مرارًا وتكرارًا في صلاتِه وعظاته وخطبه، وكان يعرِضُه علي جبريل كل عام مرة، وعارضه به في العام الأخير مرتين، كل ذلك كان على الترتيبِ المعروفِ لنا في المصاحفِ الآن .

وكان كل من حَفِظَ القرآن أو شيئًا منه من الصحابة، يحفظه مرتبَ الآياتِ على هذا الترتيب، وكان الصحابة الكرام يتدارسونه فيما بينهم، ويقرءونه في صلاتهم، ويتلقاه بعضهم من بعض، بهذا الشكل وبهذا الأسلوب، فليس للخلفاء الراشدين ولا لغيرهم من الصحابة يد ولا اجتهاد في ترتيب شيء من آياتِ القرآن الكريم.

والجمع الذي كان على عهدِ أبي بكر كان على هذا الترتيبِ، وكذلك الجمع الذي كان على عهد عثمانَ لم يتجاوزْ نقله من الصحفِ في مصاحف، وكلا الجمعين كان وفْقَ الترتيبِ المحفوظِ عن النبيّ ﷺ عن الله تعالى. ([2])

وممن حكى هذا الإجماع جماعة منهم الزركشي في البرهان، وأبو جعفر في المناسبات يقول : «ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين»[3].

والدليل ما رواه الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالسا عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال: «أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من السورة ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي

---

[1]) الزرقاني في مناهل العرفان: كتاب: الواضح في علوم القرآن ص٣٤ كتاب الموسوعة القرآنية المتخصصة [مجموعة من المؤلفين] ص٢٢٤

[2]) الزرقاني في مناهل العرفان: كتاب: الواضح في علوم القرآن ص٣٤ كتاب الموسوعة القرآنية المتخصصة [مجموعة من المؤلفين] ص٢٢٤

(٣) البرهان للزركشي،

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾[سورة النحل آية: ٩٠]»[١].

ومنها ما ثبت في السنن الصحيحة من قراءة النبي ﷺ بسور عديدة كسورة البقرة، وآل عمران، والنساء، ومن قراءته لسورة الأعراف في صلاة المغرب، وسورة قد أفلح المؤمنون وسورة «الروم» في صلاة الصبح، وقراءة سورة «السجدة» وسورة هل أتى على الإنسان في صبح يوم الجمعة، وقراءة سورتي «الجمعة والمنافقون» في صلاة الجمعة، وقراءته سورة «ق» في الخطبة، وسورتي «اقتربت وق» في صلاة العيد، كان يقرأ ذلك كله مرتب الآيات على النحو الذي في المصحف على مرأى ومسمع من الصحابة.

ومنها ما رواه مسلم عن عمر قال: «ما سألت النبي ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بأصبعِهِ في صدري، فقال: «تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء»[٢].

أقوال العلماء في ترتيب السور:

اختلف العلماء في ترتيب السور على ثلاثة أقوال:

القول الأول: يقول إنه باجتهاد الصحابة، حيث جعلوا السور الطوال في الأول، ثم المئين بعدها، وهي التي آياتها مائة أو تزيد، ثم المثاني بعدها، وهي التي أقل قليلاً من مائة آية، ثم بعدها المُفَصَّل وهو قصار السور، والمُفَصل نفسه منه طوال ومنه أوساط ومنه قِصار. وأجمع الصحابة على هذا الترتيب، والدليل هذا الرأي أن مصاحف الصحابة كانت مختلفة في ترتيب السور قبل أن يُجْمع القرآن في عهد عثمان .

وما رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان أن « عثمان هو الذي قرن سورة التوبة بسورة الأنفال دون كتابة البسْملة بينهما، وذلك لتشابه قصتهما، مع أن الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وبراءة من أواخر ما نزل بها، ولهذا رُتِّبَتْ ترتيبًا واحدًا»[٣]، وينسب هذا القول إلى عدد من العلماء، منهم مالك والقاضي أبو بكر.

---

(١) رواه أحمد
(٢) رواه مسلم
(٣) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان

ويقول ابن فارس في كتاب «المسائل الخمس»[1]،: «جمع القرآن على ضربين: **أحدهما**: تأليف السور، كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين، فهذا هو الذي تولته الصحابة رضي الله عنهم، وأما **الجمع الآخر**، وهو: جمع الآيات في السور، فذلك شيء تولاه النبي ﷺ، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه عز وجل.

وقد استدلوا على رأيهم هذا بأمرين:

أولًا: أن مصاحف الصحابة كانت مختلفة في ترتيب السور قبل أن يجمع القرآن في عهد عثمان، فلو كان هذا الترتيب توقيفيا منقولا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ساغ لهم أن يهملوه ويتجاوزوه ويختلفوا فيه ذلك الاختلاف الذي تصوره لنا الروايات، فهذا مصحف أبي بن كعب، روي أنه كان مبدوءا بالفاتحة ثم البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأنعام، وهذا مصحف ابن مسعود كان مبدوءا بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران .. إلخ على اختلاف شديد، وهذا مصحف علي كان مرتبا على النزول، فأوله «اقرأ» ثم «المدثر» ثم «ق»، ثم «المزمل»، ثم «تبت»، ثم «التكوير»، وهكذا إلى آخر المكي والمدني.

ثانيًا: ما أخرجه ابن أشته[2]، في المصاحف من طريق إسماعيل بن عباس عن حبان بن يحيى عن أبي محمد القرشي قال: «أمرهم عثمان أن يتابعوا الطوال فجعل سورة الأنفال وسورة التوبة في السبع، ولم يفصل بينهما «ببسم الله الرحمن الرحيم» [3]، أهـ.

والدليل علي هذا ما رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: «قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، ففرقتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم»، ووضعتموهما في السبع الطوال؟ فقال عثمان رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من يكتب فيقول: «ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولًا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله صلى

---

(١)دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ٦٠)

(٢) ابن أشته: هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن أشتة أبي بكر الأصبهاني أستاذ كبير وامام شهير، ونحوي محقق سكن مصر. ذكره «الذهبي» ت ٧٤٨ هـ ضمن علماء الطبقة الثامنة من حفاظ القرآن. كما ذكره «ابن الجزري» ت ٨٣٣ هـ من علماء القراءات.

(٣)راجع المسائل الخمس نقلا عن البرهان للزركشي، (١ / ٢٣٧) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الله عليه وسلم، ولم يبينْ لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم»، ووضعتهما في السبع الطوال»[1] أ.هـ.

القول الثاني: أن ترتيب السور كلها توقيفي بتعليم الرسول ﷺ كترتيب الآيات ولم توضع سورة في مكانها إلا بأمر من ﷺ واستدل أصحاب هذا الرأي بأن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان ولم يخالف منهم أحد، وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف، لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم، لكنهم لم يتمسكوا بها بل عدلوا عنها وعن ترتيبهم، وعدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها، ورجعوا إلى مصحف عثمان وترتيبه جميعا، ثم ساقوا روايات لمذهبهم كأدلة يستند إليها الإجماع[2] .

واستدلوا ما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن حذيفة الثقفي قال: «كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف، إلى أن جاء في هذه الرواية ما نصه: فقال لنا رسول الله ﷺ: «طرأ علي حزب من القرآن، فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه، فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا؟: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، واحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من «ق» حتى نختم»[3]. قالوا: فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله ﷺ.

وكما جاء من حديث أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري، قال: سمع عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أنَّ وفد أهل مصر قد أقبلوا فاستقبلهم فلما سمعوا به أقبلوا نحوه، قال: وكره أنْ يقدموا عليه بالمدينة فأتوه فقالوا له: ادع المصحف وافتح السابعة وكانوا يسمون سورة يونس السابعة فقرأها حتّى أتى على هذه الآية {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ} ، وقالوا له: قف. أرأيت ما حميت من الحمى، آلله أذن لك أم على الله تفترون؟ فقال: امضه، نزلت في كذا وكذا، فأما الحمى، فإنَّ عمر حمى الحمى قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة، فزدت في الحمى لما زاد في الصدقة.(٤)

وانتصر أبو بكر الأنباري لهذا المذهب فقال: أنزل الله القرآن إلى سماء الدنيا ثم فرّقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابا

---

(١) رواه أحمد ولترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم
(٢) راجع كتاب الحديث في علوم القرآن والحديث حسن أيوب (ص٢١) .
(٣) رواه أحمد وأبو داود
(٤) أخرجه: ابن أبي شيبة (٣٧٦٩٠) ، والبيهقي ١٤٧/٦

لمستخبر، ويقف جبريل النبيّ صلّى الله عليه وسلم على موضع السورة، والآيات، والحروف، كله من النبي صلّى الله عليه وسلم فمن قدم سورة أو أخرها أفسد نظم القرآن[١].

وأخرج ابن أشته في كتاب المصاحف من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال قال: سمعت ربيعة يسأل: لم قدّمت البقرة وآل عمران وقد أنزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة، وإنما أنزلتا بالمدينة؟ فقال: قدّمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه به، إلى أن قال: فهذا مما ينتهى إليه ولا يسأل عنه[٢]..

وهو المذهب أبو جعفر النحاس فقال: «المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ لحديث وائلة» «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال»[٣]، ونسبه إلى علىّ بن أبي طالب رضي الله عنه. قال البيهقي في المدخل: كان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتبًا سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة لحديث عثمان[٤].

القول الثالث: أن ترتيب بعض السور كان بتوقيف من النبي صلّى الله عليه وسلم، وترتيب بعضها الآخر كان باجتهاد من الصحابة، وهو قول كثير من العلماء

قد ذهب إلى هذا الرأي فطاحل من العلماء، ولعله أمثل الآراء؛ لأنه وردت أحاديث تفيد ترتيب البعض- كما مر بك من الرأي الثاني القائل بالتوقيف، وخلا البعضُ الآخر مما يفيد التوقيف، بل وردت آثار تصرح بأن الترتيب في البعضِ كان عن اجتهادٍ كالحديث الآنفِ في القول الأول المروي عن ابن عباس[٥].

قال القاضي أبو محمد بن عطية: «إن كثيرا من السور قد علم ترتيبها في حياة النبي صلّى الله عليه وسلم كالسبع الطوال والحواميم والمفصل، وأما ما سوى ذلك فيمكن أن يكون فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده»[٦].

وقال أبو جعفر بن الزبير: الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية، ويبقى فيها قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف كقوله ﷺ: «اقرءوا الزهراوين؛ البقرة وآل عمران»[٧].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٣٥٥)
(٢)الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٢٠)
(٣)مسند الإمام أحمد، رقم (١٧٠٢٣٤) مناهل العرفان: ١/ ٣٥٥
(٤) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢١٨)
(٥) جاء في كتاب الحديث في علوم القرآن والحديث حسن أيوب، (ص٢١).
(٦) المحرر الوجيز، لابن عطية راجع تاريخ نزول القرآن (ص: ٦٧)
(٧) رواه مسلم .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وكحديث سعيد بن خالد: «قرأ رسول الله ﷺ بالسبع الطوال في ركعة»[1].
وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المفصل في ركعة، وروى البخاري عن ابن مسعود أنه ﷺ قال في بني إسرائيل والكهف ومريم، وطه، والأنبياء: «إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي»[2]، قبل آل عمران؛ ومهني من العتاق الأول وهن من تلادى، يعنى هن مما نزل من القرآن أولاً.

قال صاحب العين: (العتيق القديم من كل شيء، والتلاد: ما كسب من المال قديما فيريد أنهن من أول ما حفظه من القرآن؛ لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب، ولعله فعل ذلك لبيان الجواز)[3] اهـ.

قال ابن حجر- رحمه الله- «ترتيب بعض السور على بعضها، أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفيا، والأدلة على ذلك: قول الله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[النساء ٨٢] [4].

ولعل القول الثالث يكون أقرب للصواب والله أعلم جمعا للادلة السابقة: احترام هذا الترتيب: وسواء أكان ترتيب السور توقيفيا أم اجتهاديا فإنه ينبغي احترامه خصوصا في كتابة المصاحف؛ لأنه عن إجماع الصحابة، والإجماع حجة، ولأن خلافه يجر إلى الفتنة، ودرء الفتنة وسد ذرائع الفساد واجب[5].

لزوم الترتيب في القراءة:

ترتيب السور في التلاوة فليس بواجب، وإنما هو مندوب، يقول الإمام النووي في كتابه «التبيان» قال العلماء: الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف فيقرأ الفاتحة، ثم البقرة، ثم آل عمران، ثم ما بعدها على الترتيب، سواء أقرأ في الصلاة أم في غيرها، حتى قال بعض أصحابنا: إذا قرأ في الركعة الأولى سورة قل أعوذ برب الناس يقرأ في الثانية بعد الفاتحة من البقرة، وقال بعض أصحابنا: ويستحب إذا قرأ سورة أن يقرأ بعدها التي تليها، ودليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة، فينبغي أن يحافظ عليها، إلا فيما ورد الشرع باستثنائه، كصلاة الصبح يوم الجمعة، يقرأ في الأولى سورة «السجدة» وفي الثانية هل أتى على الإنسان حين من الدهر، وصلاة العيد في الأولى «ق»، وفي الثانية اقتربت

(١)رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ..
(٢)رواه البخاري .
(٣) العين للخليل بن أحمد وتاج العروس (٢٦/ ١٢٢)
(٤)الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢١٩)
(٥)كتاب الحديث في علوم القرآن والحديث حسن أيوب، (ص٢١) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الساعة. وركعتي الفجر في الأولى: سبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية قل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة قل هو الله أحد والمعوذتين[١].

ولو خالف الموالاة فقرأ سورة لا تلي الأولى، أو خالف الترتيب فقرأ سورة قبلها، جاز فقد جاءت بذلك آثار كثيرة، وقد « قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الركعة الأولى من الصبح بالكهف، وفي الثانية بيوسف»[٢].

وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها فممنوع منعا متأكدا؛ لأنه يذهب بعض ضروب الإعجاز، ويزيل حكمة ترتيب الآيات. وقد روى ابن أبي داود عن إبراهيم النخعي الإمام التابعي الجليل، وعن الإمام مالك ابن أنس أنهما كرها ذلك وكان يعيبه ويقول: هذا عظيم.

قال ابن قدامة في المغني: فصل: والمستحب أن يقرأ في الركعة الثانية بسورة بعد السورة التي قرأها في الركعة الأولى في النظم لأن ذلك هو المنقول عن النبي صلى الله عليه و سلم، وقد روي عن ابن مسعود أنه سئل عمن يقرأ القرآن منكوسا قال : ذلك منكوس القلب وفسره أبو عبيدة بأن يقرأ سورة ثم يقرأ بعدها أخرى هي قبلها في النظم، فإن قرأ بخلاف ذلك فلا بأس به قال أحمد لما سئل عن هذه المسألة لا بأس به أليس يعلم الصبي على هذا ؟ وقال في رواية مهنا أعجب إلي أن يقرأ من البقرة إلى أسفل، وقد روي أن «الأحنف قرأ بالكهف في الأولى وفي الثانية بيوسف»[٣]، وذكر أنه صلى مع عمر الصبح بهما رواه البخاري.

وذهب قوم إلى الكراهية: وقال العلامة ابن قاسم في حاشيته على الروض: "أما السور فقيل يكره وذلك كأن يقرأ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ ثم بعدها ﴿الضحى﴾ في ركعة أو ركعتين، لما روي عن ابن مسعود فيمن يقرأ القرآن منكسا، قال: ذلك منكوس القلب.(٤)

وخلاصة القول: ذهب جمهور العلماء، لجواز قراءة السورة قبل السورة، وكذا في الكتابة، ولهذا تنوعت مصاحف الصحابة، لكن لما اتفقوا على المصحف في زمن عثمان صار هذا مما سنه الخلفاء الراشدون ودلت السنة على أن للصحابة الكرام سنة يجب اتباعها. إلا لمصحة أو لحاجة، كتعليم صبيان أو غيره.

وأما تنكيس الآيات:

---

(١)الإمام النووي التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٩٨)
(٢)التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٩٩) الموسوعة القرآنية المتخصصة (١/ ٤٣٣)
(٣)المغني لابن قدامة (١/ ٣٥٦)
(٤)كتاب حاشية الروض المربع لابن قاسم عبد الرحمن بن قاسم ج٢ ص١٦١

فيحرم لأن الآيات قد وضعها ﷺ ولما فيه من مخالفة النص، وتغيير المعنى، وقال العلماء : ترتيب الآيات واجب، لأن ترتيبها بالنص إجماعا، ويجوز أيضا في الحفظ عدم الترتيب، تعليم الصبيان من آخر المصحف إلى أوله فجائز للتخفيف . وتسهيل الحفظ عليهم، والله أعلم.

الفصل التاسع

جمع القرآن الكريم

الجمع الأول: هوالجمع البكري للقرآن: نسبة للصحابي (أبو بكر) رضي الله عنه:

الجمع الأول للقرآن في زمن الصديق رضي الله عنه وسبب جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه قتل كثير من حفظة القرآن في المعارك الإسلامية. فخشي الصحابة الكرام ضياع القرآن الكريم فهموا بكتابة القرآن الكريم حفاظا له من الضياع.

وخاصة بعد أن قتل سبعون صحابي من حفظة القرآن ،فيما عرف ببئر معونة وكانوا يُعرفون بالقرَّاء، يقرؤون القرآن ويتدارسونه ليل نهار، منهم حرام بن ملحان، وعامر بن فهيرة، فنزلوا بئر معونة بين أرض بني عامر، وحَرَّة بني سُليم وهذا كان في عهد النبي في صفرٍ سنة ٤ للهجرة، بعد أربعة أشهرٍ من غزوة أحدٍ»

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وجاءت بعد ذلك معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب، وهي المعركة الفاصلة مع المرتدين، وأهل التوحيد التي كان شعار الصحابة الكرام:فيها "يا أصحاب سورة البقرة ويا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال".

وقد استشهد في هذه المعركة ألف ومائتين شهيد، كان منهم سبعون صحابي من حفظة القرآن ومن قراء القرآن، أمثال سالم مولى أبي حذيفة، وأبو حذيفة بن عتبة، وثابت بن قيس بن شماس من بني كعب، وكان يُعْرَف بخطيب النبي صلى الله عليه وسلم، وسماك بن خرشة، والسائب بن عثمان بن مظعون وعقبة بن عامر بن نابي وعبد الله بن سهيل،، وغيرهم.

فعن زيد بن ثابت قال: «بعث إليّ أبو بكر الصديق بعد مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال: إن عمر بن الخطاب أتاني فقال: إن القتل قد استحر أي اشتد وكثر بقراء القرآن يوم اليمامة، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقال أبو بكر لعمر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ، فقال: هو والله خير، فلم يزل يراجعْنِي في ذلك حتى شرح صدري بما شرح له صدر عمر، ورأيت الذي رأى، قال زيد بن ثابت: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فتتبع القرآن، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي من ذلك. قلت: فكيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أبو بكر: هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك أبو بكر وعمر حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدرهما (صدر أبي بكر وعمر). فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف (يعني الحجارة)، وصدور الرجال. فوجدت آخر سورة التوبة (براءة) مع خزيمة بن ثابت: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم. فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾[التوبة: ١٢٨-١٢٩]»[1]

«ولقد أثنى رسول الله علي خزيمة فجعل شهادة خزيمة بن ثابت رضي الله عنه ، بشهادة رجلين»[2]، فعن خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْتَاعَ مِنْ سَوَاءَ بْنِ الْحَارِثِ الْمُحَارِبِيِّ فَرَسًا فَجَحَدَهُ فَشَهِدَ لَهُ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَلَمْ تَكُنْ

(١) في علوم القرآن دراسات ومحاضرات (ص: ٧٥) نقلا عن السجستاني: كتاب المصاحف، ص ٧
(٢) رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد.

مَعَهُ؟ قَالَ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنْ صَدَّقْتُكَ بِمَا قُلْتَ وَعَرَفْتُ أَنَّكَ لَا تَقُولُ إِلَّا حَقًّا، فَقَالَ: مَنْ شَهِدَ لَهُ خُزَيْمَةُ أَو شهِدَ عَلَيْهِ ؛ فَحَسْبُهُ»[1].

وفي رواية أخرى أن «زيد بن ثابت، وهو يجمع القرآن، فقد آية كان يسمعها من رسول الله فلم يجدها عند أحد، ثم وجدها عند رجل من الأنصار وهي قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[الأحزاب: ٢٣]، فوضعها في سورتها»[2].

قال الزهري: وحدثني خارجة بن زيد أن زيد بن ثابت قال: فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾[الأحزاب: ٢٣]، فالتمستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت -أو أبي خزيمة- وألحقتها في سورتها[3].

من خلال ما سبق يفهم أن القرآن الكريم مرّ بثلاثة مراحل للتدوين والجمع؛

المرحلة الأولى في عهد النبي ﷺ. والمرحلة الثانية في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه. والمرحلة الثالثة في عهد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

المرحلة الأولى:

التي كانت في عهد النبي ﷺ، فلقد كان رسول الله ﷺ حريص كل الحرص على عدم نسيانه وضياعه، فعن ابن عباس قال: «كان رسول الله -ﷺ- يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه، يريد أن يحفظه، فأنزل الله: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآنه﴾[القيامة:]»[4]، معني إن علينا جمعه أن نجمعه في صدرك ولقد تم في عهد النبي ﷺ كتابة القرآن الكريم كاملا من قبل كتبة الوحي ولكن لم يتمكنوا من جمعه في مصحف واحد، والسبب في ذلك أن الكتابة لم تكن منتشرة في زمن الرسول. وكانت أدوات الكتابة نادرة، فالجزيرة العربية لم تكن تعرف حينذاك الكتب ولا الكتاب. الا الشئ النادر البسيط.

(١) حسنه الحافظ ابن حجر
(٢) الترمذي وقال حديث حسن صحيح.
(٣) راجع المصاحف ابن ابي داود ص٣٢.
(٤) أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس.

وكتبة الوحي ثلاثة عشر، ومن العلماء من جاوز بهم العشرين، وذكر ابن كثير ثلاثة وعشرين في البداية والنهاية، وهم كما قال ابن كثير: (أما كتاب الوحي وغيره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهم أجمعين فمنهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم.... ثم ذكر: أبان بن سعيد بن العاص، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأرقم بن أبي الأرقم واسمه عبد مناف، وثابت بن قيس بن شماس، وحنظلة بن الربيع، وخالد بن سعيد بن العاص، وخالد بن الوليد، والزبير بن العوام، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن أرقم، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه، والعلاء بن الحضرمي، ومحمد بن مسلمة بن جريس، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم أجمعين) [١].

فلقد كانوا يكتبون القرآن على قدر استطاعتهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ»[٢]، وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ»[٣]، وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: «فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُوْلِ الله فَسَأَلْتُهُ مُصْحَفاً كَانَ عِنْدَهُ، فَأَعْطَانِيْه»[٤]، وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُوْلِ الله نُؤَلِّفُ القُرْآنَ مِنَ الرِّقاعِ»[٥]، قال ابن عباس رضي الله عنه عن سورة الأنعام: «هِيَ مَكِيَّة، نَزَلَتْ جُمْلَةً وَاحِدَةً، نَزَلَتْ لَيْلاً، وَكَتَبُوْهَا مِنْ لَيْلَتِهِمْ» [٦]،

ولقد اشتهر من الصحابة الكرام من اهتم بالقرآن حفظا وتجميعا وكتابة فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب»[٧]، وهؤلاء الأربعة: اثنان من المهاجرين هما: عبد الله بن مسعود وسالم، واثنان من الأنصار هما: معاذ وأبي.

٢- وعن قتادة قال: «سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد رسول الله، ﷺ؟ فقال: أربعة، كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قلت: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي»[٨]. وعن أنس قال: «مات

---

(١)البداية والنهاية - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ج٨ ص٣٢١
(٢)أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه مسلم .
(٤) رواه الطبري.
(٥) الترمذي
(٦)راجع زاد المسير ابن الجوزي.
(٧) رواه البخاري.
(٨) رواه البخاري.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

النبي -ﷺ- ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد»[1].

و(أبو زيد) المذكور في هذه الأحاديث ذكره ابن حجر بإسناد على شرط البخاري عن أنس: أن اسمه: قيس بن السكن، قال: وكان رجلا منا من بني عدي بن النجار أحد عمومتي، ومات ولم يدع عقبًا، ونحن ورثناه، وبين ابن حجر أنه من الحفاظ، وأنه كان يلقب بالقارئ.

أسباب عدم جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ:

السبب الأول: قلة وندرة أدوات الكتابة، فلم يكن ميسورا في عهد رسول الله ﷺ أدوات الكتابة في هذا التوقيت وكان اعتمادهم على أمور بسيطة كالعسب (جريد النخل)، واللخاف (الحجارة الرقاق)، والأديم والأكتاف (عظام الأكتاف)، والأقتاب (ما يوضع على ظهور الإبل). وهذا هو المتاح عندهم في هذا الوقت.

السبب الثاني: في تأخر جمع القرآن في كتاب واحد، تتابع نزول آيات القرآن واكتمال سورة على مراحل، وما كان يطرأ على بعض آياته من النسخ وتقديم وتأخير في بعض الآيات والسور ووضع هذا مكان هذا.

وهذا من الأسباب التي أخرت اتخاذ هذه الخطوة في حياة الرسول صلوات الله عليه.

ومع هذا كله، قد روي أن بعض الصحابة الكرام جمعوا القرآن في مصاحف خاصة بهم من هؤلاء أبي بن كعب، وسالم مولى حذيفة، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، وأبو زيد، ومعاذ بن جبل وغيرهم، ولكن هذا الجمع لم يكن بصورة منظمة ومنضبطة كما فعل سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، فكان لكل واحد مصحفه الخاص به يكتب في هامشه بعض التفسيرات وبعض القراءات وبعض الأحرف السبعة وغير ذلك.

من أشهر مصاحف الصحابة:

١- مصحف عمر بن الخطاب.
٢- مصحف علي بن أبي طالب.
٣- مصحف عائشة.

---

(١) رواه البخاري.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٤- مصحف حفصة.
٥- مصحف أم سلمة.
٦- مصحف عبد الله بن الزبير.
٧- مصحف أبي بن كعب.
٨- مصحف عبد الله بن عباس.
٩- مصحف عبد الله بن مسعود.
رضي الله عنهم جميعا

نموذج من تلك المصاحف مصحف عمر بن الخطاب

عن أبان بن عمران النخعي قال: قلت لعبد الرحمن بن الأسود: إنك تقرأ: (صراط مَنْ أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين) فقال: حدثني أبي- وكان ثقة-: أنه صلى خلف عمر بن الخطاب فسمعه يقرؤها. وعن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عمر أنه كان يقول: (مالك يوم الدين) وكان يقرأ (صراط مَن أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين) [١].

وكان أيضا لسيدنا علي بن أبي طالب مصحفًا خاصًّا، قد رتبه حسبَ النزولِ، والناسخ والمنسوخ، ويقال أنه اعتزل الناس حتى جمعه ورتبه، ولا يخالف هذا المصحف المصاحف المعرفة،إلا في بعض التفسيرات والتعليقات الخاصة به التى كان يضعها تحت كل آية، وليس كما زعم غلاةُ الشيعة أنه مصحف مختلف خصَّه رسول به، وفيه آيات تدل على إمامته وعصمته.

فعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي رضي الله عنه : هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: «لا والذي فَلَقَ الحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسْمَةَ، ما أعلمه إلا فَهْمًا يُعطيه الله رجلا في القرآن، وما في هذه الصحيفة»، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: «العَقْلُ، وفِكَاكُ الأَسير، وأن لا يُقتَلَ مسلم بكافر»[٢]، قوله (والذي فلق الحبة) من أيمان العرب، ومعنى: (فلق الحبة): شقها حتى تثمر، وبرأ، أي: خلق، و(النسمة) الإنسان، و(العقل) الدية، أو ما في هذه الصحيفة :أي الورقة المكتوبة، وفِكاك الأسير : أحكم الأسير من يد العدو، والترغيب في فكه.

قال ابن جزي في كتابه التسهيل: (وكان القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقًا في الصحف وفي صدور الرجال ، فلما توفي رسول الله قعد

(١) راجع كتاب المصاحف، ابن أبي داود السجستاني، تحقيق: محمد بن عبده، (ص: ١٥٩ - ١٦٠) .
(٢) رواه البخاري.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيته فجمعه على ترتيب نزوله ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير ، ولكنه لم يوجد[١].

يقول الشيخ الدكتور أحمد الوائلي أن قرآن علي ما هو إلا القرآن نفسه ومعه التفسير لكل آية حيث كان علي يسأل النبي محمد ﷺ عن تفسير كل آية ومن يقصد الله بكل آية من الآيات فكان يسجل تحت كل آية أسباب نزولها ومعناها ولماذا نزلت وعندما رأى بعض الناس أن هذا القرآن يفضح بعضاً منهم فقالوا لاحاجة لنا به. يقصد المنافقين.

منهج الصحابة في الجمع:

لقد وضع الصحابة الكرام رضى الله عنهم منهجا دقيقا ضابطا لحفظ القرآن الكريم،

فقد أخرج ابن أبي داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه: «أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه" قال ابن حجر: "وكأن المراد بالشاهدين: الحفظ والكتاب»[٢]. وقال السخاوي في "جمال القراء": "والمراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله -ﷺ- أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن [٣].

وذكر البخاري والترمذي «أن أبو بكر الصديق جعل مع زيد بن ثابت ثلاثة من قريش هم: سعيد بن أبي العاص وعبد الرحمن بن الحارث وعبد الله بن الزبير، فلما جمعوا القرآن في الصحف أخذها أبو بكر فكانت عنده إلى أن مات، ثم عند عمر إلى أن مات، فجعلت عند حفصة بنت عمر، فلما كانت خلافة عثمان اختلفت الناس في القراءة»[٤]، قال السيوطي: أول من جمع القرآن وسماه مصحفًا أبو بكر الصديق رضي الله عنه[٥].

ولعل سائل يسأل لماذا فعل زيد هذا الفعل من تتبع وتجميع للصحف مع إنه كان حافظا للقرآن جامعا له في صدره وصدر غيره ، ألا يكفي أن يجلس وهو وواحد آخر مثلا أو أكثر ويكتب من حفظه القرآن الكريم أوحفظ غيره، وينتهي الأمر؟ نعم يكتفي ولكن هذا دليل على كثرة الاهتمام والحرص على الضبط.

---

(١) ابن جزي في كتابه التسهيل : ١ / ٦.
(٢) رواه أبو داود
(٣) السخاوي في جمال القراء، وراجع مباحث في علوم القرآن مناع القطان.
(٤) رواه البخاري والترمذي.
(٥)دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ١٠٥)

يقول السيوطي: (على أن زيدا كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوبا حتى يشهد به من تلقاه سماعا، مع كون زيد كان يحفظ، فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط والإتقان [١].

ولقد حفظت هذه النسخة كمرجع للأمة الإسلامية في دار الخلافة، وفي أمان خليفة المسلمين أبو بكر رضي الله عنه حتى مات رضي الله عنه ثم حفظت عند عمر رضي الله عنه حتى استشهد، ثم عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنهما، وقد سميت هذه الصحف التي جمعت عند أبي بكر (القراطيس)

ثناء الصحابة الكرام على فعل أبو بكر.

قال الإمام علي رضي الله عنه: «رحمة الله على أبي بكر، كان أول من جمع بين اللوحين»[٢]، وقال: «أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر فإنه أول من جمع بين اللوحين»[٣].

المرحلة الثالثة: عثمان بن عفان وجمع المصاحف:

يقول عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه «أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون لحنًا اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إمامًا» اي مصحف يكون للناس إماما لهم، وكان هذا الجمع في آخر سنة (٢٤ هـ)، وأوائل سنة (٢٥ هـ)، فبعدما اتسعت الرقعة الإسلامية في عهد عثمان. ودخل الناس في دين الله أفواجا وتفرق بعض الصحابة في الأمصار، وتعلم أهل كل بلد من هذه البلاد قراءة القرآن على يد الصحابة الكرام وتواجد في كل بلد صحابي من الصحابة أقام فيهم وأخذ في تعلمهم، وكان بين هذه المصاحف خلاف في القراءة الخاصة بالأحرف السبعة سيأتي بيانها ان شاء الله .

وكان كل صحابي يُعلّم طلابَه بالحرف الذي تلقاه من الأحرف السبعة، فكان أهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب، فيقرأون بما لم يسمع أهل العراق، وكان أهل العراق يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود، فيقرأون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفر بعضهم بعضًا. (اي يخطئ بعضهم بعضا)[٤].

فلما اجتمع أهل العراق وأهل الشام لغزو ثغر أرمينية وأذربيجان، ظهر الخلاف بينهم في هذه الحروف وأنكر بعضهم على بعض ما كانوا يقرؤونه،

---

(١) السيوطي: الاتقان، ج ١، ص ٥٨ .
(٢)المصاحف لابن أبي داود (ص: ٥٠)
(٣)خرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ١٥٥، وابن أبي داود في كتاب المصاحف ص٥، وأورده ابن كثير وقال عنه: إسناده صحيح، تفسير القرآن العظيم فضائل القرآن) ج١ - ص٢٥. وانظر: أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف ٤٥-٤٧ وجمع القرآن ص٩٤.
(٤)فتح الباري شرح صحيح البخاري .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وشهد ذلك حذيفة بن اليمان، فركب إلى عثمان بن عفان وقال له: «يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى. فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلى بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت حفصة إلى عثمان بالصحف، فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن الزبير أن انسخوا الصحف في المصاحف. وقال للرهط القرشيين الثلاثة: ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم. حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان إلى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوا وأمر بسوى ذلك في صحيفة أو مصحف أن يحرق»[1].

قال الزهري: فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوة فقال النفر القرشيون التابوت، وقال زيد التابوة، فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال اكتبوه: التابوت، فإنه لسان قريش ».

وقد سأل عثمان الصحابة: «من أكتب الناس، قالوا: كاتب رسول الله زيد بن ثابت، قال فأي الناس أعرب، قالوا: سعيد بن العاص، قال عثمان فليمل سعيد وليكتب زيد» وسعيد بن العاص قرائته كانت أشبه بقراءة الرسول ﷺ.[2]

وقيل أن عثمان اختار اثني عشر رجلًا من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت،

روى البخاري عن أنس بن مالك أنه قال: «إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان»

موافقة الصحابة الكرام على فعل عثمان:

(١)المصاحف لابن أبي داود (ص: ٨٨)

(٢) سعيد بن العاص (٢ هـ - ٥٩ هـ) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي، كنيته أبو عبد الرحمن، مات أبوه يوم بدر في جيش قريش، وهو صحابي صغير مات النبي وله تسع سنين أو نحوها، كان أحد أشراف قريش وأجوادها وفصحائها الممدّحين.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ذكر ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: عن علي بن أبي طالب قال :«يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرًا في المصاحف.. فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منّا جميعًا، قال: ما تقولون في هذه القراءة، قد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفرًا، قلنا: فما ترى، قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت.. قال على: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[١].

وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، قال: أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرين، فما رأيت أحدا منهم عاب ما صنع عثمان رضي الله عنه[٢]، قال ابن القيم: «جمع عثمان رضي الله عنه الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول الله القراءة بها لمَّا كان ذلك مصلحة[٣].

الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان رضي الله عنهم .

«جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء منه بسبب موت الحفظة، فجمعه في مصحف واحد، مرتبا الآيات والسوره على ما كان عليه النبي ﷺ، وجمع عثمان كان لتجميع الأمة على حرف واحد من الأحرف السبعة وهو حرف قريش، ولعدم الاختلاف ، وبعدها حرّق رضي الله عنه كل مصحفٍ كان مكتوب فيه حرف غير حرف قريش رفعا للحرج والمشقة ومنعا للاختلاف.

وما قام به سيدنا عثمان هو الصواب

فالحاجة إلى وجود هذه الأحرف قد انتهت ،فاقتصر رحمه الله على لغة واحدة وهي لغة قريش، ولقد لقى عمل عثمان في هذا معارضة- في أول الأمر- من عبد الله بن مسعود. لكن أغلب الصحابة تلقوا عمله بالقبول والرضا، ولم ينكر عليه أحد إحراقه المصاحف المخالفة للمصحف الإمام، بل عدوا ذلك من مناقبه، حتى قال علي رضى الله عنه، ، لو وليت ما ولي عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل وما لبث ابن مسعود بعد ذلك أن قبل ما قبله سواه من الصحابة.

وسبب معارضة عبد الله بن مسعود، لم تكن بسبب حصول تقصير في الجمع أو نقص أو زيادة، وإنما جاءت معارضته لعدم تعيينه مع أعضاء لجنة

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري الجزء ١ صفحة ١٧.
(٢) في المصاحف إسناده صحيح .
(٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن القيم صفحة ١٦.

نسخ المصاحف، ولهذا قال: «أُعزل عن نسخ المصاحف وتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صُلب رجلٍ كافرٍ»[١].

وعن عبد الله بن مسعود، قال: على قراءة من تأمروني أقرأ؟ لقد قرأت على رسول الله ﷺبضعا وسبعين سورة وإن زيدا لصاحب ذؤابتين يلعب مع الصبيان.

وفي رواية عن أبي وائل شقيق بن سلمة الأسدي، قال: لما أمر عثمان رضي الله عنه في المصاحف بما أمر به، قام عبد الله بن مسعود خطيبا، فقال: أتأمروني أن أقرأ القرآن على قراءة زيد بن ثابت؟ فو الذي نفسي بيده، لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة وزيد بن ثابت عند ذلك يلعب مع الغلمان، ثم استحيا مما قال، فقال: وما أنا بخيرهم، ثم نزل[٢].

يقول الفقيه أبو بكر الأنباري عن اختيار زيد: «ولم يكن الاختيار لزيد إلا أن زيدًا كان أحفظ للقرآن من عبد الله إذ وعاه كله ورسول الله ﷺ حي، ولا ينبغي أن يظن جاهل أن في هذا طعنًا على عبد الله بن مسعود، لأن زيدًا إذا كان أحفظ للقرآن منه فليس ذلك موجبًا لتقدمته عليه، لأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كان زيد أحفظ منهما للقرآن وليس هو خيرًا منهما ولا مساويًا لهما في الفضائل والمناقب، وما بدا عن عبد الله بن مسعود من نكير فشيء نتجه الغضب، ولا يعمل به ولا يؤخذ به، ولا يشك في أنه رضي الله عنه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ وبقي على موافقتهم وترك الخلاف لهم»[٣].

مع هذا يجب علينا ألا ننسى فضل سيدنا ابن مسعود ورجوعه الي الجماعة:

عن أبي بكر الصديق وعمران بن الحصين قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» [٤]،

قال الذهبي : «وقد ورد أن ابن مسعود رضي وتابع عثمان ولله الحمد»[٥]، وقال ابن كثير: «وإنما روي عن عبد الله بن مسعود شيء من الغضب، بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف.. ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق»[٦].

وسبب حرق سيدنا عثمان بقية الأحرف :

(١) المصاحف ابن أبي داود صفحة ٨٠.
(٢) إسناده صحيح. الطحاوي في «شرح المشكل».
(٣) تفسير القرطبي الجزء ١ صفحة ٥.
(٤) رواه أحمد، وإسناده صحيح : أحمد شاكر.
(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي الجزء ١ صفحة ٤٨٨
(٦)دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: ٩٣)

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والسبب هو كي لا يختلفوا في القرآن، يقول ابن القيم: فجمْعُهم على حرفٍ واحدٍ أسلمُ وأبعدُ من وقوع الاختلاف، فعلوا ذلك ومنعوا الناس من القراءة بغيره، وهذا كما لو كان للناس عدة طرق إلى البيت، وكان سلوكهم في تلك الطرق يوقعهم في التفرق والتشتيت ويطمع فيهم العدو، فرأى الإمام جمعهم على طريق واحد، فترك بقية الطرق جاز ذلك، ولم يكن فيه إبطال لكون تلك الطرق موصلة إلى المقصود وإن كان فيه نهي عن سلوكه لمصلحة الأمة[١].

وهذا الفعل يعد من حسنات سيدنا عثمان رضي الله عنه وليس كما يدعي أهل الأهواء، فمعلوم أن عثمان صحابي ومن أكثر الناس خوفا من الله تعالي وما فعله يعد اجماعا لوجود الصحابة في زمانه.

عدد المصاحف التي نسخها سيدنا عثمان للأمة:

اخْتُلِفَ في عدد النسخ التي كتبها عثمان إلى خمسة أقوال: قيل إنها أربع نسخ وقيل إنها :خمسة وقيل إنها ستة. وقيل إنها سبع نسخ:

قال أبو عمرو الداني: «أكثر العلماء على أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن، فوجه إلى الكوفة إحداهن وإلى البصرة أخرى وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة»[٢].

وقال السيوطي: «أُختُلف في عدة المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، المشهور أنها: روى ابن أبي داود عن أبي حاتم السجستاني قال: «لما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف فبعث واحدا إلى مكة وآخر إلى الشام وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين، وآخر إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحدًا». و قيل إنها ثمانية[٣].

وهكذا قضى عثمان على مصدر للفتنة والخلاف بين المسلمين، وكان عمله هذا من أعظم ما أقدم عليه في زمن خلافته. رضى الله عنه، ولقد كانت المصاحف المنسوخة كلها مكتوبة على الورق الكاغد، إلا المصحف الذي خص به عثمان بن عفان نفسه فقد قيل: إنه كتب على رق (جلد) الغزال[٤].

(١)الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، ابن القيم صفحة ١٦.
(٢)المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص: ١٩)
(٣)الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢١١)
(٤)الإتقان، ج ١، ص ٥٨ .

ورق الكَاغِد هو مادة رقيقة مسطحة تصنع من لب الورق المنتج عن طريق ضغط الألياف ،وتستخدم مادة تلك الصفحات في الكتابة والطباعة وتغليف جدران المنازل وأكياس المطابخ.

يعود الفضل في اختراع مادة الورق إلى الصينيين الذين اخترعوه في القرن الأول ميلادي، من سيقان نبات الخيزران (البامبو).

السَّادَة لِلفِكرِ وَالثَّقَافَة
www.sadah.net

الفصـــل العاشر

علم الرسم المصحفي أوالرسم العثماني

معلوم أن العرب أمّة أمّية ،و لا شك أنهم كانوا ،لا يحسنون القراءة والكتابة، ولا يجيدون الخط ولا الحساب.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة٢] ، ولم يكن وفي المجتمع العربي ،غير مجموعة قليلة ،كانت تجيد الكتابة على رأسهم (حرب بن أميّة).

ويتفق تقريبا أهل التاريخ على أنّ قريشا في مكة لم تأخذ الخط إلّا عن طريق حرب بن أمية بن عبد شمس، وهو حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي الكناني، كان من حنفاء مكة وسيدا من ساداتها. وهو والد الصحابي أبو سفيان وجد الصحابي معاوية رضي الله عنهما وهو أمير قريش وكنانة، وكان قائد قبيلة كنانة في حرب الفجار ضد قبائل قيس عيلان.وكان حرب وأهلُه سبباً في دخول الكتابة العربية إلى مكة، لكنهم اختلفوا فيمن أخذ عنه حرب، على قولين:

الأول: عبد الله بن جدعان، و قد أخذه من أهل الأنبار.

الثاني: بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك، صاحب دومة الجندل، وبقيت الكتابة بين يدي نفر قليل منهم، حتى ظهر الإسلام.

وعندما جاء الإسلام اهتم الإسلام بالعلم، فكان أوّل ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق: ١- ٥]. ثمّ جاء من أوائل السور سورة القلم (ن) ، وفيها يقسم الله بالقلم، وما يسطرون، قال الله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ * ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[القلم: ١- ٢]. ويوم بدر حين أسر سبعون من الكفار، كان رسول الله ﷺ يفدي الواحد منهم بتعليم (عشرة) من الصحابة الكرام، الكتابة والخطّ.

رسول الله ﷺ يهتم بكتابة القرآن والسنة، واهتم رسول الله ﷺ بكتابة القرآن، والرسائل والسنة أيضا، فكان له كتّابا مهرة، اشتهروا بالعدالة والفطانة، من هؤلاء: الخلفاء الأربعة، ومعاوية، وأبيّ بن كعب وغيرهم.

وذكر ابن كثير ثلاثة وعشرين كاتبا كما جاء البداية والنهاية، قال: "أما كتاب الوحي وغيره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهم أجمعين فمنهم

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم. ثم ذكر: أبان بن سعيد بن العاص، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأرقم بن أبي الأرقم واسمه عبد مناف، وثابت بن قيس بن شماس، وحنظلة بن الربيع، وخالد بن سعيد بن العاص، وخالد بن الوليد، والزبير بن العوام، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن أرقم، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه، والعلاء بن الحضرمي، ومحمد بن مسلمة بن جريس، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم أجمعين" [١].

فكان رسول الله ﷺ كلّما نزل عليه شيء من القرآن، دعا أحد كتبته، فأمره بكتابة ما نزل، حتى ولو كان كلمة واحدة فقط، وعلى سبيل المثال: لما نزل عليه قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾[النساء: ٩٥]، قال ابن أم مكتوم وعبد الله بن جحش: « يا رسول الله! إنا عميان، فهل لنا رخصة؟. فأنزل الله غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ، قال رسول الله ﷺ: ائتوني بالكتف والدّواة. وأمر زيدا أن يكتبها، فكتبها. فقال زيد: وكأنّي أنظر إلى موضعها عند صدع الكتف»[٢]،

وعن زيد بن ثابت « أَنَّ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أمْلَى عليه: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[النساء: ٩٥]، فَجَاءَهُ ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وهْوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ، قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، واللَّهِ لو أسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ. وكانَ أعْمَى، فأنْزَلَ اللَّهُ علَى رَسولِهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وفَخِذُهُ علَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حتَّى خِفْتُ أنْ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عنْه، فأنْزَلَ اللَّهُ: ﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾»[٣].

رسم المصحف توقيفي أم اجتهادي؟

لقد علمنا أنّ رسول الله ﷺ حرص على الكتابة للقرآن، والسنة جميعا. فعن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: «كنتُ أكتُبُ كلَّ شيءٍ أسمَعُهُ مِن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، أُريدُ حِفْظَهُ، فنهَتْني قريشٌ، وقالوا: أتكتُبُ كلَّ شيءٍ تسمَعُهُ ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بشَرٌ يتكلَّمُ في الغضبِ والرِّضا؟! فأمسَكْتُ عَنِ الكِتابِ، فذكَرْتُ ذلك لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأَوْمأَ بإِصْبَعِهِ إلى فِيهِ، فقال: اكتُبْ؛ فوالذي نفْسي بيدِهِ، ما يخرُجُ منه إلَّا حقٌّ»[٤].

---

(١)البداية والنهاية إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ج٨ ص٣٢١
(٢)رواه الترمذي وحسنه .
(٣)صحيح البخاري .
(٤) سنن أبي داود. وهو صحيح.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

و جاء عنه ﷺ بسند ضعيف أنه قال لمعاوية وهو من كتبة الوحي: « ألق الدواة، وحرّف القلم، وأنصب الباء، وفرّق السين، ولا تعوّر الميم، وحسّن الله، ومدّ الرحمن، وجوّد الرحيم، وضع قلمك على أذنك اليسرى، فإنّه أذكر لك»[1]. ومعنى تحريف القلم: جعله محرّفًا. أنصب: أقم.

ثم جاء من بعده أبو بكر رضي الله عنه فجمعه في مصحف واحد، ثم جاء عثمان رضي الله عنه، أثناء خلافته، فوحد المصاحف وجمعها علي حرف قريش، ولقد ذهب الجمهور إلى أنّ الرسم توقيفي لا اجتهاد فيه، وأنّه لا تجوز مخالفته لأيّ سبب كان، خاصة أنّ الثقات من الأئمّة قد شدّدوا على التزامه، وذهب بعض العلماء إلى أنه ليس توقيفي، وأن الرسم عبارة عن رأي و اجتهاد من الصحابة الكرام، تجوز مخالفته، منهم ابن خلدون والقاضي أبو بكر، وهذا الرأي غير مقبول عند العلماء.

مذاهب العلماء في الرسم العثماني:

اختلف العلماء في الرسم العثماني على ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذهب بعضهم إلى أن هذا الرسم العثماني للقرآن توقيفي يجب الأخذ به في كتابة القرآن، ونقل ابن المبارك عن شيخه عبد العزيز الدباغ أنه قال له: "ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبي وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها لأسرار لا تهتدى إليها العقول، وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية. وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضًا معجز"[2].

يقول الشيخ الزرقاني: والتمسوا لذلك الرسم أسرارًا تجعل للرسم العثماني دلالة على معان خفية دقيقة، كزيادة "الياء" في كتابة كلمة "أيد" من قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[الذاريات: ..] إذ كتبت هكذا "بأييد" وذلك للإيماء إلى تعظيم قوة الله التي بنى بها السماء. وأنها لا تشبهها قوة على حد القاعدة المشهورة، وهي: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى[3].

وهذا القول رد عليه الشيخ مناع القطان فقال: وهذا الرأي لم يرد فيه شيء عن رسول الله -ﷺ- حتى يكون الرسم توقيفيًّا، وإنما اصطلح الكتبة على هذا الرسم في زمن عثمان برضًا منه، وجعل لهم ضابطًا لذلك بقوله للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان

---

(١) أخرجه الديلمي. كنز العمال
(٢) دليل الحيران على مورد الظمآن (ص: ٦٤) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٣٨٢)
(٣) مناهل العرفان" للزرقاني (٢/ ٣٧٠) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم" وحين اختلفوا في كتابة "التابوت" فقال زيد: "التابوه" وقال النفر القرشيون: "التابوت"، وترافعوا إلى عثمان قال: "اكتبوا "التابوت" فإنما أُنزل القرآن على لسان قريش"[١].

القول الثاني:

مذهب بعض العلماء أن الرسم العثماني ليس توقيفيًّا عن النبي ﷺ ولكنه اصطلاح ارتضاه عثمان، وتلقته الأمة بالقبول، فيجب التزامه والأخذ به، ولا تجوز مخالفته. قال أشهب: "سُئل مالك: هل يُكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ قال: لا، إلا على الكتبة الأولى" رواه أبو عمرو الداني في "المقنع" ثم قال: "ولا مخالف له من علماء الأمة" ، وقال في موضع آخر: سُئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف، أترى أن تُغيَّر من المصحف إذا وُجِدا فيه كذلك قال: لا، قال أبو عمرو: يعني الواو والألف المزيدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو "أولوا"[٢]. وقال الإمام أحمد: "تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك"[٣].

القول الثالث:

وهو مذهب جماعة من العلماء، منهم ابن خلدون و القاضي أبو بكر بن العربي، إلى أن الرسم العثماني اصطلاحي، ولا مانع من مخالفته! إذا اصطلح الناس على رسم خاص للإملاء وأصبح شائعًا بينهم. قال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه "الانتصار" : "وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئًا. أولم يأخذ على كتَّاب القرآن وخُطَّاط المصاحف رسمًا بعينه دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه، إذ وجوب ذلك لا يُدرك إلا بالسمع والتوقيف، وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحدٍّ محدود لا يجوز تجاوزه، ولا في نص السُّنَّة ما يوجب ذلك ويدل عليه، ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك، ولا دلت عليه القياسات الشرعية، بل السُّنَّة دلت على جواز رسمه بأي وجه سهل، لأن رسول الله ﷺ كان يأمر برسمه ولم يبيِّن لهم وجهًا معينًا ولا نهى أحدًا عن كتابته. ولذلك اختلفت خطوط المصاحف، فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ، ومنهم من كان يزيد وينقص

---

(١)كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص ١٤٩).
(٢)تاريخ القرآن الكريم (ص: ١٠٦) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٣٤٤)
(٣)دليل الحيران على مورد الظمآن (ص: ٦٤)
إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني وكنيته أبو إسحاق المفتي المالكي بالديار التونسية وشيخ القراء والمقرئين بالجامع الأعظم «الزيتونة» بها له مؤلفات جياد في القراءات وغيرها منها: دليل الحيران: شرح مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

لعلمه بأن ذلك اصطلاح، وأن الناس لا يخفى عليهم الحال، ولأجل هذا بعينه جاز أن يُكتب بالحروف الكوفية والخط[1].

وهذا الرأي يرخص للناس ولطلاب العلم والمختصين، كتابة القرآن الكريم وفق القواعد الإملائية الشائعة المصطلح عليها، حتى تسهل قراءته على القارئين من الطلاب والدارسين، ولا يشعر الطالب في أثناء قراءته للقرآن باختلاف رسمه عن الرسم الإملائي الاصطلاحي الذي يدرسه.

والحقيقة ان هذا القول يفتح باب شر ،أمام القرآن ، لأن القواعد الإملائية غير ثابتة فمن الممكن أن نجد القرآن تختلف كلماته جيلا بعد جيل، ويختلف من مكان الي مكان.

القول الراجح: القول الأول وهو الذي ذهب إليه جمهور العلماء. وهو أنه توفيقي هكذا نزل من عند الله تعالى.

لماذا اشتهر باسم الرسم العثماني؟

لأنّ سيدنا عثمان ﷺ، والصحابه معه هم من شكّلوا لجنة الكتابة، في نسخ المصحف، وقد يظن البعض أن الرسم العثماني كان عشوائي، غير مدروس، لكن الحقيقة أن رسم المصحف كان مبنيًا على قواعد فنية مذهلة ودقيقة.

قواعد الرسم العثماني

لقدجمع العلماء هذه القواعد فوجدوها محصورة في ستة قواعد: وهي الحذف. الزيادة. الهمز. البدل. الفصل والوصل. وما فيه قراءتان فقرئ على إحداهما.

أمثلة على كلّ قاعدة:

١ - مثال قاعدة الحذف: ومنها:

حذف الألف والسبب اختلاف القراءات، نحو: ﴿مَٰلِكِ﴾ [الفاتحة: ٤]، ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ [البقرة: ٩]، ﴿وَوَٰعَدْنَا﴾[الأعراف: ١٤٢]. حذف الألف التي في وسط الاسم الأعجمي العلم الزائد على ثلاثة أحرف، نحو: ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

والألف تحذف من (ياء) النداء، نحو: (يأيها). ومن (ها) التنبيه. نحو (هأنتم). ومن كلمة (نا) إذا وليها ضمير، نحو (أنجينكم)، وهكذا

(١)كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص ١٤٩).

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وهناك حذف للياء، والواو، واللام:

حذف الواو، منها: حذف الواو إذا جاورت مثلها لكراهة توالي الأمثال نحو: ﴿فَأَوُۥاْ﴾ [الكهف: ١٦]، ﴿دَاوُۥدُ﴾[البقرة: ٢٥١]، ﴿وُۥرِيَ﴾ [الأعراف: ٢٠]، ﴿يَسۡتَوُۥنَ﴾ [التوبة: ١٩].

حذف الياء: منها: حذف الياء الأصلية نحو: ﴿يَأۡتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ﴿ٱلدَّاعِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿بِٱلۡوَادِ﴾ [طه: ١٢].

حذف اللام، منها: حذف اللام إذا كانت لام التعريف التي لا يصح تجريدها من الاسم نحو: ﴿ٱلَّتِي﴾[البقرة: ٢٤]، ﴿الَّذِي﴾ [البقرة: ١٧]، ﴿وَالْيَسَعَ﴾ [الأنعام: ٨٦].

حذف النون، منها: حذف النون من كلمة ﴿تَأۡمُنَّا﴾ [يوسف: ١١].

وحذف النون الثانية: من كلمة (ننجي) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُۡجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] إشارة إلى قراءة أخرى.

وحذف النون المتطرفة: بلاغةً من كلمة: ﴿يَكُ﴾، ﴿تَكُ﴾ في مواضع كثيرة.

حذف همزة الوصل:منها: حذف همزة الوصل إذا وقعت بين لامين (لام الجر أو الابتداء)، و(لام التعريف) ، نحو: ﴿وَلَلدَّارُ﴾[الأنعام: ٣٢]، ﴿لِلۡكُتُبِۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وحذف التاء، منها: حذف التاء من كلمة ﴿تَسۡطِع﴾ [الكهف: ٨٢]. وحذف التاء من كلمة (ٱسۡتَطَٰعُواْ) في: ﴿ٱسۡطَٰعُوٓاْ﴾ [الكهف: ٩٧] ، وحذف حروف فواتح السور، ومنها، نحو: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١] فهي تقرأ (ألف لام ميم) .

٢ - مثال قاعدة الزيادة:

الألف تزاد بعد (الواو) في آخر كل اسم مجموع، أو حكم المجموع، نحو: (ملاقوا ربهم).

وفي مواضع أخرى أيضا منها: زيادة الألف بعد واو المفرد، نحو: ﴿ٱدۡعُواْ﴾[سبأ: ٢٢]، ﴿وَيَعۡفُواْ﴾[الشورى: ٢٥]، ﴿أَشۡكُواْ﴾ [يوسف: ٨٦]. زيادة الألف بعد الواو المتطرفة إذا كانت مبدلة نحو: ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

٣- مثال قاعدة الهمز:

الهمزة إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها، نحو: (ائذن. اؤتمن. البأساء)، مثل: زيادة الواو بعد الهمزة المضمومة نحو: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [البقرة: ٥]،

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

﴿أُوْلُواْ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ﴿وَأُوْلِي﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿وَأُوْلَٰتُ﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٧] إشارة إلى الهمزة المضمومة.

٤- مثال قاعدة البدل، منها:

الألف تكتب (واوا) للتفخيم. نحو (الصلاة) و (الزكاة) فقد كتبت (الصلوة) و (الزكوة)، وإبدال الألف ياءً في قوله تعالى: ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]. وإبدال الألف ياءً في كلمات محددة أينما وردت نحو: ﴿أَنَّىٰ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، ﴿مَتَىٰ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿بَلَىٰٓ﴾ [البقرة: ٨١]، ﴿حَتَّىٰ﴾ [البقرة: ٥٥]، ﴿إِلَىٰ﴾ [البقرة: ١٤]، ﴿عَلَىٰ﴾ [البقرة: ٥]، ﴿وَعَسَىٰٓ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وإبدال تاء التأنيث المربوطة تاءً مفتوحة، نحو: ﴿رَحْمَتَ﴾ [البقرة: ٢١٨] بخلاف الأصل، ولقد بلغ عدد الكلمات المرسومة بالتاء المفتوحة بدلًا من التاء المربوطة في القرآن الكريم عشرون كلمة.

٥ - مثال قاعدة الفصل والوصل.

وذلك أنّ كلمة (أن) بفتح الهمزة توصل بكلمة (لا) إذا وقعت بعدها.

ويستثنى منها عشرة مواضع. منها. (أن لا تقولوا)، فالأصل في الكلمة أن تكتب مفصولة عن الكلمة التي تليها، لكنها جاءت موصولة بالكلمة التي تليها في مواضع مخصوصة نحو: وصل (بئس) بـ (ما) في: ﴿بِئْسَمَا﴾ [البقرة: ٩٠]

٦ - مثال قاعدة ما فيه أكثر من قراءة.

خلاصة هذه القاعدة أنّ الكلمة إذا قرئت على وجهين تكتب برسم أحدهما. كما رسمت كلمة ملك يوم الدّين. بدون ألف، لتشمل القراءتين (مالك- ملك)، ورُسم المصحف بطريقة خاصة ليحتمل رسمه أكبر قدر ممكن من أوجه الخلاف نحو رسم التاء المربوطة في كلمة (غيابة) بتاء مفتوحة في: {غَيَٰبَتِ} [يوسف: ١٥] لتحتمل الجمع والإفراد، إن لم يحتمل الرسم ذلك رُجح أحدهما، كأن ترسم السين صادًا نحو: ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾[البقرة: ٢٤٥].

إن كان وجه الخلاف بزيادة لا يحتملها الرسم فتكتب في أحد المصاحف بالقراءات التي فيها زيادة وفي باقي المصاحف بدون الزيادة نحو: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] كتبت (وَوَصَّى) في مصحف المدينة والشام وهكذا يقرأها الجمهور وكتبت (وَأَوْصَى) في باقي المصاحف وهكذا يقرأها نافع وابن عامر وأبو جعفر.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وللمزيد في هذا الباب يرجع إلى هذه المصادر.

سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين للشيخ علي محمد الضباع. - مورد الظمآن للإمام الخراز. - دليل الحيران شرح مورد الظمآن للشيخ المارغني. - المقنع للإمام الداني. - المحكم في نقط المصاحف للداني. - المنصف للبلنسي. - العقيلة للإمام الشاطبي. - رسم الشيخ الطالب عبد الله الشنقيطي. - كشف العمى والرين عن ناظري مصحف ذي النورين للإمام محمد العاقب بن ما يأبى الشنقيطي

مزايا الرّسم العثماني

ويتضح لنا أن طريقة الرسم هنا كانت في غاية الدقة والإتقان، ولم يكن كما يظن البعض أنه رسم عشوائي.

حكم تعلم الرسم العثماني:

حكم تعلم الرسم العثماني هو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الجميع،

تحسين الرسم العثماني، أو ضبط المصحف، وتشكيله:

عندما قام سيدنا عثمان بجمع المصاحف ،رسموا الحروف مجرّدة عن النقط والتشكيل لتحتمل كلّ ما صحّ نقله، من قراءات، وهذا التحسين ينسب إلى التابعين ،كما ينسب الرسم للصحابة . رضى الله عنهم . جميعا.

يقول ابن الجزري: "ثم إن الصحابة -رضي الله عنهم- لما كتبوا تلك المصاحف جرَّدُوها من النَّقْطِ والشكل ليحتمله ما لم يكن في العرضة الأخيرة، مما صحَّ عن النبي -ﷺ-، وإنما أخلوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوَّيْن، شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين[1].

يقول الشيخ محمد بكر إسماعيل: لقد اختلف الدارسون قديمًا وحديثًا في أمر إعجام الكتابة العربية اختلافًا كثيرًا، فمنهم من يرى أن الحروف التي كتبت بها العرب كانت خالية من الإعجام، أي: من النقط والشكل، ومنهم من يرى أن بعضها كانت له علامات تميزه عن غيره ممن رُسِمَ على صورته من نقط وغيره.

والذي يعنينا أن المصاحف العثمانية كانت خالية من النقط والشكل إلى منتصف القرن الأول تقريبًا، إمَّا لأن الإعجام لم يكن معروفًا لديهم حين نسخها،

(١)راجع كتاب النشر (١ / ٣٣).

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وإمَّا أن الصحابة قد تعمَّدوا تجريد مصاحفهم من الإعجام؛ لتكون مشتَمِلَة على،القراءات التي أَذِنَ الله تعالى لعباده في الأخذ بها، والقراءة بما شاءت منها، فكان الأمر على ذلك إلى أن حدث في الناس ما أوجب نقطها وشكلها"[١].

أول من قام الضبط المصحفي:

قيل أن أول من قام بهذا الضبط. هو التابعي الجليل: أبو الأسود الدؤلي من أصحاب سيدنا علي . رضي الله عنهم.

ذكر ابن خلدون في مقدمته: (وأول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة ويقال بإشارة علي رضي الله عنه لأنه رأى تغير الملكة فأشار عليه بحفظها ففزع إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد أحوج ما كان الناس إليها لذهاب تلك الملكة من العرب)[٢].

وعن أبي الأسود قال دخلت على علي فرأيته مطوقا فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين قال سمعت ببلدكم لحنا فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية فقلت إن فعلت هذا أحييتنا فأتيته بعد أيام فألقى إلي صحيفة فيها الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف وما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ثم قال لي زده وتتبعه فجمعت أشياء ثم عرضتها عليه[٣] .

وقال المبرد حدثنا المازني قال السبب الذي وضعت له أبواب النحو أن بنت أبي الأسود قالت له ما أشد الحر فقال الحصباء بالرمضاء قالت إنما تعجبت من شدته فقال أوقد لحن الناس فأخبر بذلك عليا رضي الله عنه فأعطاه أصولا بنى منها وعمل بعده عليها وهو أول من نقط المصاحف[٤].

"و روي أن زياد ابن أبيه والي البصرة في حوالي سنة ٤٨ هـ، طلب من أبي الأسود الدؤلي أن يجعل للناس علامات تساعدهم على القراءة الصحيحة لكتاب

---

(١)راجع كتاب دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص١٤٦).

(٢) من المقدمة لابن خلدون ج ص٧٥٤ ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. وتوفي فجأة في القاهرة.

(٣)سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٤/ ٨٤) . راجع أيضا شذرات الذهب سنة ست وستين (وفاة أبي الأسود الدؤلي)، وكذلك تاريخ دمشق (ج ٣٧).

(٤) (سير أعلام النبلاء (٤/ ٨٤) . الذَّهَبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ وهو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله حافظ، مؤرخ، علامة محقق. تركمانيّ الأصل، مولده ووفاته في دمشق.، كف بصره سنة ٧٤١ هـ

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الله، فتباطأ أبو الأسود، حتى سمع قارئًا يقرأ قوله تعالى: {أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} التوبة

فقرأها يجرُّ اللام في كلمة "رسوله"، فأفزع هذا اللحن أبا الأسود، وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم ذهب إلى زياد، وقال له: قد أجببتك، وانتهى إلى جعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، وجعل علامة الكسرة نقطة تحت الحرف، وجعل علامة الضمة نقطة على جانب الحرف، وجعل علامة السكون نقطتين[1].

كيفية التشكيل والحركات:

وجدير بالذكر أن أبو الأسود الدؤلي: (ت ٦٩هـ) جعل الحركات فوق الحرف الأخير فقط، أما الحروف الأخرى لم يفعل معها شيء ،وعرفت بـ(نَقطَ إعرابٍ).

والنقط نوعان: نقط الإعراب، ونقط الإعجام.

نقط الإعراب:

وهو ما يدل على حركات الحروف من فتحة أوكسرة أو سكون أو شد أو مد ونحو ذلك، فجعلَ أبو الأسود الدؤلي ،علامةَ حركة الفتحةِ نقطةً حمراءَ فوقَ الحرفِ المفتوحِ، وعلامةَ حركة الضمَّةِ نقطةً حمراءَ أمامَ الحرفِ المضموم، وعلامةَ حركة الكسرةِ نقطةً حمراءَ تحتَ الحرفِ المكسورِ، وأمَّا الحرفُ المنوَّنُ فنقَطَهُ بنُقطتَين.

قال الإمامُ أبو عمرٍو الدَّانيُّ في كتابِه: المُحكمِ في نَقطِ المصاحف: (فاختارَ أبو الأسود.. رجُلاً من عبدِ القيسِ، فقال: خُذِ المُصحفَ وصِبغًا أي الصبغ الأحمر يخالِفُ لونَ المِدادِ ، فإذا فَتَحتُ شَفَتيَّ فانقُط واحدةً فوقَ الحرفِ ، وإذا ضَمَمتُهما فاجعلِ النُقطةَ إلى جانبِ الحرفِ ، وإذا كسرتُهما فاجعلِ النُقطةَ في أسفله ، فإن أَتْبعتُ شيئاً من هذه الحركاتِ غُنَّةً [أي تنويناً] فانقُط نقطتَين ، فابتدأَ بالمصحفِ حتى أتى على آخره)[2]. أهـ.

نَقْطُ الإعْجَامِ:

(١)كتاب دراسات في علوم القرآن محمد بكر إسماعيل، (ص١٤٧).
(٢)، الإمامُ أبو عمرٍو الدَّانيُّ، (المحكم في نقط المصاحف (ص: ٤) **أَبو عَمْرو الدَّانِي (٣٧١ - ٤٤٤ هـ).**
عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، ويقال له ابن الصيرفي من موالي بني أمية: أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره. من أهل دانية بالأندلس. دخل المشرق، فحج وزار مصر، وعاد فتوفي في بلده. له أكثر من مئة تصنيف، منها «التيسير - ط» في القراءات السبع

وهو الذي وضع للحروف المتشابهة في الخط مثل النون والتاء والثاء والياء – فهذا يعودُ لنصرِ بن عاصمٍ الليثيِّ (ت٩٠هـ) حيث نَقطَ الحروفَ المتشابهةَ بخُطوطٍ مائلةٍ صغيرةٍ حتَّى لا تَختلِطَ مع نقطِ الإعرابِ[١].

واستمرت الكتابة على هذا الحال إلى أن جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي

فوضع ضبطاً أدق من ضبط أبي الأسود، فجعل النقاط إعجام الحروف، وجعل ألفاً مبطوحة فوق الحرف علامة على الفتح، وتحته علامة على الكسر، وجعل رأس واو صغيرة علامة على الضمة،وجعل بعد ذلك نقاط لكل حرف الباء التاء والثاء والجيم والخاء.

يذكر السيوطي في "الإتقان" أن أبا الأسود الدؤلي أول من فعل ذلك بأمر عبد الملك بن مروان لا بأمر زياد، حيث ظل الناس يقرءون في مصحف عثمان بضعا وأربعين سنة . حتى خلافة عبد الملك حين كثرت التصحيفات وانتشرت في العراق ففكر الولاة في النقط والتشكيل[٢].

وهناك روايات أخرى تنسب هذا الفعل إلى آخرين . منهم : الحسن البصري ، ويحيى بن يعمر ، ونصر بن عاصم الليثي، وأبو الأسود الدؤلي هو الذي اشتهر عنه ذلك ، وربما كان للآخرين المذكورين جهود أخرى بذلت في تحسين الرسم وتيسيره[٣].

وخلاصة ما سبق يتضح أن أبو الأسود رحمه الله، أول من قام بالحركات وكانت عبارة عن نقطة حمراء فوق الحرف للدلالة على الفتحة ، وتحت الحرف للدلالة علي الكسرة ،ووسط الحرف للدلالة علي الضمة، وهكذا، بأمر سيدنا علي رضي الله عنه، أو زياد ابن أبيه ،أو عبدالملك بن مروان على اختلاف وقع من أهل العلم، والظاهر أن هذا الضبط لم يحل الأزمة كثيرا .

فجاء **الحجاج بن يوسف** فأمر نصر بن عاصم لكي يتم ضبط حركات باقي الحروف ولكن الحجاج لم يطمئن لهذا الضبط ، فشكل لجنة مكونة من نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر والحسن البصري ليتموا الأمر، فقاموا بتنقيط الحروف الباء والتاء والثاء وهكذا.

ثم جاء من بعدهم **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، فقام بتنقيط الحروف وجعل الحركات عبارة عن جنس الحرف ، الضمة واو صغيرة والفتحة ألف منبسطة فوق الحرف والكسرة تحت الحرف.

---

(١)راجع التلخيص الميسر لكتاب التجويد المصور للدكتور أيمن سويد.
(٢) الإتقان للسيوطي، راجع مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ١٥١)
(٣)مباحث في علوم القرآن، (ص١٤٣).

طريقة أبو الأسود في كتابة الحركات:

جاء في الرواية أن أبا الأسود طلب من الكاتب مايلي: (فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة أعلاه، وإذا رأيتني قد ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فانقط نقطة تحت الحرف، فإذا أتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين»[1].

يقول ابن تيمية في الفتاوى: "إذا كان قد سُوِّغَ لهم أن يقرأوه على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ مع تنوع الأحرف في الرسم؛ فلأن يسوغ ذلك مع اتفاق ذلك من الرسم، وتنوعه في اللفظ أَوْلَى وأَحْرَى، وهذا من أسباب تركهم المصاحف أول ما كُتِبَت غير مشكولة ولا منقوطة لتكون صورة الرسم محتملة للأمرين؛ كالتاء والياء، والفتح والضم، وهم يضبطون باللفظ كلا الأمرين، وتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلُوَّيْن، شبيهًا بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المنقولين المعقولين المفهومين، فإن أصحاب رسول الله -ﷺ- تلقَّوْا عنه ما أمره الله بتبليغه إليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعًا"[2].

دواعي وأسباب النقط والتشكل:

لما اختلط العرب بالعجم وشاع اللحن في الكلام العربي، وشاع اللحن أيضًا في القرآن الكريم بين الصبيان والمولَّدين، الذين اتولدوا في الإسلام فاضطر المسلمون أن يضبطوا المصاحف بالنقط والشكل حتى يصحِّحَ الناس قراءتهم وتكون بعد ذلك قراءة صحيحة منضبطة .

والجدير بالذكر أن أبا الأسود الدؤلي لم يضع شكلًا لكل حرف، وإنما شكَّل الحرف الأخير فقط من كل كلمة، ولهذا استمرَّ الخطأ في القراءة، واشتبهت نفس الحروف لعدم نقطها على القارئين، وكادت كارثة التحريف تصل إلى كتاب الله، فقَيَّضَ الله له عبد الملك بن مروان، فأمَرَ الحجَّاجَ أن يهتم بهذا الخطر، وأن يختار لعلاجه العالم النقي الورع الخبير بأصول اللغة ووجوه القراءات، فاختار **الحجّاج** لهذه المهمة نصر بن عاصم الليثي، حوالي سنة (٨٠ من الهجرة)، فعمَّمَ

---

(١) (سير أعلام النبلاء ٤/٨٣).
(٢)راجع مجموع فتاوى ابن تيمية » التفسير » كتاب مقدمة التفسير، (١٣/ ٣٩٠) .

شكل أبي الأسود على جميع حروف الكلمة؛ أولها ووسطها وآخرها، ولكنه ما زال الكلّ على هيئة النقط.

ولم يرق **الحجَّاج** هذا العمل؛ لأنه لم يقطع دابر الخطأ والاختلاف في القراءة، فعهد إلى لجنة مكونة من نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر العدواني، والحسن البصري، وبهذا تمَّ النقط والشكل للمصحف، ثم عدوا حروفه وحددوا نصفه وثلثه وربعه وسبعه، ويروى أنهم قسَّموه إلى أعشار، والمشهور أن الأعشار من عمل المأمون" [١].

يقول الدكتور أيمن سويد: ولم تستمر طريقة أبي الأسود الدؤلي في تمثيل الحركات بالنقاط الحمر طويلا، لصعوبتها عند الكتابة، واحتمال التباسها بنقاط الإعجام التي وضعها نصر للتمييز بين الحروف المتشابهة في الرسم، وذلك حين جعل الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) الحركات حروفا صغيرة مكان النقاط الحمر، وكذلك وضع الخليل علامة للهمزة والتشديد والرّوم والإشمام، واستخدمت العلامات الجديدة تدريجيا، حتى زالت طريقة الدؤلي بعد ذلك، فنقَطَ نصرُ بنُ عاصم الباءَ بواحدةٍ من تحتُ (ب) .

والتاءَ باثنتَينِ من فوقُ (ت). والثاءَ بثلاثٍ من فوقُ (ث). ونقَطَ النونَ والياءَ – غيرَ المتطرِّفتَين – بواحدةٍ للنونِ من فوقُ (ن) وباثنتَينِ للياءِ من تحتُ (ي) لاشتباهِهما بهِنَّ. ونقطَ الجيمَ بواحدةٍ من تحتُ (ج). والخاءَ بواحدةٍ من فوقُ (خ). وتركَ الحاءَ مُهملةً لزوالِ الاشتباه (ح). ونقَطَ الذالَ بواحدةٍ من فوقُ (ذ) وترك الدالَ (د). ونقَطَ الزايَ بواحدةٍ من فوقُ (ز) وتركَ الراءَ (ر). ونقطَ الشينَ بثلاثٍ من فوقُ (ش) وتركَ السينَ (س). ونقَطَ الضادَ بواحدةٍ من فوقُ (ض) وتركَ الصادَ (ص). ونقَطَ الظاءَ بواحدةٍ من فوقُ (ظ) وتركَ الطاء (ط). ونقَطَ الغينَ بواحدةٍ من فوقُ (غ) وتركَ العينَ (ع). ونقَطَ الفاءَ –غيرَ المتطرِّفةِ– بواحدةٍ من تحتُ (ف). ونقَطَ القافَ –غيرَ المتطرِّفةِ– بواحدةٍ من فوقُ (ف). ولم تكنِ الكافُ (ك) وقتَها تشتبهُ باللامِ فتركَها مُهمَلةً. وترك اللامَ والميمَ والهاءَ والواوَ والألفَ مهملاتٍ لعدمِ الاشتباه.

وكذلك تركَ الفاءَ والقافَ والنونَ والياءَ المتطرِّفاتِ مُهمَلةً لعدمِ الاشتباه، وجمعها العلماءُ بكلمةِ (يُنْفِقُ) ثمَّ جرى العملُ عندَ المشارقةِ على نَقطِها طرداً للقاعدة ، وبقيَ المغاربةُ على الأصل[٢].

---

(١)دراسات في علوم القرآن (ص١٨٤).

(٢)راجع العلاّمةُ الإمام محمدٌ بن محمد الأموي الشَّريشيُّ، الشهير بـ(الخرَّازُ) (ت ٧١٨هـ) في منظومتِه : مَورِدِ الظمآنِ في رسمِ وضبطِ القرآن، والتلخيص الميسر لكتاب التجويد المصور للدكتور أيمن سويد، مَرَاحِلُ تطوُّرِ كِتَابَةِ وَضَبْطِ المُصْحَفِ الشَّرِيفِ.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

حكم نقط المصحف وشكله:

١- ذهب بعض أهل العلم إلى أنه ينبغي إبقاء المصاحف الأولى على ما هي عليه من غير نقطٍ ولا شكْلٍ، مبالغةً في المحافظة على رسمه كما هو من غير زيادة فيه، ولا نقص منه، مستدلِّين على ذلك ببعض الأخبار المرويَّة عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهما، فقد أخرج أبو عبيد في فضائل القرآن، أن أبا بكر بن عياش قال: « سمعت أبا حصين يقول: "لما وجَّه عمر الناس إلى العراق قال لهم: جرِّدوا القرآن، وأقلُّوا الرواية عن رسول الله -ﷺ، وأنا شريككم، أو قال: على رسول الله»[١]، وأخرج أيضًا عن ابن الأحوص أن عبد الله بن مسعود قال: «جردوا القرآن ليربو فيه صغيركم، ولا ينأى عنه كبيركم، فإن الشيطان يفرُّ من البيت يسمع فيه سورة البقرة»[٢]

وأخرج أبو بكر الأنباري عن الضحاك، أن ابن مسعود قال: «جرِّدوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات، وأعربوه، فإنه عربي والله يحب أن يعرب»[٣].

وفهموا: أن المقصود من (تجريد القرآن) إخلاؤه من النقط والشكل، وردَّ العلماء على القولِ فقالوا: هذا قول تأويلٌ محتمَلٌ، وما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، والأصح في تأويل هذه الأخبار -إن صحَّت- أن المرادَ بتجريدِ القرآن تخليصُه مما سواه.

قال الأستاذ قدوري في كتابه "رسم المصحف" بعد أن نقل هذه الأخبار: "وأما الاحتجاج بقول عمر أو ابن مسعود: «جرِّدوا القرآن»[٤]، فيبدو أن هذا الخبر أعطي ذلك التفسير في فترات لاحقة لقوله حين بدأوا ينقطون المصاحف، فاحتجَّ من كره ذلك بقول عمر وابن مسعود: «جردوا القرآن»[٥].

قال أبو عبيد: وقد اختلف الناس في تفسير قوله: "جردوا القرآن، فكان إبراهيم يذهب به إلى نقط المصاحف، ويقول: جردوا القرآن، ولا تخلطوا به

---

(١)فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص: ٧٦) أَبُو عُبَيْد (١٥٧ - ٢٢٤ هـ)القاسم بن سلاَّم الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عُبيد- من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من أهل هراة. ولد وتعلم بها. وكان مؤدبا. ورحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة. ورحل إلى مصر سنة ٢١٣ وإلى بغداد، فسمع الناس من كتبه. وحج، فتوفي بمكة.

(٢) نفس المصدر دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ١٤٩)

(٣)دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ١٤٩) ولد الدكتور رحمه الله في المحاميد مركز أدفو بمحافظة أسوان عام ١٩٣٦ وحفظ القرآن الكريم في سن مبكره وتوفي ظهر يوم الخميس ثالث أيام عيد الأضحى المبارك وهو في الركعة الثانية من صلاة الظهر وهو ساجد، وكان ذلك في ١١ من يناير من عام ٢٠٠٦ الماجستير في التفسير وعلوم بجامعه الأزهر

(٤): رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة الشيخ المقرئ شعبان محمد إسماعيل ولد في محافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية سنة ١٣٥٩ هـ ١٩٣٩محفظ القرآن الكريم وجوّده، ثم التحق بالأزهر فدرس في معهد القراءات حتى حصل على شهادة (التخصص) في القراءات وعلوم القرآن

(٥)الأستاذ قدوري في كتابه "رسم المصحف.

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

غيره، قال أبو عبيدة: وإنما نرى أن إبراهيم كره هذا مخافة أن ينشأ نشء يدركون المصاحف منقوطة، فيرى أن النقط من القرآن، ولهذا المعنى كره من كره الفواتح العواشر"[١].

وقال السيوطي في الإتقان: "قال الحربي في غريب الحديث: قول ابن مسعود: جردوا القرآن، يحتمل وجهين: **أحدهما**: جردوه في التلاوة، ولا تخلطوا به غيره **والثاني**: جردوه في الخطِّ من النقط والتعشير. وقال البيهقي: الأبْيَنُ أنه أراد: لا تخلطوا به غيره من الكتب"[٢].

٢- وذهب أكثر العلماء إلى القول بجواز نقط المصحف وضبط حركاته لأن الضرورة إليه ملحة، وهو أمر لا يخلُّ بالرسم، وإنما يزينه ويكمله، ويعين القراء على قراءة القرآن من غير لحن. قال الإمام مالك: "لا بأس بالنقط في المصاحف التي يتعلَّم فيها الغلمان، أما الأمهات فلا"[٣]، وإن ما قاله الإمام مالك -رضي الله عنه- هو القول الصحيح، فقد أفتى بوجوب المحافظة على أمهات المصاحف كما هي من غير نقط ولا شكل لتظلَّ مرجعًا للمسلمين، وتراثًا لأولهم وآخرهم، وتحقيقًا لإتباع سنة الخلفاء الراشدين، بخلاف غيرها من المصاحف التي تكتب للغلمان، ومَنْ في حكمهم للضرورة والحاجة إلى ذلك الضبط -والله أعلم.

وقال النووي: نقط المصحف وشكله مستحَبٌّ؛ لأنه صيانةٌ له من اللحن والتحريف[٤]، وأما وضع الأجزاء والأحزاب: فقد جاءت بعد ذلك على يد نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر بأمر وإشراف من الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان هذا في عهد التابعين[٥].

حكم تجزئته وتحسين خطه:

تقسيم القرآن إلى ثلاثين جزءًا، وتقسيم الجزء إلى حزبين، وتقسيم الحزب، إلى أربعة أرباع، وكتابة أرقام الآيات بعد كلٍّ منها، ووضع علامات الوقف والمد وغيرها على الحروف، كل ذلك مستحدث، وفيه كلام طويل للعلماء من حيث الكراهية والجواز.

---

(١) أبو عبيد راجع دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ١٤٩)
(٢)الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٨٧)
(٣)المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٣٨٤) **العلامة الدكتور محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة**- ولد رحمه الله بقرية «منية جناج» الواقعة على ضفاف نهر النيل فرع رشيد التابعة لمركز ومدينة دسوق - محافظة كفر الشيخ - في ٢٥ شوال ١٣٣٢هـ - انتقل - أيام عيد الفطر، بعد فريضة الصيام في صباح يوم الجمعة الموافق ٥ شوال ١٤٠٣هـ - وشُيعت جنازته من الجامع الأزهر الشريف، فصلى عليه جمع غفير من علماء الأزهر وطلابه، يؤمهم الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق رحمه الله
(٤)الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٨٥) الجَلَال السُّيُوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ)عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف
(٥)راجع دراسات في علوم القرآن ، (ص١٤٩) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والصواب: أن ذلك كله جائز لتيسير قراءته وحفظه، وأما ما أُدْخِلَ عليه من تحسينات في الخط والحجم والورق، والطبع، والتجليد، والتذهيب، فالأمر فيه واسع، بل ذلك مما يستَحَبُّ فعله إجلالًا للمصحف، وتكريمًا له، ولما فيه من الترغيب في قراءته واقتنائه وإهدائه لمن يُحْسِنُ القراءة فيه.

والذي وضع التقسيم الموجود للقرآن هو: الحجاج بن يوسف الثقفي المتوفى سنة (٩٦هـ)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قد علم أن أول ما جُزِّئَ القرآن بالحروف تجزئةَ ثمانية وعشرين، وثلاثين، وستين، هذه التي تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السورة ، وأثناء القصة ونحو ذلك، كان في زمن الحجاج وما بعده، وروي أن الحجاج أمر بذلك ، ومن العراق فشا ذلك، ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك" [(١)].

وإذا كانت التجزئة بالحروف محدثة من عهد الحجاج بالعراق ، فمعلوم أن الصحابة قبل ذلك على عهد النبي ﷺ وبعده كان لهم تحزيب آخر؛ فإنهم كانوا يقدرون تارة بالآيات فيقولون: خمسون آية، ستون آية، وتارة بالسور، لكن تسبيعه بالآيات (يعني تقسيم القرآن إلى سبعة أقسام بالآيات) لم يروه أحد، ولا ذكره أحد، فتعين التحزيب بالسور "وهذا الذي كان عليه الصحابة هو الأحسن؛ لوجوه: **أحدها**: أن هذه التحزيبات المحدثة تتضمن دائمًا الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده، حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه ، فيحصل القارئ في اليوم الثاني مبتدئًا بمعطوف، كقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[النساء: ٢٤]، وقوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الأحزاب: ٣١]، وأمثال ذلك. **الثاني**: أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت عادته الغالبة وعادة أصحابه أن يقرأ في الصلاة بسورة ك"ق" ونحوها، وأما القراءة بأواخر السور وأوساطها، فلم يكن غالبًا عليهم ؛ ولهذا يتورع في كراهة ذلك، وفيه النزاع المشهور في مذهب أحمد وغيره، ومن أعدل الأقوال قول من قال : يكره اعتياد ذلك دون فعله أحيانًا ؛ لئلا يخرج عما مضت به السنة ، وعادة السلف من الصحابة والتابعين[(٢)].

---

(١)في "مجموع الفتاوى" (٤٠٩/١٣) . ابن تَيْمِيَّة (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر فيها رحمه الله.

(٢)مجموع الفتاوى ، (٤١٠/١٣-٤١٦) .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصـــل الحادي عشر

التجويد والقراءات والقراء:

علم التجويد من العلوم المتعلقة بكتاب الله سبحانه، فهو العلم الذي يؤهل الطالب إلى قراءة كتاب الله تعالى قراءة منضبطة وصحيحة، قال تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]، واختلف أهل العلم في حكم تعلم التجويد وحكم تطبيقه على قولين:

القول الأول: أن تجويد القرآن سنة وهو من آداب التلاوة و يستحسن الالتزام به عند تلاوة القرآن دون تكلف، وليس واجبا. وهذا قول الفقهاء.

القول الثاني: تعلم التجويد فرض كفاية أما القراءة به فواجب على كل مسلم ومسلمة. وهذا قول معظم علماء التجويد، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل:٤] .

قال ابن الجزري في مقدمته:

والأخذ بالتجويد حتم لازم	*	من لم يجود القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا	*	وهكذا منه إلينا وصلا
وهو أيضا حلية التلاوة	*	وزينة الأداء والقراءة

والتجويد: في اللغة: "التحسين"، و"الإحكام"، والإتقان"، يقال جوّدت الشيء إذا حسنته، واتقنته، والجيد عكس (الردئ) .

أما اصطلاحًا: فهو إخراج كلّ حرف من حروف القرآن من مخرجه دون تغيير أو لحن ، وقراءتُه قراءةً صحيحةً وفق قواعد التجويد التي وضعها علماء التجويد.

ويقال هو: إعطاء كلّ حرف حقّه ومستحقه من المخارج والصفات.

وتجويد القرآن الكريم، إتقان تلاوته، وتحسين نطق حروفه، بالتلقي والمشافهة، وله معنيان هما: معنىً: (تطبيقي، عملي)، هو: إعطاء كل حرف حقه، ومستحقه، من الصفات. الذاتية، والعرضية، مثل: الجهر، والغنة، والمد.

ومعنىً علمي: (نظري)، بمعنى: دراسة أحكام (علم التجويد)، يقول سيدنا عليّ رضي الله عنه: الترتيل هو تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف. وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون ﴾ [البقرة:١٢١] .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

طريقة أخذ علم التجويد:

أولًا: أن يستمع المتعلم لقراءة شيخه، وهذه طريقة المتقدمين.

ثانيًا: أن يقرأ الطالب أمام شيخه والشيخ يصحح. والأفضل الجمع بين الطريقتين.

أول من ألف في علم التجويد:

أول مَن ألَّف في التجويد: الإمام أبو مزاحم الخاقاني المتوفَّى سنة (٣٢٥هـ)، وذلك في أواخر القرن الثالث الهجري، ألف قصيدة رائية مكوَّنة من واحد وخمسين بيتًا - وهي تعتبر أقدم نظمٍ في علم التجويد - ذكر فيها عددًا من موضوعات التجويد، وكان لها أثر في جهود العلماء اللاحقين من خلال استشهادهم بأبياتها، أو شرحهم لمعانيها، أو اقتباسهم منها.

لكن الملاحظ أن أبا مزاحم -رحمه الله- لم يستخدم كلمة التجويد في قصيدته، ولكنه استخدم كلمة: "حسن الأداء" وما اشتق منها، فقال: "أيا قارئ القرآن، أحسِن أداءه"، وقال: "فقد قلت في حسن الأداء قصيدة"، وعدم استخدامه لكلمة التجويد يشير إلى أن هذا المصطلح لم يكن مشهورًا وقتئذٍ، وإن كان قد استخدمه بعض العلماء مثل ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ)، حين قال: "اللحن في القرآن لحنان: جلي وخفي؛ فالجلي: لحن الإعراب، والخفي: ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه".

ثم تتابعت المصنفات بعد ذلك، فألف السعيدي علي بن جعفر (ت:٤١٠هـ) تقريبًا كتابه: "التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي"، وكتابه: "اختلاف القراء في اللام والنون"، ثم ألَّف مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧ هـ) كتابه: "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة"، وألَّف الداني: (ت: ٤٤٤ هـ) كتابه: "التحديد في الإتقان والتجويد"، وعددًا من الكتب؛ منها: "شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني"، وألَّف أبو الفضل الرازي: (ت: ٤٥٤ هـ) كتابًا في التجويد، وألَّف عبدالوهَّاب القرطبي: (ت: ٤٦٢ هـ) كتاب: "الموضح في التجويد"، وكان من أشهر هذه المصنَّفات "متن تحفة الأطفال" .

وقد أحصى الأستاذ الدكتور/ غانم قدوري الحمد في كتابه: "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد" ما يزيد على مائة كتاب ورسالة في علم التجويد،

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

منها ما هو مخطوط، ومنها ما هو مطبوع، ورتبها من بداية التأليف حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري بحسب وفاة مؤلفيها[1].

شروط القراءة الصحيحة:

الشرط الأول: أن تكون صحيحة الإسناد: والمقصود بصحة السند في باب القراءات هو تواترها عن النبي ﷺ يقول الصفاقسي:" مذهب الأصوليين، وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين القراء أن التواتر شرط في صحة القراءة ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية والعربية"[2].

هل يشترط التواتر أم يكتفى فيه بصحة السند ؟

اختلف فيه على قولين:

القول الأول:يشترطون التواتر وقالوا أن التواتر شرط في ثبوت القرآن، وممن اشترط ذلك الغزالي وابن قدامة وابن الحاجب وغيرهم

يقول الشيخ [السيد رزق الطويل] يرى جمهور العلماء من الأصوليين، وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثين، والقراء أن شرط القراءة الصحيحة هو التواتر، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر.

والقراءة التي تكتب بسند غير متواتر لا تسمى قرآنًا ولا يقرأ بها؛ لأن من تعريف العلماء للقرآن قولهم: "المنقول إلينا بالتواتر"

والتواتر: هو نقل جماعة عن جماعة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه.

يقول النويري: عدم اشتراط التواتر قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين، وغيرهم لأن القرآن -عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة هو ما نقل بين دفتي المصحف نقلًا متواترًا، وكل من قال بهذا الحد اشترط التواتر، كما قال ابن الحاجب، وحينئذ فلا بد من التواتر عند الأئمة الأربعة، صرح بذلك جماعات كابن عبد البر، وابن عطية، والنووي، والزركشي، والسبكي، والإسنوي، والأذرعي، وعلى ذلك أجمع القراء، ولم يخالف من المتأخرين إلا مكي، وتبعه بعضهم

---

(١)يراجع: لمحة موجزة عن تاريخ التجويد، محمود العشري، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد.

(٢)غيث النفع في القراءات السبع للصفاقسي، (١/ ١٤).

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ومن عبارة النويري التي نقلها الدمياطي ما يفيد أن بعض القراء المتأخرين ومنهم مكي ومن تبعه لا يشترطون التواتر مثل ابن الجزري. [1]

القول الثاني:أنه لايشترط التواتر وإنما يكتفي بصحة السند.

قال الشيخ مكي بن أبي طالب القيسي:القراءة الصحيحة ما صح سندها إلى النبي-ﷺ وساغ، وجهها في العربية،ووافقت خط المصحف([2])

وقال- [أبو شامة المقدسي][3]

«ولا يلزم في ذلك تواتر، بل تكفي الآحاد الصحيحة من الاستفاضة وموافقة خط المصحف وعدم المنكرين لها نقلا،وتوجيها من حيث اللغة، والله أعلم».

وهو أيضا كلام أبي إسحاق الجعبري ت٧٣٢هـ -رحمه الله-(ت٧٣٢هـ)في«كنز المعاني» وكتاب كنز المعاني في شرح حرزالأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للإمام الشاطبي ت٥٩٠هـ

وإليه ذهب ابن الجزري وأشار إلى أنه مذهب أئمة السلف والخلف وغيرهم.

قال-رحمه الله-(ت٨٣٣هـ) «كُلُّ قِرَاءَةٍ وَافَقَتِ الْعَرَبِيَّةَ وَلَوْ بِوَجْهٍ ، وَوَافَقَتْ أَحَدَ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَلَوِ احْتِمَالًا وَصَحَّ سَنَدُهَا ، فَهِيَ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي لَا يَجُوزُ رَدُّهَا وَلَا يَحِلُّ إِنْكَارُهَا ، بَلْ هِيَ مِنَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَى النَّاسِ قَبُولُهَا ، سَوَاءٌ كَانَتْ عَنِ الْأَئِمَّةِ السَّبْعَةِ ، أَمْ عَنِ الْعَشَرَةِ ، أَمْ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمَقْبُولِينَ ، وَمَتَى اخْتَلَّ رُكْنٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الثَّلَاثَةِ أُطْلِقَ عَلَيْهَا ضَعِيفَةٌ أَوْ شَاذَّةٌ أَوْ بَاطِلَةٌ ، سَوَاءٌ كَانَتْ عَنِ السَّبْعَةِ أَمْ عَمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمْ ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَئِمَّةِ التَّحْقِيقِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ ، صَرَّحَ بِذَلِكَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ ، وَنَصَّ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَمَّارٍ الْمَهْدَوِيُّ ، وَحَقَّقَهُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي شَامَةَ ، وَهُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ الَّذِي لَا يُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ خِلَافُهُ».([4])

---

[1]) كتاب مدخل في علوم القراءات ص٤٩
إرشاد الفحول للشوكاني ص٢٩.
الكفاية في علم الرواية للبغدادي ص٥٠.
[2]) («الإبانة»لمكي ص٣٩).
[3]) في المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (ص١٤٥):
[4]) «النشر في القراءات العشر»(١/ ٩/ الضباع-المطبعة التجارية):

الشرط الثاني: أن تكون القراءة موافقة للغة العربية ولو بوجه محتمل، وقد وضح الإمام ابن الجزري المقصود بالعربية قائلا:" ومعنى "العربية مطلقا" أي ولو بوجه من الإعراب نحو قراءة حمزة ﴿ وَالْأَرْحَامِ ﴾ [النساء: ١] بالجر وقراءة أبي جعفر ﴿لِيَجْزِئَ قَوْمًا﴾ [(١)].

الشرط الثالث: أن تكون موافقة للرسم العثماني ولو احتمالا، والمقصود بموافقة القراءة للرسم العثماني أن تكون القراءة موافقة لمصحف الإمام؛ إذ هو الذي أجمعت عليه الأمة منذ عصر الصحابة إلى يوم الناس هذا،

وكل قراءة خالفت رسم المصحف الإمام عدت من قبيل الشواذ، المصحف الذي جمعه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، يقول ابن الجزري رحمه الله: " ومعنى أحد المصاحف العثمانية واحد من المصاحف التي وجهها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار. كقراءة ابن كثير في التوبة ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ بزيادة "من" فإنها لا توجد إلا في مصحف مكة".

يقول العلامة ابن الجزري:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ ... وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي
وَصَحَّ إِسْناداً هُوَ الْقُرآنُ ... فَهَذِهِ الثَّلاثَةُ الأَرْكَانُ
وحَيثُماَ يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ. ... شُذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبعَةِ
فكُنْ عَلى نَهْجِ سَبِيلِ السَّلفِ ... في مُجْمَعٍ عَلَيْهِ أوْ مُخْتَلَفِ

وبهذه الشروط يتميز صحيح القراءات من شاذها،كما يعلم أن كل ما لم يتضمن تلك لشروط جميعها لا يعد قرآنا،ذلك أن القرآن ما تضمن هذه الشروط المذكورة وكفى[(٢)].

وما خالف هذه الشروط فيكون شاذ لا يجوز التعبد به، قال "النووي" في "شرح المهذب": "لا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذة؛ لأنها ليست قرآنًا، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر والقراءة الشاذة ليست متواترة، ومن قال غيره فغالط أو جاهل، فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه قراءته في الصلاة وغيرها، وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة من قرأ بالشواذ، ونقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا يجوز القراءة بالشواذ، ولا يُصلَّى خلف مَن يقرأ بها .

(١)غيث النفع في القراءات السبع للصفاقسي، (١/ ١٤) .
(٢)راجع شروط القراءة الصحيحة وأثرها في اختلاف الفقهاء، عبدالرزاق الصادقي، والمنار في علوم القرآن، (٢/ ١٢٥).

سبب تسميتها بالشاذ:

والسبب في تسميتها بالقراءة الشاذة لأنها شذت عن الطريق الذي نقل به القرآن.

القراءات والقرَّاء

القراءات في اللغة : جمع قراءة، مصدر قرأ.

وفي الاصطلاح: مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القرَّاء مذهبًا يخالف غيره.

وقد اشتهر عدد كبير من أهل العلم والفضل بنقل هذه القراءات عن رسول الله ﷺ بأسانيد ثابتة متصلة إلى رسول الله -ﷺ- فمن الصحابة عددًا كبيرًا، منهم: أُبَي بن كعب، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وغيرهم، وعنهم أخذ كثير من الصحابة والتابعين في الأمصار، وكلهم أخذ من رسول الله، ﷺ.

وقد ذكر الذهبي في "طبقات القرَّاء" أن المشتهرين بإقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان، وعلي، وأُبَي، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، قال: وقد قرأ على "أُبَي" جماعة من الصحابة، منهم: أبو هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن السائب، وأخذ ابن عباس عن زيد أيضًا[1].

وأخذ عن هؤلاء الصحابة خلق كثير من التابعين في كل مصر من الأمصار، ولقد اشتهر في كل مكان مجموعة من القراء حيث أنهم اخذوا عن الصحابة رضي الله عنهم الذين تفرقوا في البلاد ،وعرفت هذه المجموعات بالمدارس.

مدرسة قراء المدينة

ومنهم :سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير ، وسالم بن عبدالله بن عمر، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان وعطاء ابنا يسار، ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وابن شهاب الزهري، ومسلم بن جندب، وزيد بن أسلم.

مدرسة قراء مكة:

ومنهم "بمكة": عبيد بن عمير، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس، ومجاهد، وعكرمة، وابن أبي مليكة .

(١) طبقات القراء، للذهبي . مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ١٧١)

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

مدرسة قراء الكوفة:

ومنهم "بالكوفة": علقمة، والأسود، ومسروق، وعبيدة، وعمرو بن شرحبيل، والحارث بن قيس، وعمرو بن ميمون، وأبو عبد الرحمن السلمي، وسعيد بن جبير، والنخعي، والشعبي.

مدرسة قراء البصرة:

ومنهم "بالبصرة": أبو عالية، وأبو رجاء، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، والحسن، وابن سيرين، وقتادة.

مدرسة قرّاء الشام:

وكان منهم "بالشام": المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، صاحب عثمان، وخليفة بن سعد، صاحب أبي الدرداء.

وفي عهد التابعين على رأس المائة الأولى تجرد قوم واعتنوا بضبط القراءة عناية تامة، حين دعت الحاجة إلى ذلك، وجعلوها عِلمًا كما فعلوا بعلوم الشريعة الأخرى، وصاروا أئمة يُقتدى بهم ويُرْحل إليهم. واشتهر منهم، ومن الطبقة التي تلتهم الأئمة السبعة الذين تُنسب إليهم القراءات إلى اليوم[1].

فكان منهم "بالمدينة": أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم نافع بن عبد الرحمن، وكان منهم "بمكة": عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس الأعرج، وكان منهم "بالكوفة": عاصم بن أبي النجود، وسليمان الأعمش، ثم حمزة، ثم الكسائي، وكان منهم "بالبصرة": عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمرو، وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم الجحدري، ثم يعقوب الحضرمي، وكان منهم "بالشام": عبد الله بن عامر، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثم يحيى بن الحارث، ثم شريح بن يزيد الحضرمي[2].

والأئمة السبعة الذين اشتهروا من هؤلاء في الآفاق هم: أبو عمرو، ونافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، وابن كثير[3].

---

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ، (ص١٧١) .
(٢) انظر "الإتقان" (١/ ٧٢- ٧٣) .
(٣) انظر "الإتقان" (١/ ٧٢- ٧٣) .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

مهم جدًّا:

ليس معني ان هؤلاء فقط هم الذين كانوا يقرؤون بهذه القراءات ،ولكنهم هم من أكثر الناس شهرة واتقانا ، فكانوا أكثر الناس لها دقة وعلما وأداء، فليس معني قراءة نافع أن نافعا وحده من قرأ بها ولكنه كان أكثر اتقانا واجمل أداء لهذه القراءة في زمانة، فمعلوم أن القرآن نقل عن طريق التواتر، وهو الجمع الغفير الذي ينقل عن الجمع الغفير .

نقل الزركشي عن (مكي) قوله: والسبب في اشتهار هؤلاء السبعة دون غيرهم أن عثمان رضي الله عنه لما كتب المصاحف، ووجهها إلى الأمصار، وكان القراء في العصر الثاني والثالث كثيري العدد، فأراد الناس أن يقتصروا في العصر الرابع على ما وافق المصحف، فنظروا إلى إمام مشهور بالفقه والأمانة في النقل، وحسن الدين وكمال العلم قد طال عمره واشتهر أمره، وأجمع أهل مصر على عدالته، فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفا إماما هذه صفة قراءته على مصحف ذلك المصر، فكان أبو عمر من أهل البصرة، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها، والكسائي من العراق، وابن كثير من أهل مكة، وابن عامر من أهل الشام، ونافع من أهل المدينة، كلهم ممن اشتهرت إمامتهم وطال عمرهم في الإقراء وارتحل الناس إليهم من البلدان[1].

أول من ألف في القراءات:

وأول من قام بجمع القراءات وضبطها في كتاب مستقل هو أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ، وقام بهذا العمل العظيم بعد أن تعددت القراءات وكثر القراء، وخاف من فتنة وفوضى واضطراب، فتصدى لهذا العمل العظيم، حيث قام بضبط بعض القراءات، وجمع خمسا وعشرين قراءة، ثم جاء بعده أحمد بن جبير الكوفي سنة ٢٥٨ هـ، وجمع خمس قراءات من كل مصر، ثم جاء بعد ذلك القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي فألف كتابا في القراءات وجمع فيه عشرين قراءة، ثم جاء بعد ذلك الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠، فألف كتابه الجامع، وجمع فيه أكثر من عشرين قراءة، ثم تتالت المؤلفات والمصنفات في القراءات، ثم انتقلت هذه القراءات إلى الأندلس في أواخر القرن الرابع، وكان أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي مؤلف كتاب

(١)راجع كتاب: المدخل إلى علوم القرآن الكريم (ص٢٤).

(الروضة) أول من أدخل القراءات إلى الأندلس ثم تبعه مكي بن أبي طالب القيسي مؤلف التبصرة، ثم الحافظ أبو عمرو الداني مؤلف التيسير وجامع البيان...[١].

قال السيوطي: " أول من صنف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثم أحمد بن جبير الكوفي ، ثم إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون ، ثم أبو جعفر بن جرير الطبري ، ثم أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الدجوني ، ثم أبو بكر بن مجاهد ، ثم قام الناس في عصره وبعده بالتأليف في أنواعها جامعا ومفردا ، وموجزا ومسهبا ، وأئمة القراءات لا تحصى ، وقد صنف طبقاتهم حافظ الإسلام أبو عبد الله الذهبي، ثم حافظ القراء أبو الخير بن الجزري[٢].

وقال الإمام ابن الجزري في "النشر" : "أول إمام معتبر جَمع القراءات في كتابٍ أبو عبيد القاسم بن سلام، وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئًا، مع هؤلاء السبعة، وتوفي سنة (٢٢٤هـ) ثم قال: وكان في أثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد أول من اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط، وتوفي سنة (٣٢٤هـ)[٣].

وكتاب التيسير في القراءات السبع من أهم المؤلفات في علم القراءات، وهو الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني توفي (٤٤٤هـ)، وهو حافظ محقق متقن، وكتابه التيسير كتاب مختصر جمع فيه ما صح من القراءات ،واقتصر فيه على روايتين لكل قارئ، وطريق لكل راو، بأسانيده الصحيحة الثابتة في هذه القراءات السبع، ولذلك كان كتابًا معتمدًا عند علماء القراءات، لاختصاره وتميزه، والكتاب نال اهتمام الكثير من أهل التخصص، وصار من الكتب التي يحفظها المهتمون بعلم القراءات، ويحرصون على نظمها شعرا، وعلى شرحها في كتب منفصلة، ومن هؤلاء الشاطبي فنظم هذا الكتاب أبياتا في منظومته (حرز الأماني) أو (الشاطبية)، وذلك بعد أن رأى اشتهاره بين الناس، وعناية أهل القراءات به، ورواه جماعة من أهل العلم من أمثال أبي بكر الإشبيلي (٥٧٥هـ) وأبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي (٧٣٠ هـ) بأسانيدهما إلى الداني صاحب التيسير، وهو من كتب الأصول المعتمدة عند ابن الجزري صاحب كتاب النشر، وهو آخر الكتب المهمة في القراءات[٤].

ومتن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع هي منظومة للإمام القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي الرعيني.

---

(١)راجع كتاب: المدخل إلى علوم القرآن الكريم (ص٢٤).
(٢) الإتقان للسيوطي مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ١٧٣)
(٣)راجع الإتقان"، (١/ ٧٣)، وينظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، (ص: ١٧٣) .
(٤)راجع مقدمة تحقيق التيسير، خلف الشغدلي، دار الأندلس، ٢٠١٥م.

اشتهرت بالشاطبية نسبة لناظمها. بلغ عدد أبياتها ١١٧٣ بيتاً، نظم فيها الشاطبي القراءات السبع المتواترة عن الأئمة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي،وهي أول القصائد التي نظمت في علم القراءات.

قال العلامة ابن الجزري: «ومن وقف على قصيدته علم مقدار ما آتاه الله في ذلك، خصوصاً اللامية التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها فإنه لا يعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها أو قابل بينها وبين ما نظم على طريقها. ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن، بل أكاد أن أقول ولا في غير هذا الفن فإنني لا أحسب بلداً من بلاد الإسلام يخلو منه، بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة به»

بدأت ببسم الله في النظم أولا ... تبارك رحماناً رحيماً وموئلا
وثنيت صلى الله ربي على الرضا ... محمد المهدى إلى الناس مرسلا
وعترته ثم الصحابة ثم من ... تلاهم على الإحسان بالخير وبلا
وثلثت أن الحمد لله دائما ... وما ليس مبدوءاً به أجذم العلا
وبعد فحبل الله فينا كتابه ... فجاهد به حبل العدا متحبلا

ومن شراحها: الوافي في شرح الشاطبية لعبد الفتاح القاضي، وإرشاد المريد إلى مقصود القصيد علي محمد الضباع، وإبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة المقدسي، والهيئة السنية العلية على أبيات الشاطبية لملا علي قاري، وسراج القارئ المبتدي لابن القاصح العذري.

ثم جاء الإمام ابن الجزري (٧٥١ - ٨٣٣ هـ) شيخ شيوخ القرّاء الإمام الحافظ الشافعي وسند المقرئين، صاحب التصانيف التي لم يسبق مثلها، الذي بلغ الذروة في علوم التجويد وفنون القراءات، حتى صار فيها الإمام.

فنظم (الدرة المضية في القراءات الثلاث المرضية)، أو (متن الدرة)، وعدد أبياتها (٢٤١) مائتان وواحد وأربعون بيتًا، نَظَمَها سنة (٨٢٣هـ)، وهي قصيدة لامية في القراءات القرآنية الثلاث -المتممة للقراءات القرآنية العشر، وهي قراءات أبي جعفر ويعقوب وخلف.

الذين لم يذكرهم الإمام الشاطبي في متن الشاطبية، وبهذا النظم تمت القراءات العشر الصغرى.

و شاع عند الناس أن القراءات المتواترة هي التي في كتاب التيسير والشاطبية فقط، فألف الإمام ابن الجزري كتابه التحبير والدرة تدليلًا على أن القراءات القرآنية ليست محصورة في التيسير والشاطبية، ثم نظم رحمه الله «طيبة النشر

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

في القراءات العشر» في القراءات العشر الكبرى جمع فيها الإمام ابن الجزري ما اختلف فيه القراء وماورد عنهم من أصح الطرق التي انتقاها، عدد أبياتها (١٠١٤) بيتًا، على بحر الرجز (مستفعلن ست مرات)، وضمّنت قراءات الأئمة العشرة، ورواتهم المشهورين المذكورين في الشاطبيّة والدّرة،

وطيبة النشر تناول فيها ابن الجزري مذاهب القراء العشرة أصولًا وفرشًا، قال في أولها:

قَالَ مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ الْجَزَرِي ... يَاذَا الجَلالِ ارْحَمْهُ وَاسْتُرْ وَاغْفِرِ
الْحَمْدُ للهِ عَلَى مَا يَسَّرَهْ ... مِنْ نَشْرِ مَنْقُولِ حُرُوفِ العَشَرَهْ

وقال:

وهذِهِ أُرْجُوزَةٌ وَجِيزَهْ ... جَمَعْتُ فِيهَا طُرُقًا عَزِيزَهْ
وَلاَ أَقُولُ إِنَّهاَ قَدْ فَضَلَتْ ... «حِرْزَ الأَمَانِي» بَلْ بِهِ قَدْ كَمَلَتْ
حَوَتْ لِمَا فِيهِ مَعَ «التَّيْسِيرِ» ... وَضِعْفِ ضِعْفِهِ سِوَى التَّحرِيرِ
ضَمَّنْتُهَا كِتَابَ «نَشْرِ الْعَشْرِ» ... فَهْيَ بِهِ «طَيِّبَةٌ فِي النَّشْرِ»

القراء:

اشتهر عدد من الصحابة باقراء القرآن، هم: عثمان، وعلي، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري،، وأخذ التابعون عن الصحابة، واشتهر عدد من التابعين بالقراءة، في كل من المدينة ومكة والبصرة والكوفة والشام، واشتهر من قراء التابعين عدد منهم انصرفوا إلى العناية بالقرآن، وقاموا بضبطه، وانشغلوا بحفظه، وتفرغوا لإقرائه وتعليمه.

أبرز قراء التابعين:

ومن أبرز قراء التابعين، **قراء المدينة**: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، وشيبة بن نصاح، ونافع بن أبي نعيم، وقراء مكة: عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس الأعرج، ومحمد بن محيصن، وقراء الكوفة: يحيى بن وثاب، عاصم بن أبي النجود، وسليمان الأعمش، وحمزة، والكسائي، وقراء الشام: عبد الله بن عامر، وعطية بن قيس الكلابي، وإسماعيل بن عبد الله ابن المهاجر، ويحيى بن الحارث الذماري، وشريح بن يزيد الحضرمي.

القرَّاء السبعة المشهورون:

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

١- أبو عمرو بن العلاء شيخ الرواة: وهو زيان بن العلاء بن عمار المازني البصري، وقيل اسمه يحيى، وقيل اسمه كنيته، وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة (١٥٤هـ)

وراوياه: الدوري، والسوسي، فأما الدوري: فهو أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري النحوي.

والدور: موضع ببغداد، توفي سنة ست وأربعين ومائتين (٢٤٦هـ)، وأما السوسي: فهو أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله السوسي، توفي سنة إحدى وستين ومائتين (٢٦١هـ).

٢- ابن كثير: هو عبد الله بن كثير المكي، وهو من التابعين، وتوفي بمكة سنة عشرين ومائة (١٢٠هـ)

وراوياه: البزي، وقنبل، أما البزي: فهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المؤذن المكي، ويكنى أبا الحسن، وتوفي بمكة سنة خمسين ومائتين (٢٥٠هـ)، وأما قنبل: فهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد المكي المخزومي، ويكنى أبا عمرو، ويلقب قنبلًا، ويقال: هم أهل البيت بمكة، يعرفون بالقنابلة، وتوفي بمكة سنة إحدى وتسعين ومائتين (٢٩١هـ).

٣- نافع المدني: هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أصله من أصفهان، وتوفي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة (١٦٩هـ)

وراوياه: قالون: وورش، أما قالون: فهو عيسى بن منيا "بالمد والقصر" المدني معلم العربية، ويكنى أبا موسى، وقالون لقب له أيضًا، يُروى أن نافعًا لقَّبه به لجودة قراءته لأن "قالون" بلسان الروم "جيد". وتوفي بالمدينة سنة عشرين ومائتين (٢٢٠هـ)، وأما ورش: فهو عثمان بن سعيد المصري، ويكنى أبا سعيد، وورش لقب له، لقب به فيما يقال لشدة بياضه، وتوفي بمصر سنة سبع وتسعين ومائة (١٩٧هـ).

٤- ابن عامر الشامي: هو عبد الله بن عامر اليحصبي قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك. ويكنى أبا عمران، وهو من التابعين، وتوفي بدمشق سنة ثمان عشرة ومائة (١١٨هـ)

وراوياه: هشام، وابن ذكوان، فأما هشام: فهو هشام بن عمار بن نصير القاضي الدمشقي، ويكنى أبا الوليد، وتوفي بها سنة خمس وأربعين ومائتين (٢٤٥هـ)، وأما ابن ذكوان: فهو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الدمشقي، ويكنى أبا عمرو، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة "١٧٣هـ" وتوفي بدمشق سنة اثنتين وأربعين ومائتين (٢٤٢هـ).

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٥- عاصم الكوفي: هو عاصم بن أبي النجود، ويقال له ابن بهدلة، أبو بكر، وهو من التابعين، وتوفي بالكوفة سنة ثمان وعشرين ومائة (١٢٨هـ)

وراوياه: شعبة، وحفص، فأما شعبة، فهو أبو بكر شعبة بن عباس بن سالم الكوفي، وتوفي بالكوفة سنة ثلاث وتسعين ومائة (١٩٣هـ)، وأما حفص: فهو حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز الكوفي، ويكنى أبا عمرو، وكان ثقة، قال ابن معين: هو أقرأ من أبي بكر، وتوفي سنة ثمانين ومائة (١٨٠هـ) .

٦- حمزة الكوفي: هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الفرضي التيمي، ويكنى أبا عمارة وتوفي بحلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ست وخمسين ومائة (١٥٦هـ)

وراوياه: خلف، وخلاد، فأما خلف: فهو خلف بن هشام البزاز، ويكنى أبا محمد توفي ببغداد سنة تسع وعشرين ومائتين (٢٢٩هـ)، وأما خلاد، فهو خلاد بن خالد، ويقال ابن خليد، الصيرفي الكوفي، ويكنى أبا عيسى، وتوفي بها سنة عشرين ومائتين (٢٢٠هـ) .

٧- الكسائي الكوفي: هو علي بن حمزة إمام النحاة الكوفيين، ويكنى أبا الحسن، وقيل له "الكسائي" من أجل أنه أحرم في كساء، توفي بـ "رنبوية" قرية من قرى الري حين توجه إلى خراسان مع الرشيد سنة تسع وثمانين ومائة (١٨٩هـ)،

وراوياه: أبو الحارث، وحفص الدوري: فأما أبو الحارث فهو الليث بن خالد البغدادي، توفي سنة أربعين ومائتين (٢٤٠هـ)، وأما حفص الدوري: فهو الراوى عن أبي عمرو.[١]

أما الثلاثة تكملة العشرة فهم:

٨- أبو جعفر المدني: هو يزيد بن القعقاع، وتوفي بالمدينة سنة ثمان وعشرين ومائة (١٢٨هـ) ، وقيل: (١٣٢هـ)

---

(١) للمزيد من الترجمة راجع
سير أعلام النبلاء الذَّهَبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله حافظ، مؤرخ، علامة محقق. تركمانيّ الأصل، من أهل ميافارقين، مولده ووفاته في دمشق.• رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان، وكف بصره سنة ٧٤١ هـ
تهذيب التهذيب ابن حَجَر العَسْقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر • من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة
الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ قال المترجَم عن نفسه (في كتابه الأعلام ٨ /٢٦٧) :
ولدت ليلة ٩ ذي الحجة ١٣١٠ (٢٥ يونيه ١٨٩٣) في بيروت، وكانت لوالدي تجارة فيها، وهو وأمي دمشقيان. ونشأت بدمشق، فتعلمت في إحدى مدارسها الأهلية. وأخذت عن علمائها، على الطريقة القديمة. وأولعت بكتب الأدب.
وقلت الأبيات من الشعر، في صباي، وأديت امتحان « القسم العلمي» في المدرسة الهاشمية .ودرست فيها.
تراجم موجزة للأعلام
موسوعة الأعلام (المؤلف: وزارة الأوقاف المصرية

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وراوياه: ابن وردان: وابن جماز: فأما ابن وردان: فهو أبو الحارث عيسى بن وردان المدني، وتوفي بالمدينة في حدود الستين ومائة (١٦٠هـ)، وأما ابن جماز: فهو أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز المدني، توفي بها بُعَيْد السبعين ومائة (١٧٠هـ).

٩- يعقوب البصري: هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي، وتوفي بالبصرة سنة خمس ومائتين (٢٠٥هـ)، وقيل (١٨٥هـ)

وراوياه: رويس، وروح، فأما رويس: فهو أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري، ورويس لقب له، وتوفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين (٢٣٨هـ)، وأما روح: فهو أبو الحسن روح بن عبد المؤمن البصري النحوي، وتوفي سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين (٢٣٤هـ)، أو (٢٣٥هـ) .

١٠- خلف: هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي وتوفي سنة تسع وعشرين ومائتين (٢٢٩هـ)، وقيل: لم يوقف على تاريخ وفاته .

وراوياه: إسحاق، وإدريس، أما إسحاق: فهو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان الوراق المروزي ثم البغدادي، توفي سنة ست وثمانين ومائتين (٢٨٦هـ)، وأما إدريس: فهو أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم البغدادي الحداد، توفي يوم الأضحى سنة اثنتين وتسعين ومائتين (٢٩٢هـ) .

القراءات الأربعة الشاذة فهي:

أما القراءات الأربعة الشاذة فهي:

١- قراءة الحسن البصري إمام البصرة المتوفى سنة (١١٠ هـ).
٢- قراءة ابن محيصن المكي المتوفى سنة (١٢٣هـ).
٣- قراءة اليزيدي البصري المتوفى سنة (٢٠٢هـ).
٤ - قراءة الأعمش الأسدي المتوفى سنة (١٤٨هـ)[١].

ولقد اختلف العلماء في الرابع فمنهم من قال الأعمش ومنهم من قال الشنبوذي

قال مناع القطان القراءات الشاذة: ١- قراءة الحسن البصري، مولى الأنصار، أحد كبار التابعين المشهورين بالزهد، توفي سنة (١١٠ هجرية). ٢- وقراءة محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن محيصن، توفي سنة (١٢٣ هجرية)، وكان شيخًا لأبي عمرو. ٣- وقراءة يحيى بن المبارك اليزيدي النحوي، من بغداد، أخذ عن أبي

(١)راجع كتاب: المدخل إلى علوم القرآن الكريم (ص٢٤).

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عمرو وحمزة، وكان شيخًا للدوري والسوسي. توفي سنة (٢٠٢ هجرية). ٤- وقراءة أبي الفرج محمد بن أحمد الشنبوذي، توفي سنة (٣٨٨ هجري)[١].

وأبو الفرج محمد بن أحمد الشنبوذي: يقول عنه الذهبي: «وأكثر أبو الفرج الترحال في طلب القراءات وتبحّر فيها واشتهر اسمه وطال عمره»، وقال أبو عمرو الداني: «أبو الفرج الشنبوذي عالم مشهور نبيل حافظ ماهر حاذق كان يتجول في البلدان»، وقال ابن الجزري: «أبو الفرج الشنبوذي أستاذ من أئمة القراءات، رحل ولقي الشيوخ وأكثر وتبحّر في التفسير واشتهر اسمه وطال عمره مع علم بعلل القراءات»[٢].

حكم الصلاة بالقراءة الشاذة:

١- من العلماء من جوز القراءة بالشاذ في الصلاة، وحجتهم أن الصحابة والتابعين كانوا يقرءون بهذه الحروف في الصلاة وغيرها وهذا أحد القولين لأصحاب الشافعي وأبي حنيفة وأحد الروايتين عن مالك وأحمد[٣].

وقد أفتى مكي بن أبي طالب وابن الجزري بجواز القراءة بالشاذ إذا توفرت خمس شروط، وهي: ١- أن يكون الشاذ المقروء به موافقًا للرسم. ٢- أن يكون موافقًا للغة العربية. ٣- أن يصح سنده. ٤- أن يظهر بالشهرة. ٥- أن يتلقى بالقبول[٤].

٢- جمهور العلماء وأكثر الفقهاء على المنع من القراءة بالشاذ في الصلاة وحجتهم: أن الشاذ لم يثبت متواترًا عن النبي عليه الصلاة والسلام وإن صح فهو منسوخ بالعرضة الأخيرة، أو بإجماع الصحابة على الرسم العثماني، أو لأنها لم تنقل إلينا نقلاً يثبت بمثله القرآن، أو أنها لم تكن من الأحرف السبعة [٥].

ذكر الإمام النووي في شرح المهذب عن أصحاب الشافعي فقال: "قال أصحابنا وغيرهم : لا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذة؛ لأنها ليست قرآنًا؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، والقراءة الشاذة ليست متواترة ، ومن قال غيره فغالط أو جاهل . فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه قراءتها في الصلاة وغيرها ،

(١)كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، (ص١٨٦) .
(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة
(٣) راجع القراءات الشاذة: أحكامها وآثارها د. إدريس حامد محمد
(٤)انظر القراءات الشاذة: أحكامها وآثارها. د. إدريس حامد محمد .
(٥)القراءة الشاذة عند الأصوليين وأثرها في اختلاف الفقهاء

وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة من قرأ بالشواذ [١]، ونقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشواذ ، ولا يصلى خلف من يقرأ بها [٢].

٣- من العلماء من ذهب إلى التوسط والتفصيل في ذلك فقالوا: (إن قرأ بها في القراءة الواجبة، وهي الفاتحة عند القدرة على غيرها لم تصح صلاته لأنه لم يتيقن أنه أدى الواجب من القراءة لعدم ثبوت القرآن بذلك، وإن قرأ بها فيما لا يجب لم تبطل لأنه لم يتيقن أنه أتى في الصلاة بمبطل لجواز أن يكون ذلك من الحروف التي أنزل عليها القرآن)[٣].

قال الإمام ابن تيمية: وأما القراءة الشاذة الخارجة عن رسم المصحف العثماني مثل قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء رضي الله عنهما : " والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى " كما قد ثبت ذلك في الصحيحين ، ومثل قراءة عبد الله : " فصيام ثلاثة أيام متتابعات " ، وكقراءته " إن كانت إلا زقية واحدة " ونحو ذلك .. فهذه إذا ثبتت عن بعض الصحابة فهل يجوز أن يقرأ بها في الصلاة ؟ على قولين للعلماء هما روايتان مشهورتان عن الإمام أحمد ، وروايتان عن مالك : إحداهما يجوز ذلك لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرؤون بهذه الحروف في الصلاة، والثانية لا يجوز ذلك، وهو قول أكثر العلماء القراءات لأنها لم تثبت متواترة عن النبي ، وإن ثبتت فإنها منسوخة بالعَرضة الآخرة ، فإنه قد ثبت في الصحاح عن عائشة وابن عباس رضى الله عنهم : أن جبريل عليه السلام كان يعارض النبي ﷺ بالقرآن في كل عام مرة ، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين . والعرضة الآخرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره، وهي التي أمر الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى بكتابتها في المصاحف، وكتبها أبو بكر وعمر في خلافة أبي بكر في صحف أمر زيد بن ثابت بكتابتها، ثم أمر عثمان في خلافته بكتابتها في المصاحف وإرسالها إلى الأمصار ، وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة علي وغيره[٤].

الفارق بين القراءات السبع والأحرف السبع

الاختلاف ظاهر ومعلوم فالقراءات،ليست سبعة ولكنها عشرة متواترة ، والأحرف السبعة أحرف نزل بها القرآن وسيأتي بيانه إن شاء الله

---

(١)النووي في شرح المهذب عن أصحاب الشافعي..
(٢)التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص٤٧ ويراجع .كتاب: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب ابن حنبل المؤلف: موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة الجماعيلي (٥٤١ - ٦٢٠ هـ) قدم له ووضح غوامضه وخرج شواهده: الدكتور شعبان محمد إسماعيل [ت ١٤٤٣ هـ] الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع
(٣)تراث كتاب مدخل في علوم القراءات السيد رزق الطويل[ص٦٣
(٤)راجع : مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩٨/٣) .

يقول الشيخ مناع القطان: **القراءات: غير الأحرف السبعة** -على أصح الآراء- وإن أوهم التوافق العددي الوحدة بينهما؛ لأن القراءات مذاهب أئمة، وهي باقية إجماعًا يقرأ بها الناس، ومنشؤها اختلاف في اللهجات وكيفية النطق وطرق الأداء من تفخيم، وترقيق، وإمالة، وإدغام، وإظهار، وإشباع، ومد، وقصر، وتشديد، وتخفيف.. إلخ، وجميعها في حرف واحد هو حرف قريش.

أما الأحرف السبعة فهي بخلاف ذلك على نحو ما سبق لك، وقد انتهى الأمر بها إلى ما كانت عليه العرضة الأخيرة حين اتسعت الفتوحات، ولم يعد للاختلاف في الأحرف وجه خشية الفتنة والفساد، فحمل الصحابة الناس في عهد عثمان على حرف واحد هو حرف قريش وكتبوا به المصاحف كما تقدم كثرة القرَّاء[1] .

فوائد كثرة القراءات الصحيحة:

سؤال من الممكن أن يتبادر إلى الذهن ما الفائدة من كثرة القراءات؟ لماذا لم نكتفي بقراءة واحدة؟

فمن رحمة الله تعالى على الأمة الإسلامية أن الله تعالى خفّف عليها، وراعى اختلاف لهجاتها وكثرة ألسنتها، وإن الاختلاف في القراءات فوائد منها:

١- الدلالة على صيانة كتاب الله وحفظه من التبديل والتحريف مع كونه على هذا الأوجه الكثيرة.

٢- التخفيف عن الأمة وتسهيل القراءة عليها.

٣- إعجاز القرآن في إيجازه، حيث تدل كل قراءة على حكم شرعي دون تكرر اللفظ كقراءة: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾بالنصب والخفض في "وأرجلكم" ففي قراءة النصب بيان لحكم غسل الرجل، حيث يكون العطف على معمول فعل الغسل: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ وقراءة الجر بيان لحكم المسح على الخفين عند وجود ما يقتضيه، حيث يكون العطف على معمول فعل المسح ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾[المائدة.٦.]، فنستفيد الحكمين من غير تطويل، وهذا من معاني الإعجاز في الإيجاز بالقرآن.

٤- بيان ما يُحتمل أن يكون مُجملًا في قراءة أخرى كقراءة: "يطهرن" في قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾[.البقرة.]، قُرِئ بالتشديد والتخفيف، فقراءة التشديد مبينة لمعنى قراءة التخفيف، عند الجمهور، فالحائض لا يحل وطؤها لزوجها بالطهر من الحيض، أي بانقطاع الدم، حتى تتطهر بالماء، وقراءة: "فامضوا إلى ذكر الله" فإنها تبيِّن أن المراد بقراءة "فاسعوا" الذهاب لا المشي السريع في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ١٧٣).

السَّادَةُ لِلفِكرِ وَالثَّقَافَةِ
www.sadah.net

فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[.الجمعة.] وقراءة "والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما"بدلًا من "أيديهما"، فقد بينت ما يُقطع، وقراءة: "وله أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما السدس"، فقد بيَّنت أن المراد الإخوة لأم [1].

ولذا قال العلماء: "باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام".

قال أبو عبيد في "فضائل القرآن": المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها، كقراءة عائشة وحفصة: "والصلاة الوسطى صلاة العصر" وقراءة ابن مسعود: "فاقطعوا أيمانهما"، وقراءة جابر: "فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم"قال: "فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسِّرة للقرآن، وقد كان يُروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيُستحسن، فكيف إذا رُوِي عن كبار الصحابة، ثم صار في نفس القراءة، فهو أكثر من التفسير وأقوى، فأدنى ما يُستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل" [2].

العشر الصغري والكبري:

يوجد فى القراءات ما يعرف: قراءة، ورواية، وطريق؛ فأما القراءة، فهي: كل ما نسب إلى أحد القراء العشرة المعروفين. **الرواية**: هي كل ما نسب الى من اخذ عن القارىء ويقال له راوٍ، **الطريق**: هي كل ما نسب إلي من أخذ من الراوي . بالنسبة للقراءات الصغرى : اقتصر الامر على طريق لكل رواية فيكون عددهم عشرون طريقا

العشر الكبري:

معناه : اختيار ابن الجزري -رحمه الله تعالى- طريقين لكل رواية، وكل طريق من طريقين أخريين، فيكون المجموع ثمانون طريقًا بعد التحرير تصل إلى ٩٨٠ طريقًا، وفي هذا قال ابن الجزري:

باثنين فى اثنين وإلا أربع * فهي زها ألف طريق تجمع

معني طريق: كل قارئ له تلاميذ رووا عنه يقال لهم رواة وكل راو له تلاميذ رووا عنه يقال لهم أصحاب الطرق ، وتلاميذ أصحاب الطرق وتلاميذهم وإن نزلوا يقال عنهم أصحاب طرق أيضا، فمثلا عاصم قارئ أخذ عنه راويان هما شعبة وحفص ، وأخذ عن حفص تلميذان هما عمرو وعبيد ابنا الصباح ، وأخذ عن عمرو تلميذان هما الفيل وزرعان، وهكذا، فإن ابن الجزري يروي في كتاب النشر بسنده عن الشهرزوري صاحب كتاب المصباح بسنده عن الحمامي عن الولي عن

---

(١) كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، (ص ١٨١).
(٢)انظر "الإتقان" (١/ ٨٢).

الفيل عن عمرو عن حفص عن عاصم، فتقول قراءة عاصم ، ورواية حفص عن عاصم ، من طريق عمرو أو طريق الفيل أو طريق الولي أو طريق الحمامي أو طريق المصباح أو طريق النشر

ملخص سريع:

الشاطبية: هي منظومة للإمام الشاطبي واسمها الأصلي هو "حرز الأماني ووجه التهاني" ، ولكنها اشتهرت بالشاطبية نسبة لناظمها، نظم فيها الشاطبي سبع قراءات وهي قراءات الأئمة (نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي) .

الدرة: هي منظومة للإمام ابن الجزري نظم فيها ثلاث قراءات وهي قراءات الأئمة أبي جعفر ويعقوب وخلف ، ونظمها تكملة للشاطبية بحيث تصبح الشاطبية مع الدرة جامعتين للقراءات العشر .

الطيبة: هي منظومة للإمام ابن الجزري نظم فيها القراءات العشر ، ولكنه لم يكتف بالطرق الموجودة في الشاطبية والدرة بل زاد عليها طرقا أخرى كثيرة .

العشر: هي قراءات الأئمة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبي جعفر ويعقوب وخلف .

العشر الصغرى: هي القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة فقط.

العشر الكبرى: هي القراءات العشر من طريق الطيبة ، وسميت الكبرى لأنها مشتملة على ما في الشاطبية والدرة ، وزادت عليها طرقا أخرى كثيرة .

القراءة الشاذة: هي القراءات الزائدة على العشر وأشهرها أربع قراءات هي قراءات الأئمة ابن محيصن والحسن البصري ويحيى اليزيدي والأعمش

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ترجمة لبعض الأئمة:

الإمام نافع المدني:

أبو رويم وفي بعض النسخ (رؤيم) والأشهر بالواو، ويقال أبو الحسن ويقال أبو نعيم ويقال أبو محمد، نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم الليثي الكناني مولى جعونة بن شعوب الليثي الكناني، الإمام حبر القرآن وأحد القراء العشرة وإمام القراء في المدينة النبوية، أصله من أصفهان، ولد في حدود ٧٠ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان ويقال سنة بضع وسبعين. مدنيّ نسبة إلى مدينة رسول الله، وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة.

قال الإمام الشاطبي :

فَأَمَّا الكَرِيمُ السِّرِّ فِي الطِّيبِ نَافِعٌ ***** فَذَاكَ الَّذِي اخْتَارَ الْمَدِينَةَ مَنْزِلاَ
وَقَالُونُ عِيسَى ثُمَّ عُثْمَانُ وَرْشُهُمْ ***** بِصُحْبَتِهِ الْمَجْدَ الرَّفِيعَ تَأَثَّلاَ

قرأ نافع على سبعين من التابعين منهم يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح وعبد الرحمن بن هرمز، وقرأ هؤلاء على عبد الله بن عباس وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب، وقرأ أبي بن كعب على رسول الله ﷺ.

كان نافع رحمه الله إماما عارفا بوجوه القراءات ،انتهت إليه رياسة الإقراء في المدينة المنورة وأجمع الناس عليه بعد التابعين، وكان يقرئ الناس بالقراءات كلها حتى إذا جاء من يطلب حرفه أقرأه به، اختص الإمام نافع في قراءته ببعض الأصول والفروع لم يشاركه فيها أحد من القراء السبعة، وقيل كان رحمه الله أسود اللون وكان طيب الخلق يباسط أصحابه وكان عالما خاشعا مجابا في دعائه، إماما في علم القرآن وفي علم العربية .

روي أن نافعا كان إذا تكلم توجد من فيه ريح مسك فسئل عنه قال: (رأيت النبي في النوم تفل في فيّ)، وفي رواية: قال: (رأيت فيما يرى النائم النبي يقرأ في فيّ القرآن) أمّ الناس في مسجد النبوي ستين سنة بعد ما آلت إليه إمامة الإقراء في المدنية النبوية بعد وفاة شيخه أبي جعفر بن يزيد المدني (المدني الثاني). روى قراءته عيسى بن مينا الملقب بـ(قالون) وهو الراوي الأول، وعثمان بن سعيد الملقب بـ(ورش) وهو الراوي الثاني، وهما الروايتان المشهورتان عند المتأخرين مثل الشاطبي وابن الجزري، ولكن ما زال أهل المغرب يقرؤون لنافع بروايتين أخريين، رواية إسحاق المسيبي ورواية إسماعيل بن أبي جعفر.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يقال أنه قرأ عليه مائتان وخمسون رجلا، منهم عيسى بن مينا الملقب بقالون وعثمان بن سعيد الملقب بورش وعيسى بن وردان الملقب بابن وردان وسليمان ابن جمّاز الملقب بابن جمّاز وإسحاق بن محمد المسيبي، تلا عليه أيضا إسماعيل بن جعفر وإسحاق بن محمد المسيبي.

عاش في زمنه مالك بن أنس إمام دار الهجرة وصاحب المذهب الفقهي المعروف وصاحب الموطأ، قرأ الإمام مالك على الإمام نافع القرآن وأقرأه كتاب الموطأ. كان ذلك من أسباب أن أهل بلاد المغرب العربي يتبعون المذهب المالكي ويقرأون القرآن بقراءة نافع برواية ورش لما بينهما من ارتباط، توفي في المدينة المنورة عام (١٦٩هـ).

قالوا عنه: مالك بن أنس نافع إمام الناس في القراءة. قال سعيد بن منصور - وهو أحد تلامذة الإمام نافع-: سمعت مالكا يقول قراءة نافع سنّة، وقال الليث بن سعد حججت سنة ثلاث عشرة ومئة وإمام الناس في القراءة بالمدينة نافع بن أبي نعيم قلت لا ريب أن الرجل رأس في حياة مشايخه، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبي: أيّ القراءة أحبّ إليك. قال : قراءة أهل المدينة -أي قراءة الإمام نافع-، قلت فإن لم يكن، قال : قراءة الإمام عاصم .

وهو غير أبو عبد الله نافع المدني مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب، من أئمة التابعين، بالمدينة المنورة، وأحد رواة الحديث النبوي الثقات، روى عن ابن عمر وغيره من الصحابة، كان عالم بالفقه، كثير الرواية للحديث، ويعد مالك بن أنس أشهر من لازمه وحدث عنه. وقيل عنه: «لايعرف له خطأ في جميع ما رواه».حديثه في كتب الصحاح الستة. توفي سنة ١١٧هـ.

الإمام قالون:

هو عيسى بن مينا بن وردان بن عبد الصمد بن عمر بن عبد الله الزرقي مولى بنى زهرة، ويكنى «أبا موسى» ويلقب بقالون، وهو قارئ المدينة ونحويها. يقال إنه ربيب نافع . ابن زوجته . وقد لازم نافعاً كثيراً، وهو الذي لقبه بقالون، لجودة قراءته، فإن قالون بلغة الرومية جيد، وكان جد جده عبد الله من سبى الروم في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فقدم به من أسره إلى عمر بالمدينة، وباعه فاشتراه بعض الأنصار، فهو مولى محمد بن فيروز من الأنصار، ولد قالون سنة عشرين ومائة في أيام هشام بن عبد الملك، وقرأ على نافع سنة خمسين ومائة في أيام المنصور. قال: قرأت على نافع قراءته غير مرة، قيل له: كم قرأت على نافع ؟ قال مالا أحصيه كثرة إلا أني جالسته بعد الفراغ عشرين سنة وقال: قال لي نافع: كم تقرأ عليَّ، اجلس إلى اصطوانة حتى أرسل لك من يقرأ عليك.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

روى القراءة عنه أناس كثيرون، سردهم واحداً واحداً الإمام ابن الجزري في طبقات القراء. قال أبو محمد البغدادي: كان قالون أصم شديد الصمم لا يسمع البوق. فإذا قرئ عليه القرآن سمعه، وكان يقرئ القراء، ويفهم خطأهم ولحنهم بالشفة ويردهم إلى الصواب. توفي سنة عشرين ومائتين في عهد الخليفة المأمون[1].

الإمام ورش (١١٠ هـ - ١٩٧هـ):

هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان، ولقبه الذي اشتهر به ورش.شيخه هو الإمام نافع وهو الذي لقبه بورش، ويقال أن نافع لقبه بالورشان وهو طائر معروف، ثم خفف إلى ورش. والورش هو شيء يصنع من اللبن، ويقال أنه لقب به لبياضه، وقيل أن سبب هذا اللقب أنه كان قصيرًا وعلى قصره يلبس ثياباً قصيرة، وإذا مشى بانت ساقاه. يُعدُّ ورش شيخ القراء المحققين وانتهت إليه في زمانه رئاسة الإقراء في الأراضي المصرية. كان ورش حسن الصوت، جيد القراءة وإذا قرأ يهمز ويمد ويبيّن القراءة فلا يملّه سامعوه، وكان إلى ذلك من الثقات في القراءة وممن يحتج بهم في ذلك. ولد في مصر وفيها توفي ودفن.

انتشرت قراءة ورش في شمال أفريقيا، وغربها، وفي الأندلس، وهي أكثر القراءات شيوعا في العالم الإسلامي بعد رواية حفص. ومن خصائصها : تخفيف همزة القطع، وإمالة الألف إلى الياء في أواخر بعض الكلمات. ظلت قراءة ورش السائدة في مصر حتى فتحها العثمانيون، فاستبدلوا بها قراءة حفص قراءة معتمدة، توفي ورش بمصر سنة (١٩٧هـ)، عن سبع وثمانين سنة، ودفن في مقبرة القرافة الصغرى.

الإمام:عاصم بن أبي النَّجود (ت: ١٢٩هـ) تابعي (من صغار التَّابعين)

اسمه وكنيته:

عاصم بن بَهْدَلة أبي النَّجُود، الأسديّ بالولاء، أبو بكر، ويُقال: أبو النَّجود هو اسم أبيه، وقيل: إن اسمه عبدالله، وأمَّا بَهْدَلة فقال الذهبيُّ: هو أبوه على الصحيح، وقال ابن الجزري: هي أمُّه، وردَّ الذهبي ذلك القول وقال: ليس بشيء

ثانيًا: صفاته:

(١) سير أعلام النبلاء، والأعلام للزركلي، نفس مصادر الأعلام السابقة

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

كان عاصم فصيحًا حسن الصوت، بل إنَّه كان من أحسن الناس صوتاً في القرآن، إلى جانب ما يتخلَّق به من أدب ونُسُك، فكان إذا صلَّى ينتصب كأنَّه عود، ويمكث يوم الجمعة في المسجد إلى العصر، كان عابداً خَيِّراً كثير الصلاة، وربَّما قَصَدَ حاجةً فإن رأى مسجداً دخله للصلاة، وقال: حاجتنا لا تفوت.

ثالثًا: مكانته وعلمه:

أحد القُرَّاء المشهورين، إمام من أئمة القراءات والنحو، انتهت إليه الإمامة في القراءة بالكوفة بعد أبي عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السُّلَمي، فجلس في موضعه، ورحل إليه النَّاس للقراءة، وقد جمع بين الفصاحة والإتقان، والتَّحرير والتَّجويد.

قالوا عنه: قال أبو بكر بن عيَّاش: لا أحصي ما سمعتُ أبا إسحاق السَّبِيْعِيِّ يقول: ما رأيتُ أحداً أقرأ للقرآن من عاصم بن أبي النَّجُود، وإلى جانب علمه بالقراءة كان من أعلم أهل الكوفة بالنَّحو. قال أبو بكر بن عيَّاش: كان عاصم نحوياً، فصيحاً إذا تكلَّم، مشهور الكلام. وقال أيضًا: كان عاصم من أفصح الناس مقدمًا في زمانه، مشهورًا بالفصاحة، معروفًا بالإتقان. وقال أحمد بن عبدالله العجلي: عاصم بن بَهْدَلة صاحب سُنَّة وقراءة، كان رأساً في القرآن، قَدِم البصرة فأقرأهم. وأيضا قال العجلي: وهو أجل مقرئ بالكوفة، وقدم البصرة فاقرأهم، وقرأ عليه سلام أبو المنذر، وكان عثمانيا، وكان الأعمش قرأ عليه في حداثته

شيوخه في القراءة:

لقي عاصم بعضَ صحابة رسول الله ﷺ وأخذ عنهم، فهو من صغار التَّابعين، كالحارث بن حسان البكري الذهلي رضي الله عنه، ورفاعة بن يثربي التميمي رضي الله عنه، ولهما صحبة، وقرأ على أبي عبدالرحمن السُّلَميِّ، وزِرِّ بن حُبَيش الأسدِيّ، وسعد بن إياس الشيباني، وقرأ هؤلاء الثلاثة على عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وقرأ السلمي وزِرُّ أيضاً على عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، كما قرأ السُّلَميّ على أبيِّ بن كَعْب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما.

قال أبو بكر بن عيَّاش: قال لي عاصم: ما أقرأني أحد حَرْفًا إلاَّ أبو عبد الرحمن السلميِّ، وكان أبو عبدالرحمن قد قرأ على عليٍّ رضي الله تعالى عنه، وكنتُ أرجع من عند أبي عبدالرحمن فأعرض على زرِّ بن حُبَيش، وكان زرُّ قد قرأ على عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال أبو بكر بن عيَّاش: فقلتُ لعاصم: لقد استوثَقْتَ لنفسك، أخذت القراءة من وجهين، قال: أجل.

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وقال حفص بن سليمان: قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأتُ بها على أبي عبدالرحمن السُّلميِّ عن عليٍّ [رضي الله عنه]، وما كان من القراءة التي أقرأتُهَا أبا بكر بن عيَّاش فهي القراءة التي كنتُ أعرِضها على زِرِّ بن حُبيش عن ابن مسعود [رضي الله عنه] .

رواة القراءة عنه:

انتهت إلى عاصم بن عبدالرحمن الإمامةُ في القراءة بالكوفة بعد شيخه أبي عبدالرحمن السُّلميّ، فقرأ عليه خلق كثير، من أبرزهم: أبو بكر بن عيَّاش، وحفص بن سليمان، والأعمش. وروى عنه أحرفًا من القرآن: أبو عمرو بن العلاء البصري، وحمزة بن حبيب الزيَّات، والخليل بن أحمد الفَرَاهِيدي، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وغيرهم.

منزلته في علم الحديث:

حدَّث عاصم عن: أبي عبدالرحمن السلميِّ، وزِرِّ بن حبُيش، وغيرهما. وحدَّث عنه: عطاء بن أبي رباح، وأبو صالح السمَّان، وهما من شيوخه، ومن كبار التابعين. قال العلماء : لم تكن منزلة عاصم بن أبي النَّجود في علم الرِّواية والحديث كمنزلته في إقراء القرآن وقراءته، فقد كان عَلَمَاً ثبتاً ضابطاً في القرآن وقراءته، أمَّا في روايته للحديث فاختلف فيه، وإن كان حديثه مخرَّج في الكتب الستة، وفي الصحيحين متابعةً. وقد اختلفت أقوالُ علماء الجرح والتعديل فيه،

قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: كان خَيِّراً ثقة، والأعمش أحفظ منه، وكان شعبة يختار الأعمش عليه في تثبيت الحديث.

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن عاصم بن بَهْدلة فقال: رجل صالح خَيِّرٌ ثِقَة، فسألته: أيُّ القراءة أحبُّ إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة، فإن لم تكن فقراءة عاصم، وقال سألتُ أبي عن حمَّاد بن أبي سليمان وعاصم، فقال: عاصمُ أحبُّ إلينا، عاصم صاحب قرآن وحمَّاد صاحب فقه. وقال محمد بن سعد: كان ثقة إلاَّ أنَّه كثيرُ الخطأ في حديثه. وقال يحيى بن معين والنسائي: ليس به بأس. وقال يعقوب بن سفيان: في حديثه اضطراب، وهو ثقة. وقال أبو زُرعة الرازي: ثقة. وقال العُقيلي: لم يكن فيه إلا سوء الحفظ. وقال الدَّارقُطني: في حفظه شيء. وقال أبو حاتم الرازي: محله عندي محل الصدق، صالح الحديث، ولم يكن بذاك الحافظ. وقال الذهبي: ليس حديثه بالكبير رحمه الله تعالى.

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

توفي آخر سنة (١٢٩هـ) وهو الصحيح كما قال ابن الجزري، وقيل: (١٢٨هـ)، وقيل غير ذلك، واختلف في مكان وفاته، والأكثر أنه تُوفي في الكوفة، وقال الأهوازي: إنه توفي بالسَّمَاوَة من الشام ودُفن بها. قال أبو بكر بن عيَّاش: دخلت على عاصم وهو في الموت، فأُغمي عليه، فأفاق، فقرأ: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[الأنعام: ٦٢]، وله ترجمة وافره في كتب التراجم والأنساب .

الإمام حفص بن سليمان رحمه الله:

ربيب عاصم بن أبي النجود الكوفي، هو أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة بن البزاز الأسدي الكوفي، ربيب عاصم بن أبي النجود الكوفي وأعلم الناس بقراءته. كان التلميذ المفضل على زملائه الذين تعلموا القرآن الكريم على شيخهم عاصم بن أبي النجود، كان شيخ القراء بالكوفة بعد عاصم. نزل ببغداد فأقرأ فيها وجاور مكة فأقرأ بها أيضاً. روى القراءة عنه خلق كثير ومعظم المصاحف في العالم هي حسب روايته، ويقال له: الغاضري، ويعرف بحفيص، مولده سنة ٩٠ هجرية .

رواية الحديث:

لم يكن حفص بن سليمان متقناً لعلم رواية الحديث كإتقانه للقرآن وحروفه، ولعلَّ السببَ في ذلك هو استغراق أكثر وقته في القراءة والإقراء، ولا يعتّد به في الأحاديث حيث يرفض البخاري ومسلم الأخذ منه إلاّ إذا جاء الحديث مقرون براوي آخر ثقة، واتفقت كلمة أكثر علماء الجرح والتَّعديل على تضعيفه في علم رواية الحديث، ومما ورد في ذلك: ذكره الدارقطني في كتابه الضعفاء والمتروكين.. قال الإمام أحمد: ما به بأس، ورُوِي أنَّه قال عنه: صالح، وقال مَرَّةً: متروك. إلاَّ أنَّ وكيع بن الجراح قال عنه: كان ثقة، وقد أخرج له الترمذي والنسائي في مسند علي متابعة، وابن ماجه. وفاته: توفي حفص بن سليمان سنة (١٨٠ هجرية) .

أبو بكر بن عيَّاش:

أبو بكر بن عيَّاش المقرئ الإمام شعبة (ولد سنة (٩٥ هـ) توفي سنة (١٩٣هـ) محدث وفقيه مقرئ. أحد القُرَّاء. هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحناط المقرئ، مولى واصل الأحدب، قيل: اسمه محمد، وقيل: شعبة، وقيل: روبة، وقيل: مسلم، وقيل خداش، وقيل مطرف، وقيل حماد، وقيل حبيب. والصحيح أن اسمه كنيته، قرأ على عاصم بن أبي النجود القرآن ثلاث مرات، وينتهي سنده في القراءة عليه إلى عبد الله بن مسعود.

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

قرأ عليه القرآن جماعة من القراء منه: أبو الحسن الكسائي، ومات قبله، ويحيى العلمي، وأبو يوسف الأعشى، وعبد الحميد بن صالح البرجمي، وعروة بن محمد الأسدي، وعبد الرحمن بن أبي حماد، وأخذ عنه الحروف تحريرا وإتقانا يحيى بن آدم.

وكان إمامًا كبيرًا عالمًا عاملًا حجة من كبار أهل السنة، كان يقول: من زعم أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق عدو لله لا نجالسه ولا نكلمه. عرض القرآن على عاصم أكثر من مرة، وعلى عطاء بن السائب، عمّر طويلًا، إلا أنه قطع الإقراء قبل موته بسبع سنين .عاش قرابة مائة سنة، ولمّا حضرته الوفاة بكت أختُه، قال لها ما يبكيك ؟ انظري إلى تلك الزاوية فقد ختمت فيها القرآن ثماني عشرة ألف ختمة .

كلام العلماء فيه:

أحمد بن حنبل فقال: ثقة ربما غلط صاحب قرآن وخير. قال أبو حاتم الرازي سمعت علي بن صالح الأنماطي سمعت أبا بكر ابن عياش يقول القرآن كلام الله ألقاه إلى جبريل وألقاه جبريل إلى محمد منه بدأ وإليه يعود. وقال ابن المبارك: "ما رأيت أحدا أسرع إلى السنة من أبي بكر بن عياش"، وقال يحيى بن معين: ثقة، وقال غير واحد: إنه صدوق، وله أوهام. قال نعيم بن حماد: سمعت أبا بكر يقول: سخاء الحديث كسخاء المال قلت فأما حاله في القراءة فقيم بحرفِ عاصمِ بن أبي النجود، خالفه حفص في أزيد من خمس مئة حرف، وحفص أيضًا حجة في القراءة لينٌ في الحديثِ

قال الذهبي في ميزان الاعتدال: أحد الأعلام، صدوق ثبت في القراءة لكنه في الحديث يغلط ويهم، وقد أخرج له البخاري وهو صالح الحديث، لكنه ضعّفه محمد بن عبد الله بن نمير[1]، وقال الحسن بن عيسى: ذكر ابن المبارك أبا بكر بن عياش فأثنى عليه.

قال صالح بن أحمد عن أبيه: صدوق صالح صاحب قرآن وخبر.قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ثقة، وربما غلط. قال ابن حبان: مولده سنة خمس أو ست وتسعين.كان شريك يقول: رأيت أبا بكر عند أبي اسحاق يأمر وينهى كأنه رب البيت. مات هو وهارون الرشيد في شهر واحد سنة ثلاث وتسعين ومائة، وكان قد صام سبعين سنة وقامها، وكان لا يعلم له بالليل نوم، قال أحمد بن حنبل: أبو بكر أسن من الثوري بسنة.

(١) ميزن الاعتدال، للذهبي

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وفاته: توفي بالكوفة في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقد جاوز التسعين بثلاث سنين، وقيل بست.

أي القراءات أصح وأصوب؟

وهنا قد يتساءل طالب العلم أي القراءات أصح وأصوب؟ أولا هذا السؤال خطأ ولا يصح لأن القراءات كلها صحيحة وثابتة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، والأصح أن يقال:

أي القراءات أقوى تواترًا؟

فأقواهن تواترًا هي قراءة نافع المدني، ثم تليها قراءة ابن عامرالشامي، وقراءة ابن كثير المكي، وهناك قراءات فيها خلاف، أعني أن بعضَ الناسِ ذمَّهَا ، وبخاصة قراءة حمزة، وما تفرع عنها، وأما ما زَعَمَه البعضُ من أن انتشارَ روايةِ حفص عن عاصمٍ هذه الأيام دليلٌ على أنها أصَحّ، فليس في هذا القول أثارة من علمٍ، ولو كان صادقًا، لكانت انتشرتْ قبل العثمانيّين بعصورٍ طويلةٍ، لكن الحقيقة معروفة.

فرواية حفصٍ عن عاصم كانت رواية نادرة لم تنتشر ولا حتى بالكوفة، وإنما أخذ أهلها روايةَ عاصم عن أبي بكر. ثم لما ضنّ بها أبو بكر، اضطروا للأخذ بقراءة حمزة والكسائي رغم كراهيتهم لها، وما التفتوا لرواية حفص. ثم لو نظرنا في العالم الإسلامي لوجدنا أنه خلال مدة من الزمن سادت قراءتا أبي عمرو ونافع على العالم الإسلامي. ولم يكن لرواية حفص عن عاصم ذكر. ثم مع قدوم الدولة العثمانية اعتُمِدت رواية حفص[1].

أماكن انتشار القراءات اليوم:

معلوم أن انتشار رواية حفص عن عاصمٍ في العالم تقريبًا، غير أنه وجد بعض الروايات والقراءات منتشرة أيضًا في أماكن مختلفه، على سبيل المثال: رواية حفص الدوري عن أبي عمرو البصري: هي الرواية الأكثر ذيوعًا في الصومال، والسودان، وتشاد، ونيجيريا، وأواسط إفريقية بصفة عامة.

رواية ورش المصري عن نافع المدني: وهي الرواية المنتشرة في بلاد المغرب العربي (الجزائر والمغرب وموريتانيا)، وفي غرب إفريقيا (السنغال والنيجر ومالي ونيجيريا وغيرها) وإلى حد ما بعض نواحي مصر وليبيا وتشاد وجنوب وغرب

---

[1] يراجع كتاب الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها محمد سالم محيسن.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

تونس. وهي الرواية التي كان لَها الانتشار في القرونِ الأولَى في مصر، ومنها انتشرت إلى تلك البلدان.

رواية قالون عن نافع: شائعة في ليبيا (القراءة الرسمية) وفي أكثر تونس.

وذكر ابن عاشور المتوفي (١٣٧٩هـ/ ١٩٧٢م) في تفسيره "التحرير والتنوير" أن القراءات التي يُقرأ بها اليوم في بلاد الإسلام هي: قراءة نافع براوية قالون، في بعض القطر التونسي، وبعض القطر المصري، وفي ليبيا. وبرواية ورش في بعض القطر التونسي، وبعض القطر المصري، وفي جميع القطر الجزائري، وجميع المغرب الأقصى، وما يتبعه من البلاد والسودان (يقصد غرب إفريقيا). وقراءة عاصم براوية حفص عنه في جميع المشرق، وغالب البلاد المصرية، والهند، وباكستان، وتركيا، والأفغان، قال ابن عاشور: وبلغني أن قراءة أبي عمرو البصري يُقرأ بها في السودان المجاور لمصر[1].اهـ

أسباب انتشار رواية حفص عن عاصم:

من أسباب أسباب انتشار رواية حفص عن عاصم:

أولا وقبل كل شيء وهو السبب الأقوى والأهم: أن الله عزَّ جلَّ قد وضع لهذه الرواية القبول والإقبال ،ولعل إخلاص الرجل رحمه الله كان هو السبب في ذلك.

ثم إتقان حفص لروايته عن عاصم، وقوة سنده وهذه من أهم الأسباب في انتشار روايته بعد إخلاصه؛

يقول الشاطبي:

فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعَاصِمٌ اسْمُهُ *** فَشُعْبَةُ رَاوِيهِ المُبَرِّزُ أَفْضَلاَ

وَذَاكَ ابْنُ عَيَّاشٍ أَبُو بَكْرٍ الرِّضَا ** وَحَفْصٌ وَبِالْإِتْقَانِ كَانَ مُفضَّلاَ

ومعلوم أن حفصًا كان ابن زوجة شيخه عاصم بن أبي النجود، وكان معه في دار واحدة، فتعلم ودرس واتقن علي يديه.

قال أبو عمرو الداني عن حفص: وهو الذي أخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة، ونزل بغداد فأقرأ بها، وجاور بمكة فأقرأ بها أيضًا.

وقال ابن المنادي: وكان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر ابن عياش – يعني: شعبة–، ويصفونه بضبط الحروف التي قرأ على عاصمٍ، وأقرأ الناسَ دهرًا، وكانت القراءةُ التي أخذها عن عاصمٍ ترتفع إلى علي -رضي الله عنه-، يعني: سندًا،

---

(١) ابن عاشور من التحرير والتنوير، ويراجع سرد التاريخي لانتشار القراءات في الأمصار وانحسارها منها فضيلة الشيخ د. وليد بن إدريس المنيسي.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فثناء الفقهاء والعلماء على إتقانه، وضبط قراءته أدّى إلى الإقبال الشديدِ على روايته، وهناك عوامل ساعدت على انتشار قراءة حفص عن عاصم أكثر من غيرها من القراءات.

ولقد امتازت قراءة حفص كما قال العلماء بأنها يسيرة سهلة الأداء، وطبيعة النفس تحب السهل. ولا يوجد في الرواية عمل كثير كغيرها من القراءات كالإمالة الكثيرة كما في قراءة حمزة والكسائي وخلف - وهم قراء الكوفة -، وأيضًا المد المشبع في المنفصل والمتصل، والسكت المتكرر على الهمز الذي قبله ساكن موصولاً كان أم مفصولاً، والوقف على الهمز في قراءة حمزة وهشام، وإمالة هاء التأنيث حال الوقف عند الكسائي، والمدود أيضًا في قراءة ورش عن نافع، أو صلة ميم الجمع وسكونها واختلاف المد المنفصل في قراءة قالون عن نافع أيضًا، والصلة المتكررة أيضًا في قراءة ابن كثير المكي وأبي جعفر المدني، أو الإدغام الكثير للمثلين الكبير والمتقاربين في رواية السوسي عن أبي عمرو، أو العمل في الهمز المتتالي سواء كان في كلمة أو كلمتين، عند نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر؛ وهذا يعد عاملاً آخر للإقبال على رواية حفص.

وكذلك طباعة المصاحف برسم رواية حفص عن عاصم؛ من الأسباب المهمة في انتشار هذه الرواية على مر العصور، وخاصة في العصر الحديث عصر الطباعة.

وأيضا الإذاعات والمرئيات بمختلف أنواعها؛ فكانت هي الرواية المشهورة التي كان القراء يقرأون بها .

وكان أول تسجيل صوتي للقرآن الكريم في العالم الإسلامي بصوت الشيخ محمود خليل الحصري برواية حفص.

وهناك أيضا عوامل سياسية

فكانت رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود في الكوفة، وكانت الكوفة دار الخلافة ومقرا للحكم حيث انتقل اليها سيدنا علي ابن ابي طالب في سنة ٣٦هـ تقريبا بعد أخذ البعية ليكون قريبًا من أهل الشام.

وأيضا كانت العراق وبغداد التي بناها أبو جعفر المنصور حاضنة للخلافة العباسية و اكتمل معظم بنائها في عام ١٤٦هـ، فكان يفد إليها العلماء وطلاب العلم، وكان حفص متفرغًا للإقراء عن غيره من القراء، وانتقل حفص الي بغداد، ثم جاور بمكة وأقرأ بها، ومكة محل التقاء لعلماء العالم الإسلامي.[1]

(١)راجع أسباب انتشار رواية حفص عن عاصم يسري حسين سعد. بتصرف

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ولهذه الأسباب وغيرها انتشرت في سائر البلدان، وخاصة بلاد المشرق، وكان السائد في بلاد المغرب قراءة ورش وأبي عمرو.

سبب انتشار رواية ورش عن نافع ،في بلاد المغرب العربيّ:

كان الإمام ورش شيخ الإقراء بالديار المصرية قد رحل إلى نافع فقرأ عليه أربع ختمات ثم رجع إلى مصر وأخذ ينشر قراءة نافع وعنه انتشرت قراءة نافع في شمال أفريقيا ،

ومن الأسباب أيضا لانتشار قراءة نافع في المغرب العربي وهي أنها قراءة الأمام مالك بن أنس رحمه الله إمام دار الهجرة.

وأهل المغرب الأدنى (ليبيا وتونس) وبعض البلاد الإفريقية كتشاد انتشرت فيهم رواية قالون عن نافع لسهولتها وخلوها من المدود الطويلة والإمالات التي في رواية ورش.

تاريخ انتشار القراءات:

يقول الشيخ د. وليد بن إدريس المنيسي: في الوقت الذي انتشرت فيه رواية الدوري عن أبي عمرو في الأقطار المشار إليها في الفقرة السابقة وهي (العراق والحجاز واليمن والشام ومصر والسودان وشرق إفريقيا) كانت رواية حفص عن عاصم بدأت تنتشر لدى الأتراك، وبدأت الدولة العثمانية تبسط سلطانها على معظم أرجاء العالم الإسلامي، فصارت ترسل أئمة وقضاة ومقرئين أتراك إلى أرجاء العالم العربي فانتشرت رواية حفص عن طريقهم وكذا عن طريق المصاحف التي تنسخها الدولة العثمانية برواية حفص، فأخذت رواية حفص عن عاصم تحل تدريجيا محل رواية الدوري عن أبي عمرو، فآل الأمر إلى انحسار انتشار رواية الدوري فلم تبق إلا في اليمن والسودان والقرن الإفريقي، وقد اطلعت على كتب تجويد لعلماء يمنيين مؤلفة في حدود سنة (١٣٧٠هـ) على وفق رواية الدوري وفيها أنها الرواية المقروء بها في حضرموت وأنحاء كثيرة من اليمن حتى ذلك الوقت، ونظرا لضعف سلطان الدولة العثمانية على بلاد المغرب العربي ولشدة تمسك أهله بمذهب مالك فقد ظلت قراءة نافع هي السائدة به إلى اليوم .

ويقول الشيخ عبد الرشيد الصوفي (الصومالي الأصل القطري المنزل): رواية حفص عن عاصم لم يكتب لها الانتشار والذيوع في المشرق الإسلامي سوى في المئتي سنة الأخيرة، حيث كان أهل المشرق من مصر والشام والعراق والحجاز والجزيرة العربية واليمن والسودان وغيرها لا يعرفون ولا يقرؤون إلا بقراءة أبي عمرو البصري براوييه الدوري أو السوسي، بدليل أن معظم من ألف في علم

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

التفسير كان النص القرآني في تفسيره بقراءة أبي عمرو البصري، مثل تفسير الجلالين. وأنا لديّ مصحف مخطوط في مصر قبل نحو ٢٥٠ سنة يقول كاتبه في المقدمة: "وقد خُط هذا المصحف على ما يوافق قراءة أبي عمرو البصري، لأن أهل مصر لا يعرفون سواها ولا يقرؤون إلا بها" انتهى

ويقول عن سبب انتشار رواية حفص: عندما بدأت المطابع في زمن الخلافة العثمانية وأرادوا أن يطبعوا المصحف بالآلة الطابعة التي كانت بدائية جدا في ذلك الزمان، بحثوا عن أقرب الروايات تقاربا في اللفظ والكتابة، فوجدوا رواية حفص عن عاصم هي الأقرب للمطلوب. فاستقر رأيهم على أن تكون رواية حفص هي المعتمدة في الطباعة، حيث لا توجد فيها إمالات أو حروف مسهلة. ولذلك فإن البلاد التي ابتعدت عن السلطة العثمانية في هذا الزمن، ظلت على قراءة أبي عمرو مثل أهل السودان واليمن والصومال وغيرها، حتى أنهم لما كانت تأتيهم المصاحف برواية حفص كانوا يذهبون بها إلى المطوع ليصحح لهم ظنا منهم أن بها أخطاء[١].

مما سبق يتضح أن رواية حفص عن عاصم: كانت رواية نادرة ولم تكن منتشرة في السنوات السابقة.

انتشرت في أواخر الخلافة العثمانية ، وقد انتشرت في بلاد المشرق وفي الجزيرة ومصر.

ومعلوم أن العثمانين يقلدون الإمام أبو حنيفة في الفقه والحنفية يميلون لرواية عاصم لأن أبا حنيفة كوفي وأخذ عن عاصم.

ومعلوم أن المذهب المعتمد في الدولة العثمانية هو المذهب الحنفي.

(١)يراجع تاريخ انتشار القراءات القرآنية في العالم - موقع الشيخ محمد الأمين.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

نزول القرآن على سبعة أحرف:

لقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في حديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف». ذكر السيوطي في «الإتقان» أن هذا الحديث رواه واحدا وعشرين صحابيا منهم على سبيل المثال: أبي بن كعب، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسليمان بن صرد، وابن عباس وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وغيرهم[١].

جملة من هذه الأحاديث:

عن أبي يعلى في «مسنده» الكبير، أن عثمان قال على المنبر: أذكر الله رجلا سمع النبي ﷺ قال: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف». لما قام فقاموا، حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك فقال: وأنا أشهد معهم[٢].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل على حرف فراجعته، ثم لم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»[٣].

روى مسلم بسنده عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار، قال: «فأتاه جبريل- عليه السلام- فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف. فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا»[٤].

وروى الترمذي عن أبي قال: «لقي رسول الله ﷺ جبرائيل، فقال: يا جبرائيل إني بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»[٥].

عن أبي أنه قال: «لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المراء (وأحجار المراء موضع بقباء خارج المدينة، وقيل هي قباء) فقال: «إني بعثت إلى أمة أميين، فيهم الغلام والخادم، والشيخ العاسي (عسا الشيخ إذا كبر وأسن وضعف بصره

---

(١)نزول القرآن الكريم وتاريخه وما يتعلق به (ص: ٣٨).
(٢)رواه أبو يعلى في مسنده والطبراني في الكبير.
(٣)رواه الشيخان.
(٤)رواه مسلم.
(٥) رواه الترمذي.

ويبس جلده وصلب.) والعجوز، فقال جبريل: فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف[١].

وعن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، فكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها، فقال رسول الله ﷺ: «أرسله، اقرأ» فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت» ثم قال لي: «اقرأ» فقرأت، فقال: «هكذا أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه»[٢].

وعن أبي بن كعب، رضي الله عنه، قال: قرأت آية وقرأ ابن مسعود خلافها، فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألم تقرئني آية كذا وكذا؟ قال: «بلى»، فقال ابن مسعود: ألم تقرئنيها كذا وكذا؟ فقال: «بلى، كلاكما محسن مجمل» قال: فقلت له، فضرب صدري، فقال: «يا أبي بن كعب، إني أقرئت القرآن فقيل لي: على حرف أو على حرفين؟ قال: فقال الملك الذي معي: على حرفين، فقلت: على حرفين، فقال: على حرفين أو ثلاثة؟ فقال الملك الذي معي: على ثلاثة، فقلت: على ثلاثة، حتى بلغ سبعة أحرف، ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت: (غفورا رحيما) أو قلت:سميعا عليما) أو قلت: (عليما سميعا) فالله كذلك، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب»[٣].

اختلاف العلماء في معنى الأحرف السبعة.

وقد اختلف العلماء فى المراد بالأحرف السبعة اختلافًا كثيرًا.

روى الزركشي عن الحافظ أبي حاتم بن حبان البستي أن الناس اختلفوا في بيان ذلك على خمسة وثلاثين قولا، وزاد السيوطي على هذا القول فعد فى كتاب الاتقان وذكر أربعين قولا، وزاد الملا علي قاري الحنفي واحدة وأوصلها إلى ٤١ قولا.

وقال السيوطي والمختار عندي: أنه من المتشابه الذي لا يدرى تأويله ولا يعلمه إلا الله، وهو مذهب بعض أهل العلم أن حديث السبعة أحرف مشكَلٌ لا يُعْرَف المراد منه؛ لأن الحرف في اللغة من المشترك اللفظي الذي لا يتعين المعنى المراد منه إلا بقرينة.

---

(١)الترمذي وأحمد، تفسير الطبري، (١/ ٣٥) .
(٢) متفق عليه: رواه الشيخان .
(٣)رواه أحمد وأبو داود ، وهو صحيح.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فالحرف يطلق في اللغة -كما في القاموس- على: طرف الشيء، وشفيره، وحده، ومن الجبل أعلاه المحدد، وعلى أحد حروف التهجي، وعلى الناقة الضامرة، ومسيل الماء، وعلى الوجه، وليس في الكلام قرينة توضح المراد من هذه المعاني، فكان المعنى المراد مبهمًا لا يُعْرَف على وجه الحقيقة[١].

واختلف العلماء في المقصود بالسبعة أحرف هل هي حقيقة العدد سبعة الواقع بين الستة والثمانية أم على المجاز؟

فمن العلماء من قال المقصود هو المجاز وليس حقيقة الغدد أي أنها ليست عدد سبعة .

ولكن المقصود بها الكثرة لأن العرب كانت تستخدم الرقم سبعة على الكثرة فليس المقصود بها حقيقة العدد سبعة أحرف بعينها فالمقصود بها الحروف الكثيرة وهو القول القاضي عياض.

فرقم سبعة يدل علي الكثرة في الأحاد والسبعين يدل علي الكثرة في العشرات والسبعمائة يدل علي الكثرة في المئات.

يقول الدكتور محمد بكر إسماعيل: وذهب بعضهم إلى أن العدد لا مفهوم له، بمعنى: أن حقيقته غير مرادة، وإنما المراد به التيسير والتسهيل والتوسعة على الأمة بوجوه متعددة كثيرة، لا تنحصر في سبعة. والتعبير بالسبعة يراد به في الشرع أحيانًا المبالغة في الكثرة، كما في قوله تعالى: وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾[....: ..]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ﴾[التوبة.]، وقوله -جل شأنه: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ ﴾[.البقرة]، فالسبعة يُرَادُ بها الكثرة في الآحاد، والسبعون يراد بها الكثرة في العشرات، والسبعمائة يراد بها الكثرة في المئات[٢].

وأما قول الجمهور وهو الراجح ان الأحرف السبعة المقصود منها حقيقة العدد سبعة أحرف، يقول الزرقاني: وأما السبعة فقد علمت أن المراد بها حقيقتها وهي العدد المعروف في الآحاد بين الستة والثمانية[٣].

---

(١) دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ٧٣).
(٢) دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ٧٤) .
(٣) كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن (ص١٥٣) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أشهر هذه الأقوال في معنى الأحرف السبعة.

القول الأول:

وهو: مذهب سفيان بن عيينة وابن جرير وابن وهب والطحاوي والقرطبي، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء، إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات في كلمة واحدة جاءت بألفاظ مختلفة ولكن المعنى واحد مثل (هلم، أقبل، تعال، إلي، قصدي، نحوي، قربي)، فإن هذه سبعة ألفاظ مختلفة المقصود منها معنى واحد وهو طلب الإقبال.

قال مكى بن أبى طالب: «هذه القراءات كلها التى يقرأها الناس اليوم، وصحت روايتها عن الأئمة إنما هى جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووافق اللّفظ بها خط المصحف الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه وعلى اطراح ما سواه، ولم ينقط ولم يضبط فاحتمل التأويل لذلك»[1].

القول الثاني:

وهو مذهب "جمع غفير من العلماء من أبرزهم أبو الفضل الرازي وابن قتيبة وابن الجزري"، وانتصر له من المتأخرين الشيخ محمد بخيت المطيعي، والشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان، قال الشيخ عبد الفتاح القاضي في شرح الشاطبية: "والذي نرجحه من بين هذه المذاهب مذهب الإمام أبى الفضل الرازي".

وقالوا أن المراد بالأحرف السبعة، وجوه التغاير السبعة التي يقع فيها الاختلاف، وهي سبعة أوجه لا يخرج عنها الاختلاف في القراءات، وهي: اختلاف وجوه الإعراب، واختلاف بالنقص والزيادة، والاختلاف بالتقديم والتأخير، والاختلاف بالإبدال، واختلاف اللهجات كالفتح والإمالة والتفخيم والترقيق والإظهار والإدغام،

يقول العلامة عبد الفتاح القاضي - رحمه الله تعالى- في كتابه: « الوافي في شرح الشاطبية»: وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة اختلافا كثيرا وذهبوا فيه مذاهب شتى، والذي نرجحه من بين هذه المذاهب مذهب الإمام أبي الفضل الرازي، وهو أن المراد بهذه الأحرف الأوجه التي يقع بها التغاير والاختلاف، وهذه الأوجه لا تخرج عن سبعة، وهذا بيانها:

الأول: اختلاف الأسماء في الإفراد والتثنية والجمع: ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الذين يُطيقونه فدية طعام مسكين﴾[البقرة: ١٨٤] قرى (مسكين)

(١)كتاب نزول القرآن على سبعة أحرف. مناع القطان (ص٩٣) .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بالإفراد وقرئ (مساكين) بالجمع، وقوله تعالى: ﴿فَأَصلِحُوا بَين أخويكم﴾[الحجرات: ١٠] قرئ (أخويكم) بالتثنية، وقرئ (إخوتكم) بالجمع، ويدخل في هذا الاختلاف: اختلاف الأسماء في التذكير والتأنيث، ومن الأمثلة: ﴿ولا يُقبَل منها شفاعَة﴾[البقرة: ٤٨] قرئ (يقبل) بالتذكير، وقرئ (تقبل) بالتأنيث ﴿الذين تتوفّاهم الملائكة﴾[النحل: ٢٨] قرئ (يتوفاهم) بالتذكير، وقرئ (تتوفاهم) بالتأنيث.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع : ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿فمن تطوع خيرًا﴾[البقرة: ١٨٤] قرئ بفتح التاء والطاء مخففة مع فتح العين على أنه فعل ماض (تطوع)، وقرئ (يطوع) بياء مفتوحة وبعدها طاء مشددة مفتوحة مع جزم العين على أنه فعل مضارع مجزوم بمن. وقوله تعالى: ﴿فنجي من نشاء﴾[يوسف: ١١٠] قرئ (فَنُجِّيَ) بجيم مشددة بعد النون المضمومة وبعدها ياء مفتوحة على أنه فعل ماض، وقري (فنُنْجِي) بزيادة نون ساكنة بعد النون المضمومة مع تخفيف الجيم وسكون الياء على أنه فعل مضارع.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب: ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿ولا تسئل عن أصحاب الجحيم﴾[البقرة: ١١٩] قرئ (تسأل) بضم التاء ورفع اللام على أن لا نافية، وقرئ (تسال) بفتح التاء وجزم اللام على أن لا ناهية. وقوله تعالى: ﴿يُسبح له فيها بالغدو والآصال﴾ [النور: ٣٦] قرى (يسيّح) بكسر الباء او البناء للمعلوم، وقري (يسبّح) بفتح الباء والبناء للمجهول.

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة: ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾[آل عمران: ١٣٣] قرئ (وسارعوا) بإثبات الواو، وقرئ (سارعوا) بحذفها. وقوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبَت أيديكم﴾[الشورى: ٣٠] قرئ (فيما) بالفاء وقري (بما) بحذف الفاء.

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير: ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا﴾[آل عمران: ١٩٥] قرئ بتقديم (وقاتلوا) وتأخير (وقتلوا) وقرئ بتقديم (وقتلوا) وتأخير (قاتلوا). وقوله تعالى: ﴿ختامه مسك﴾[المطففين: ٢٦] قرئ (ختامه) بكسر الخاء وتقديم التاء المفتوحة على الألف، وقرئ (خاتمه) بفتح الخاء وتقديم الألف على التاء المفتوحة .

السادس: الاختلاف بالإبدال، أي جعل حرف مكان حرف: ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت﴾[يونس: ٣٠] قرئ (تبلو)

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بفتح التاء فباء ساكنة ، وقرئ (تتلو) بتاءين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة. وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الغيب بضين﴾[التكوير: ٢٤] قرئ (بضئين) بالضاد، وقرئ (بظنين) بالظاء.

السابع: الاختلاف في اللهجات: كالفتح والإمالة، والإظهار والإدغام، والتسهيل والتحقيق، والتفخيم والترقيق. ومن الأمثلة: قوله تعالى: ﴿والضحى * والليل إذا سجى﴾ [الضحى: ١-٢] قرئ بفتح (الضحى سجى) وقرئ بإمالتها إمالة كبرى أو صغرى. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يُرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾[آل عمران: ١٤٥] قرى بإظهار الدال في (يرد)، وقرئ بإدغامها في الثاء. وقوله تعالى: ﴿أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾[البقرة: ٦] قرئ بتحقيق الهمزتين في (أأنذرتهم) وقرئ بتسهيل الثانية. وهذا السبب الاختلاف في اللهجات هو من أعظم الأسباب تيسيرا وتخفيفا على المسلمين، ومن الناس من لا تستقيم ألسنتهم على الفتح فالإمالة تناسبهم ومنهم من لا تستقيم ألسنتهم على الإظهار فالإدغام يناسبهم .

القول الثالث: قول أبو عبيد القاسم بن سلام وثعلب وابن عطية وآخرون

وهو نزول القرآن علي سبع لغات متفرقة من قبائل العرب بمعنى أن بعض القرآن نزل بلغة قريش وبعضه بلغة كنانة وبعضه بلغة أسد وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة تميم وبعضه بلغة قيس عيلان وبعضه بلغة أهل اليمن، ، فالقرآن يحتوي علي كل هذه الأحرف، ودليلهم عدم معرفة بعض الصحابة القرشيين لبعض ألفاظ القرآن إلا من بعض العرب كما وقع لابن عباس في كلمة فاطر حيث روى عنه أنه قال: لم أكن أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأتها وأجيب عن ذلك بأن عدم معرفة ابن عباس لمعنى هذه الكلمة لا يدل على أن اللفظة غير قرشية لجواز أن يكون قد غاب معناها عن ابن عباس، وقالوا قال تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾[الزخرف: ٣]، ولم يقل قرشيا، فنزل القرآن على لغات القبائل المذكورة والأغلب كان القرآن بلسان قريش.

القول الرابع: وهو أن : الأحرف السبعة هي سبعة أوجه، وهي الأمر والنهى والوعد والوعيد والجدل والقصص والأمثال، أو هي: الأمر والنهي والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال.([1])

وهناك أقوال كثيرة ذكرت أشهرها .

([1]) مفهوم الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن - المجلد ١ - الصفحة ١٦ -

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الترجيح:

الراجح -والله أعلم بالصواب- من هذه الآراء جميعًا هو الرأي الأول، أن المراد بالأحرف السبعة ،سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد. نحو: أقبل وتعال، وهلم، وعجل، وأسرع، فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد، وإليه ذهب سفيان بن عيينة، وابن جرير، وابن وهب، وخلائق، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء[١].

وقد بين الطبري- في مقدمة تفسيره- وغيره أن اختلاف القراء، إنما هو كله حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وهو الحرف الذي كتب عثمان عليه المصحف.

يقول أبو شامة، نقلا عن بعض من أخذ عنهم: «أنزل القرآن بلسان قريش ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عاداتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب، وقد ذكر العلماء أن الأحرف السبعة أو اللغات السبعة لم تكن تعني أن كل كلمة من المصحف كانت تقرأ بسبعة أوجه، وإنما كان الخلاف في مواضع محدودة.

والأدلة على هذا القول كثيرة جدا، فعن عقبة بن عامر، رضي الله عنه، قال: رأيت رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية في خاتمة النور وهو جاعل إصبعيه تحت عينيه، يقول: (بكل شيء بصير) والذي في المصحف: ﴿بكل شيء عليم﴾ [النور: ٦٤][٢].

وعن عبد الرحمن بن حاطب، عن عمر: أنه صلى العشاء الآخرة، فاستفتح آل عمران، فقرأ: (آلم. الله لا إله إلا هو الحي القيام)[٣]، والذي في المصحف: ﴿القيوم﴾[آل عمران: ٢].

وعن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، قال: لقد توفى عمر، رضي الله عنه، وما يقرأ هذه الآية التي ذكر الله فيها الجمعة: يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة إلا (فامضوا إلى ذكر الله)[٤]، والذي في المصحف: ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾[الجمعة: ٩] .

(١)راجع مناع القطان مباحث في علوم القرآن (ص: ١٦٢) .
(٢)حديث حسن. أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن) والطبراني في «الكبير».
(٣)(صحيح. أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن»).
(٤)(صحيح. أخرجه ابن جرير).

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وعن أبي رزين مسعود بن مالك الأسدي، قال: في قراءة عبد الله (يعني ابن مسعود): (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم قبله) [1]، والذي في المصحف: ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾[البقرة: ١٥٠].

وفي ﴿ٱهۡدِنَا﴾ - قال مقاتل بن سليمان: في قراءة ابن مسعود: (أرْشِدْنا)[2]

قال الطحاوي: وأبين ما ذكر في ذلك حديث أبي بكرة قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: اقرأ على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فقال: اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل: استزده حتى بلغ سبعة أحرف؛ فقال: اقرأ فكل شاف كاف، إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب بآية رحمة على نحو: هلم، وتعال، وأقبل، وأسرع، وعجل. وروى ورقاء .

وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب: أنه كان يقرأ: ﴿للذين آمنوا انظرونا﴾[الحديد: ١٣]، للذين آمنوا أمهلونا، للذين آمنوا أخرونا، للذين آمنوا ارقبونا.

وعن الأعمش قال: "قرأ أنس هذه الآية: (إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قيلا)، فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة، إنما هي ﴿وأقوم﴾، فقال: أقوم وأصوب وأهيأ واحد"[3]، وبهذا الإسناد عن أبي كان يقرأ: ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾[البقرة: ٢٠]، مروا فيه، سعوا فيه.

فالقرآن الكريم بجميع القراءات المتواترة كلها بحرف قريش، وهذا ما يؤيده ما قاله عثمان لزيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن الزبير أن انسخوا الصحف في المصاحف.

وقال للرهط القرشيين الثلاثة: ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، قال الزهري: واختلفوا يومئذ في التابوت والتابوة فقال النفر القرشيون التابوت، وقال زيد التابوة، فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال اكتبوه: التابوت، فإنه لسان قريش ».

---

(١)(صحيح. أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف»).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٣٦/١.
(٣)رواه الطبري، وأبو يعلى، والبزار، ورجاله رجال الصحيح .

سبب نزول نزول القرآن على سبعة أحرف:

السبب الأول هو التيسير على الأمة والتخفيف عنها، وعدم المشقة ورفع الحرج.

قال الشمس ابن الجزري: فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها والتهوين عليها، شرفًا لها وتوسعة ورحمة، وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق[1]، حيث أتاه جبريل فقال: «إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، فقال -صلى الله عليه وسلم-: سل الله معافاته ومعونته، إن أمتي لا تطيق ذلك. ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف»[2]. وفي الصحيح أيضًا: «إن ربي أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن هون على أمتي، ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة حرف».

وقال الإمام أبو محمد بن عبد الله بن قتيبة في كتاب المشكل: فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه - ﷺ - بأن يقرئ كل أمة بلغتهم وما جرت به عاداتهم. فالهذلي يقرأ "عتى حين" يريد حتى حين هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسدي: يعلمون وتعلم وتسود وجوه. وألم إعهد إليكم بكسر حرف المضارعة. والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز. والآخر يقرأ قيل لهم وغيض الماء باشمام الضم مع الكسر، وبضاعتنا ردت إلينا باشمام الكسر مع الضم، ومالك لا تأمنا. بإشمام الضم مع الإدغام[3].

السبب الثاني : استجابة لطلب النبي ﷺ حيث أتاه جبريل فأمره أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فطلب منه رسول الله ﷺ أن يسأل الله- سبحانه وتعالى- المعافاة لأمته لأنها لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف، ولأنه يصعب: على الناس الانتقال من لغتهم إلى لغة أخرى؛ بسهولة.

السبب الثالث دلالة علي القرآن جاء للعالمين فالنبي ﷺ أرسل للناس كافة وليس لقريش فقط ،والعرب عندهم اعتزاز بلغاتهم ولهجاتهم ولسانهم

السبب الرابع: تأليفا لقلوب القبائل العربية الأخرى، فالقرآن جاء لكي يجمع القبائل العربية المتناحرة التي لم يكن بينها إلا الحروب قال الطحاوي: إنما كانت

---

(١)النشر في القراءات العشر (١/ ٢٢) ابن الجَزَرِي، شمس الدين (٧٥١ - ٨٣٣ هـ)محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن يوسف أبو الخير شمس الدين العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي، المشهور بابن الجزري، شيخ الإقراء في زمانه. ولد ونشأ في دمشق وأنشأ فيها مدرسة سماها دار القرآن.

(٢)صحيح مسلم (١/ ٥٦٢) مسلم بن الحجاج (٢٠٤ - ٢٦١هـ)مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. الإمام الحافظ الحجة، المصنف الشهير في الحديث وعلومه، صاحب الجامع الصحيح. ولد ونشأ وتوفي بنيسابور.

(٣)الحجة للقراء السبعة (المقدمة/ ٤) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٢)

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

السعة للناس في الحروف؛ لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم؛ لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم، فلما كان يشق على كل ذي لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة، فوسع لهم في اختلاف الألفاظ، إذا كان المعنى متفقا، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ﷺ، فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرءوا بخلافها.

واختلفوا في تحديد اللغات السبع، فقيل: هي لغات: قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن، وقال أبو حاتم السجستاني: نزل بلغة قريش، وهذيل، وتميم، والأزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر، وروي غير ذلك[1].

ولقد أضاف العلماء ووضحوا الأسباب من نزول القرآن بهذا العدد، فقالوا ما يلي:

أولًا: لو نزل القرآن على حرف واحد لشق ذلك على الأمة العربية فقد كانت متعددة اللغات واللهجات، وما يتسهل النطق به على البعض لا يسهل على البعض الآخر، وكانت تغلب عليها الأمية فلا عجب أن حرص النبي ﷺ على الاستزادة من الحروف حيث بلغت سبعة أحرف، فكان من رحمة الله بهذه الأمة أن أنزل القرآن على سبعة أحرف رفعاً للحرج، وتيسيراً لقراءته وحفظه.

ثانيًا: إن هذه التوسعة إنما كانت في الألفاظ، ولم تكن في المعاني والأحكام وأنها كانت في المعنى الواحد يقرأ بألفاظ مختلفة بدليل أن النبي ﷺ أقر كلاً من المختلفين على قراءته.ن، وعمر بن الخطاب، وغير هؤلاء

ثالثا: إن هذه التوسعة والإباحة في القراءة بأي حرف من الحروف السبعة إنما كانت في حدود ما نزل به جبريل وما سمعوه من النبي ﷺ وذلك بدليل أن كلاً من المختلفين كان يقول: أقرأنيها رسول الله ﷺ وأن النبي ﷺ كان يعقب على قراءة كل من المختلفين بقوله: هكذا أنزلت كما في حديث عمر وهشام.

ولا يتوهم أي إنسان أن التوسعة كانت باتباع الهوى، فذلك ما لا يليق أن يفهمه مسلم فضلاً عن عاقل إذ الروايات الواردة ترده وتبطله ولو كان لكل أحدٍ أن يقرأ بما يتسهل له من غير تلق وسماع من النبي ﷺ وأن يبدل ذلك من تلقاء نفسه لذهب إعجاز القرآن ولكان عرضة أن يبدله كل من أراد، ولما تحقق وعد الله سبحانه بحفظه في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وكيف يتفق هذا الوهم الباطل مع قول الله عز وجل: ﴿قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ

(١) راجع "الإتقان" (جـ١ ص٤٧) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[يونس: ١٥-١٦].

٤ - أن الأمة كانت مخيرة في القراءة بأي حرف منها من غير إلزام بواحد منها فمن قرأ بأي حرف منها فقد أصاب، بدليل قوله ﷺ في حديث عمر فاقرؤوا ما تيسر منه.

٥ - أن التوسعة على الأمة لم تكن في مبدأ الدعوة فحسب بل كانت بعد الهجرة وبعد أن دخل في الإسلام كثير من القبائل غير قريش فكانت القراءات العشر كلها على لسان قريش[١].

والذي يستفاد أن القراءات العشر كلها على لسان قريش كما مر

مهم جدا

ولعل سائل يسأل كيف تكون القراءات الكثيرة علي لسان قريش؟ هذه القبيلة الصغيرة. والإجابة نقول أن قريش ليست قبيلة صغيرة بل فيها قبائل وبطون وأفخاذ تزيد علي ١٢ قبيلة داخلية كما يوجد ما يعرف بقريش الظواهر وقريش البواطن، وقد تختلف اللهجات في البلد الواحدة والقرية الصغيرة.

وهذه نبذة عن قريش وقبائلها:

تنتسب قبيلة قريش إلى النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وتنتسب قبيلة قريش كما هو مجمع عليه باتفاق النسابين إلى نبي الله إسماعيل بن النبي إبراهيم.

جاء في صحيح مسلم: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشًا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»[٢]، قال ابن القيم في زاد المعاد في ما بعد عدنان من النسب: "إلى ها هنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسابين ولا خلاف فيه البتة وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل -عليه السلام"[٣].

(١)نزول القرآن الكريم وتاريخه وما يتعلق به (ص: ٤٢).
(٢) رواه مسلم .
(٣) ابن قيم الجوزية. زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٧٠) ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة (٦٩١ - ٧٥١ هـ) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين:من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه. وأطلق بعد موت ابن تيمية

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أقرب القبائل نسبًا لقريش:

أقرب القبائل نسبا لقريش هم بقية فروع قبيلة كنانة حيث إن قريشا عمارة من عمائر قبيلة كنانة وفرع منها، ثم تأتي بعدهم في القرابة لقريش قبيلة بني أسد وقبيلة عضل، ثم تأتي بعدهم قبيلة هذيل وهكذا.

سبب تسميتهم قريش:

اولا اختلف العلماء من هو قريش:

على قولين هما:

القول الأول: النضر بن كنانة، وهو **(قريش الأكبر)**، ومن قال إنه قريش: الرافعي والنووي وأحمد بن حنبل، وابن سعد، والطبراني، وأصحاب مذهب الشافعي، والحازمي والقرطبي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وأبو بكر بن الجهم، وابن هشام ،وابن إسحاق، وابن كثير، ومحمد بن السائب الكلبي، وابن خلدون، والشعبي، وابن حجر العسقلاني، وابن عبد ربه الأندلسي.

القول الثاني: فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. وهو **(قريش الأوسط)**، ومن قال أنه قريش: أبو عمر بن عبد البر ومصعب بن عبد الله الزبيري وعلي بن كيسان وابن حزم والزبير بن بكار.

وقد ذكر ابن خلدون جمعا بين القولين وشرحا لهما بقوله: "النضر هو الذي يسمى قريشا. وإنما انتسبوا إلى فهر لأن عقب النضر منحصر فيه لم يعقب من بني النضر غيره فهذا وجه القول بأن قريشا من بني فهر بن مالك أعني انحصار نسبهم فيه وأما الذي اسمه قريش فهو النضر"[1].

وقد ذكر القلقشندي معنى كلمة قريش قائلا : روي عن ابن عباس أن النضر كان في سفينة فطلعت عليهم دابة من دواب البحر يقال لها قريش فخافها أهل السفينة فرماها بسهم فقتلها وقطع رأسها وحملها معه إلى مكة وقيل لغلبة قريش وقهرهم سائر القبائل كما تقهر هذه الدابة سائر دواب البحر وتأكلها وقيل أخذًا من التقريش وهو التجميع سموا بذلك لاجتماعهم بعد تفرقهم وقيل لقرشهم عن حاجة المحتاج وسد خلته وقيل من التقاريش وهو التجارة[2].

---

(١) تاريخ ابن خلدون :ابن خلدون مجلد 2 : صفحه324 :
(٢)نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (ص: ٣٩٨)

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وقيل: إنهم سموا قريشا نسبة إلى أحدِ أجدادهم، وهو: (قريش بن بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة)[١].

سكن قريش بمكة:

وكانت قريش قبل سكنها مكة المكرمة أصرافا متفرقين في ظاهر مكة ضمن قبيلة بني كنانة، معروفين باسم بني النضر حتى جمعهم وأسكنهم بها قصي بن كلاب، ولهذا يقال لقصي (قريش الأصغر)، ومجمع قريش، وهو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وقد أسكن قريشًا مكةَ بعدما أخرج منها قبيلة خزاعة، وبني بكر من قبيلة كنانة، وبني صوفة وهو الغوث بن مر أخو تميم جد قبيلة تميم، وذلك بمعونة من معه من بني النضر بن كنانة وبمعونة أخيه من أمه رزاح بن ربيعة العذري القضاعي، وبنو عمرو هم بنو عمرو بن عامر من قبيلة خزاعة، وبنو بكر هم بنو بكر بن عبد مناة من قبيلة كنانة بطون قريش وأفخاذها كانت قريش تنقسم حسب سكنها إلى قريش البطاح.

وهم الذين يسكنون الأبطح أو بطحاء الحرم، حول البيت، ويسمون أيضاً بقريش البواطن، لأنهم يسكنون في بطن مكة بين أخشبيها. وقريش البطاح هم جميع ولد كعب بن لؤي.([٢])

قريش الظواهر.

وهم الذين لم يسمح لهم قصي بدخول الأبطح فبقوا في ظاهر مكة، وكانوا بادية حول مكة، يغيرون على غيرهم[٣].

بطون قريش:

أما بطون قريش حسب النسب فهي:

بنو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وهم ينقسمون إلى: بنو عبد مناف بن قصي.

وبنو هاشم بن عبد مناف فيهم النبوة. وهم آل بيت النبي محمد الذين تحرم عليهم الصدقات.

---

(١)جمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/ ١١)

(٢) المنمق في أخبار قريش - ابن حبيب - ص ٣، ٤

(٣)كتاب تاريخ قريش دراسة في تاريخ أصغر قبيلة عربية جعلها الإسلام أعظم قبيلة في تاريخ البشر الكاتب حسين مؤنس

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بنو المطلب بن عبد مناف. وهم من آل محمد في مذهب الشافعي، إذ أنه حرَّمت عليهم الصدقات وأوجب لهم سهما في المغنم والفيء. وبنو عبد شمس بن عبد مناف.بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وكانت لهم السيادة على قريش قبل الإسلام ومنهم عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين.وسيدنا معاوية بن أبي سفيان. وبنو نوفل بن عبد مناف. وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي. وكان منهم (خديجة بنت خويلد) زوجة النبي محمد والصحابي الزبير بن العوام.بنو عبد الدار بن قصي. وفيهم الحجابة والسدانة وحمل لواء الحرب،

ومنهم بنو شيبة. بنو عبد قصي بن قصي، وقد انقرض عقبه. بنو زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. ومنهم آمنة بنت وهب أمُّ النبي محمد ﷺ. وبنو تيم بن مرة بن كعب بن لؤي وكان منهم عبد الله بن جدعان أحد سادة قريش في الجاهلية ومنهم عبد الله بن أبي قحافة المكنى بأبي بكر الصديق خليفة رسول الله. وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ومنهم خالد بن الوليد وأم سلمة زوجة النبي محمد والوليد بن المغيرة. وبنو عدي بن بن كعب بن لؤي، ومنهم عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين. وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ومنهم عمرو بن العاص بن بنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي.

بنو عامر بن لؤي:

بنو تيم الأدرم بن غالب. بنو الحارث بن فهر. بنو محارب بن فهر. بالإضافة إلى بعض الفروع التي خرجت من قريش في الجاهلية وهي: بنو خزيمة بن لؤي، ودخلوا في بني شيبان من قبيلة بكر بن وائل، ويعرفون باسم (بني عائذة)، وبنو سعد بن لؤي ودخلوا في بني شيبان من قبيلة بكر بن وائل ويعرفون باسم بني بنانة. وبنو مرة بن عوف بن لؤي وانتسبوا إلى سعد بن ذبيان من غطفان ومنهم الشاعر النابغة الذبياني. وبنو سامة بن لؤي خرجوا إلى عمان. وبنو الحارث بن لؤي ودخلوا في بني هزان من قبيلة عنزة ويعرفون باسم بني جشم. وبنو الصلت بن مالك بن النضر وقيل أنهم بنو مليح بن عمرو من خزاعة. وبنو يخلد بن النضر ودخلوا في بني عمومتهم قبيلة كنانة[1].

(١) راجع المنمق في أخبار قريش، لابن حبيب، (ص ٣- ٤) وجمهرة أنساب العرب -ابن حزم، (ص٥)، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي.

السَّادَة لِلفِكرِ وَالثَّقَافَة
www.sadah.net

الفصـــــــل الثانـي عشر

المكي والمدني من القرآن الكريم

تعريف المكي والمدنـي:

اختلف العلماء في تعريف المكي والمدني: فقيل: إن المكي: ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني: ما وقع خطابا لأهل المدينة:

وأخرج أبو عبيد في فضائل القرآن عن ميمون بن مهران قال: « ما كان في القرآن يا أيها الناس أو يا بني آدم، فإنه مكي، وما كان ب: يا أيها الذين آمنوا، فإنه مدني»[1].

وقيل المكي ما نزل بمكة، والمدني: ما نزل بالمدينة:

وأشهر التعريفات وأقواها أن المكي: ما نزل قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وإن كان نزوله خارج مكة، كقوله سبحانه: ﴿وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾[سورة الزخرف آية: ٤٥]، فإنها نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء. العهد المكي الذي استمر قرابة ثلاثة عشرة سنة. والمدني: ما نزل بعد الهجرة هجرة النبي ﷺ إلى المدينة: ولو كان نزوله خارج المدينة.

كقوله سبحانه في سورة التوبة: ﴿لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون﴾[سورة التوبة آية: ٤٢]، فإنها نزلت بتبوك.

و كقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[سورة المائدة آية: ٣]، مدنية مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع.

وكذلك آية: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [سورة النساء آية: ٥٨]، فإنها مدنية مع أنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح .

---

(١)الإتقان في علوم القرآن (١/ ٦٨)

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فائدة العلم بالمكي والمدني

من فوائد العلم بالمكي والمدني:

١- تمييز الناسخ من المنسوخ: فلو وجد اختلاف في حكم شرعي وعرف المكي والمدني يقدم المدني علي المكي لأنه هو الأحدث ويعتبر المدني ناسخا له:

٢- معرفة تاريخ التشريع وتدرج أحكامه.

كيف يعرف المكي والمدني:

يعرف بالنقل الصحيح الثابت عن الصحابة والتابعين؛ لأنه لم يرد عن النبي ﷺ بيان للمكي والمدني، فهم أعلم الأمة بالتنزيل وأكثرها أخذ من النبى ﷺ، وأعلم الأمة بالقرآن مكيه ومدنيه هو سيدنا عبد الله بن مسعود، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت؟ ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما نزلت؟ ولو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[(١)].

عناية العلماء بالمكي والمدني:

اهتم الصحابة الكرام ومن جاء بعدهم من التابعين بالقرآن الكريم. قال أيوب: سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال: «نزلت في سفح ذلك الجبل» وأشار إلى سلع.

يقول الشيخ مناع القطان: وقد ظهرت عناية العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة، فتتبعوا القرآن آية آية، وسورة سورة، لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب، لا يكتفون بزمن النزول، ولا بمكانه، بل يجمعون بين الزمان والمكان والخطاب، وحرص العلماء كل الحرص على الحفاظ علي كتاب الله من الضياع، فتتبعوا كل سورة وكل آية بعناية ليس لها مثيل فاستطاعوا أن يعرفوا المكي من المدني وما نزل نهارا وما نزل ليلا وما نزل شتاء وما نزل صيفا وهذا كله يدل على العناية الفائقة بالقرآن الكريم

ولهم في ذلك أبحاث منها: ١- ما نزل بمكة. ٢- ما نزل بالمدينة. ٣- ما اختلف فيه. ٤- الآيات المكية في السور المدنية. ٥- الآيات المدنية في السور المكية. ٦- ما نزل بمكة وحكمه مدني. ٧- ما نزل بالمدينة وحكمه مكي. ٨- ما يشبه نزول المكي في المدني. ٩- ما يشبه نزول المدني في المكي. ١٠- ما حمل من مكة إلى

---

(١) أخرجه البخاري.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المدينة. ١١- ما حمل من المدينة إلى مكة. ١٢- ما نزل ليلا وما نزل نهارا. ١٣- ما نزل صيفا وما نزل شتاء. ١٤- ما نزل في الحضر وما نزل في السفر[١].

نقل السيوطي في «الإتقان» أقوالا كثيرة فى تعيين السور المكية والمدنية، من أشهرها ما ذكره أبو الحسن الحصار فى كتابه الناسخ والمنسوخ إذ يقول: (المدني باتفاق عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة، وما عدا ذلك مكى باتفاق. وهذا بيانه:

القرآن المدني عشرون سورة: ١- البقرة. ٢- آل عمران. ٣- النساء. ٤- المائدة. ٥- الأنفال. ٦- التوبة. ٧- النور. ٨- الأحزاب. ٩- محمد. ١٠- الفتح. ١١- الحجرات. ١٢- الحديد. ١٣- المجادلة. ١٤- الحشر. ١٥- الممتحنة. ١٦- الجمعة. ١٧- المنافقون. ١٨- الطلاق. ١٩- التحريم. ٢٠- النصر.

المختلف فيه اثنتا عشرة سورة: ١- الفاتحة. ٢- الرعد. ٣- الرحمن. ٤- الصف. ٥- التغابن. ٦- التطفيف. ٧- القدر. ٨- البينة. ٩- الزلزلة. ١٠- الإخلاص. ١١- الفلق. ١٢- الناس.

وأن ما سوى ذلك مكي، وهو اثنتان وثمانون سورة، فيكون مجموع سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة.

الآيات المكية في السور المدنية: ومعنى أن السورة مكية أو مدنية ليس جميع السورة ولكن الأغلب عليها أنها مكية أو الأغلب أنها مدنية، فمن الممكن أن نجد السورة المكية بها آيات مدنية السورة المدنية بها آيات مكية؛ ولذا يأتي في التسمية: سورة كذا مكية إلا آية كذا فإنها مدنية، وسورة كذا مدنية إلا آية كذا فإنها مكية؛ كما نجد ذلك في المصاحف.

ومن أمثلة ذلك السور المدنية بها آيات مكية"

نماذج من السور المدنية وبها آيات مكية:

سورة البقرة: مدنية ما عدا الآية ٢٨١ فهي مكية. سورة المائدة: مدنية ما عدا الآية ٣ فهي مكية، سورة الأنفال: مدنية ما عدا الآيات من [٣٠ – ٣٦] فهي مكية، سورة التوبة: مدنية، أما المكي فيها آخر آيتين سورة الأنفال" مدنية، غير قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾[الأنفال: ٣٠] [٢]. قال مقاتل هذه الآية: «نزلت

(١) مباحث في علوم القرآن مناع القطان
(٢)الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

بمكة، وظاهرها كذلك، لأنها تضمنت ما كان من المشركين في دار الندوة عند تآمرهم على رسول الله -ﷺ- قبل الهجرة واستثنى بعض العلماء أيضا: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾[الأنفال: ..] »[1]، أخرج البزار عن ابن عباس «أنها نزلت لما أسلم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه»[2].

السور المكية بها آيات المدنية

نماذج من السور المكية وما بها من آيات مدنية: سورة الأنعام: وهي مكية وبها آيات مدنية هي الآيات ٢٠، ٢٣، ٩١، ٩٣، ١١٤، ١٤١، ١٥١، ١٥٣. سورة الأعراف: وهي مكية ما عدا الآيات ١٦٣ - ١٧٠ فهي مدنية. سورة يونس: وهي مكية ما عدا الآيات ٤٠، ٩٤، ٩٥، ٩٦. سورة هود: وهي مكية ماعدا الآيات ١٢، ١٧، ١١٤، فهي مدنية.

ومن أمثلة الآيات المدنية في السور المكية "سورة الأنعام" قال ابن عباس: نزلت بمكة جملة واحدة. فهي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون، وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [الأنعام: ١٥٢-١٥٣]. وسورة الحج" مكية سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة، من أول قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾[الحج: ١٩] .

ما نزل بمكة وحكمه مدني:

ويمثلون له بقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾[الحجرات: ..]، فإنها نزلت بمكة يوم الفتح، وهي مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة، والخطاب فيها عام، ومثل هذا لا يسميه العلماء مكيا، كما لا يسمونه مدنيا على وجه التعيين، بل يقولون فيه: ما نزل بمكة وحكمه مدني.

---

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٥٤)
(٢) نفس المصدر

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ما نزل بالمدينة وحكمه مكي:

ويمثلون له بسورة الممتحنة، فإنها نزلت بالمدينة، فهي مدنية باعتبار المكان، ولكن الخطاب فيها لمشركي مكة.

ومثل هذا صدر سورة "براءة" نزل بالمدينة، والخطاب فيه لمشركي مكة.

ما يشبه نزول المكي في المدني:

ويعني العلماء به ما كان في السور المدنية من آيات جاء أسلوبها في خصائصه وطابعه العام على نمط السور المكية، ومن أمثلته قوله تعالى في سورة الأنفال، وهي مدنية: ﴿إذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾[الأنفال: ..]، فإن استعجال المشركين للعذاب كان بمكة.

ما يشبه نزول المدني في المكي:

ويعني العلماء به ما يقابل النوع السابق، ويمثلون له بقوله تعالى في سورة النجم: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾[النجم: ..] .

ما حمل من مكة إلى المدينة:

ومن أمثلته سورة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ أخرج البخاري عن البراء بن عازب قال: «أول من قدم علينا من أصحاب النبي، ﷺ: مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن. ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين. ثم جاء النبي -ﷺ- فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، فما جاء حتى قرأت: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ في سورة مثلها»[1]، وهذا المعنى يصدق على كل ما حمله المهاجرون من القرآن وعلموه الأنصار وبلغوه

ما حمل من المدينة إلى مكة:

ومن أمثلته أول سورة "براءة"، « حيث أمر رسول الله -ﷺ- أبا بكر على الحج في العام التاسع، فلما نزل صدر سورة "براءة" حمله رسول الله -ﷺ- علي

(١) أخرجه البخاري.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بن أبي طالب ليلحق بأبي بكر حتى يبلغ المشركين به، فأذن فيهم بالآيات وأبلغهم ألا يحج بعد العام مشرك» [١].

ما نزل ليلا وما نزل نهارا

أكثر القرآن نزل نهارا، أما ما نزل بالليل، فقد تتبعه القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري واستخرج له أمثلة منها: أواخر آل عمران: أخرج ابن حبان في صحيحه، وابن المنذر، وابن مردويه وابن أبي الدنيا وعن عائشة رضي الله عنها: « أن بلالا أتى النبي -ﷺ- يؤذنه لصلاة الصبح فوجده يبكي، فقال: يا رسول الله.. ما يبكيك؟ قال: "وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل علي هذه الليلة": ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾[آل عمران:١٩٠]، ثم قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر»[٢].

ومنها: آية الثلاثة الذين خلفوا؛ ففي الصحيحين من حديث كعب: «فأنزل الله توبتنا حين بقي الثلث الأخير من الليل سور التوبة ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[التوبة : ١١٨]، ومنها: أول سورة الفتح، ففي البخاري من حديث عمر: "لقد نزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس"، فقرأ: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾»[٣].

ما نزل صيفا وما نزل شتاء:

ويمثل العلماء ما نزل صيفا بآية الكلالة التي في آخر سورة النساء، ففي صحيح مسلم عن عمر: «ما راجعت رسول الله -ﷺ- في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بأصبعه في صدري وقال: "يا عمر، ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر في النساء" ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾[النساء: ١٧٦]»[٤].

---

(١)أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٢/ ٤٥٠)
(٢) أخرجه ابن حبان وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي الدنيا راجع الإتقان في علوم القرآن (١/ ٨٢)
موسوعة علوم القرآن (ص: ٦٤)
(٣) في الصحيحين.. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (٢/ ٨٩٦)
(٤) رواه مسلم

ومن أمثلته الآيات التي نزلت في غزوة تبوك، فإنها كانت في الصيف في شدة الحر كما في ذكر القرآن ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾[التوبة : ٨١]، وقوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة : ١١٧] ويمثلون للشتاء بآيات حديث الإفك في سورة النور: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ [النور:]... إلى قوله تعالى: ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾[النور:] ، ففي الصحيح عن عائشة: «أنها نزلت في يوم شات»[١].

ومن أمثلته الآيات التي في غزوة الخندق من سورة الأحزاب حيث كانت في شدة البرد: أخرج البيهقي في "دلائل النبوة" عن حذيفة قال: «تفرق الناس عن رسول الله -ﷺ- ليلة الأحزاب إلا اثني عشر رجلا، فأتاني رسول الله -ﷺ- فقال: " قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب"، قلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما قمت لك إلا حياء، من البرد، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا﴾[الأحزاب: ٩] »[٢].

ما نزل في الحضر وما نزل في السفر:

أكثر القرآن نزل في الحضر، ولكن حياة رسول الله -ﷺ- كانت عامرة بالجهاد والغزو في سبيل الله حيث يتنزل عليه الوحي في سفره وغزوه.

ولقد ذكر السيوطي لما نزل في السفر كثيرا منها «أول سورة الأنفال، نزلت ببدر ، كما أخرجه أحمد عن سعد ابن أبي وقاص»[٣]. وقوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾[التوبة: ٣٤]، أخرج أحمد عن ثوبان أنها نزلت في بعض أسفاره -ﷺ- وأول سورة الحج، أخرج الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين قال: «لما نزلت على النبي، ﷺ: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم، إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ [الحج ١] أنزلت عليه هذه وهو في سفر»[٤].

---

(١)الإتقان في علوم القرآن (١/ ٨٧)
(٢) راجع. مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص: ١٧٢)
والحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة "انظر الإتقان ١/ ٣٧". والإمام البيهقي منسوب إلى بيهق، وهي قرى مجتمعة بنواحي نيسابور على عشرين فرسخا منها، وللبيهقي كتب كثيرة قيل إنها نحو الألف، وأشهرها السنن الكبرى، ودلائل النبوة، وقد توفي هذا الإمام الكبير سنة ٤٥٨ "انظر الرسالة المستطرفة ص٢٥-٢٦
(٣) أحمد في مسنده.
(٤) رواه الترمذي والحاكم

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وسورة الفتح، أخرج الحاكم وغيره عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: «نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها»[1]، وهكذا وما جمعه العلماء اكبر دليل علي كثرة الإهتمام والحرص علي القرآن الكريم من اي تحريف يطرأ عليه او زيادة او نقصان .

ولله الحمد لم نجد كتابا في الدنيا لقي هذا الاهتمام وهذه الرعاية مثل القرآن الكريم ،فجزي الله عن القران واهله هؤلاء الرجال الذين افنوا اعمارهم حفاظا علي القرآن .

فوائد معرفة المكي والمدني

أ- الاستعانة به في تفسير القرآن: فإن معرفة مواقع النزول تساعد على فهم الآية وتفسيرها تفسيرا صحيحا.

ب- تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة إلى الله.

جـ- الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية.

كيف يعرف المكي والمدني

الأول: النقل عن الصحابة، فهم أعلم الأمة بالتنزيل، وحضورًا للوحي، فإن معرفة الآثار المنقولة عنهم بالنقل الصحيح، فإن لم نجد نقلا عن الصحابة ووجدنا النقل الثابت عن التابعين، خاصة من كانت له عناية بالتفسير كمجاهد وعكرمة مولى ابن عباس ومقاتل وغيرهم

والثاني: الاجتهاد عند عدم النقل، وذلك بمعرفة خصائص المكي والمدني، وما يمتاز به كل نوع وهذا يكون عن كثرة مدارسة وفهم منضبط من أهل الفن، ويكون من خلال الاطلاع على الكتب الخاصة بالتفسير بالمأثور، ومؤلفات أسباب النزول، ومباحث علوم القرآن، وهكذا قال الجعبري: «لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي وقياسي»[2]، ولا شك أن السماعي يعتمد على النقل، والقياسي يعتمد على العقل، والنقل والعقل هما طريقا المعرفة السليمة والتحقيق العلمي.

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في "الانتصار": "إنما يرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين، ولم يرد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ذلك قول لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من

---

(١) رواه الحاكم.

(٢) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٦٠)

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم ومعرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص"[1].

والمنهج القياسي الاجتهادي الذي يستند إلى خصائص المكي، وخصائص المدني، يكون بما ورد في السورة المكية آية تحمل طابعَ التنزيلِ المدنيّ، أو تتضمن شيئًا من حوادثه قالوا: إنها مدنية، وإذا ورد في السورة المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكي، أو تتضمن شيئًا من حوادثه قالوا: إنها مكية، وإذا وجد في السورةِ خصائص المكيّ قالوا: إنها مكية، وإذا وجد فيها خصائص المدني قالوا: إنها مدنية، وهذا قياس اجتهاديّ ؛ لذا قالوا مثلا: كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة، أو حدّ مدنية، وهكذا"[2].

مميزات المكي والمدني

بعد البحث والاستقصاء المنضبط من العلماء استطاعوا أن يميزوا السور المكية والسور المدنية، واستطاعوا أن يخرجوا بعض المميزات التي يمتاز بها كل قسم

مميزات القرآن المكي

١- كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

٢- كل سورة فيها لفظ ﴿كلا﴾ فهي مكية، ولم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن. وذكرت ثلاثا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة.

٣- كل سورة فيها: ﴿يا أيها الناس﴾ وليس فيها: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فهي مكية، إلا سورة الحج ففي أواخر اها: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾. وكان عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، يقول: «قرأنا المفصل حججا ونحن بمكة ليس فيها يا أيها الذين آمنوا»[3]، ومع هذا فإن كثيرا من العلماء يرى أن هذه الآية مكية كذلك.

٤- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية سوى البقرة.

٥- كل سورة فيها آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة كذلك.

---

(١) الانتصار للباقلاني مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٦٠) الإتقان جـ١ ص٩. و الدكتور مناع بن خليل القطان (١٣٤٥ - ١٤٢٠ هـ) القاضي الشيخ مناع خليل القطان المدير السابق للمعهد العالي للقضاء في السعودية. ولد في شهر أكتوبر سنة ١٩٢٥م = ١٣٤٥ هـ في قرية شنشور مركز أشمون من محافظة المنوفية بمصر من أسرة متوسطة الحال، وفي بيئة إسلامية مترابطة، حيث كان المجتمع الريفي يعتمد على الأرض الزراعية. إلى قريته هذه ينسب الشيخ الشنشوري شارح الرحبية في علم الفرائض. وفاته توفي يوم الإثنين ٦ ربيع الآخر سنة ١٤٢٠ هـ الموافق ١٩ يوليو ١٩٩٩م وصُلي عليه في مسجد الراجحي بمنطقة الربوة، ودفن في مقابر النسيم بالرياض.

(٢) راجع مباحث في علوم القرآن مناع القطان .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (رقم: ٣٠١٣٤) وإسناده صحيح).

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٦- كل سورة تفتح بحروف التهجي ك "ألم" و"الر" و"حم" ونحو ذلك فهي مكية سوى الزهراوين: وهما البقرة وآل عمران، واختلفوا في سورة الرعد.

خصائص القرآن المكي

اختص القران المكي بخصائص مهمة منها:

١- الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء، وذكر القيامة وهولها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين.

٢- وضع الأسس العامة للتشريع والأخلاق التي يقوم عليها المجتمع المنشود ، وفضح المشركين وبيان جرائمهم في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلما، ووأد البنات، وما كانوا عليه من العادات الخبيثة.

٣- ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة وبيان مصير المكذبين.

قال عروة بن الزبير: «ما كان من ذكر الأمم والقرون والعذاب، فإنه أنزل بمكة. في رواية: إني لأعلم ما نزل من القرآن بمكة، وما أنزل بالمدينة، فأما ما نزل بمكة فضرب الأمثال وذكر القرون، وأما ما نزل بالمدينة فالفرائض والحدود والجهاد»[١].

٤- قصر الفواصل مع قوة الألفاظ، وإيجاز العبارة،

خصائص القرآن المدني:

١- كل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية.
٢- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية سوى العنكبوت فإنها مكية.
٣- كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنية.

خصائص القرآن المدنـــي:

١- بيان العبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، وفضيلة الجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.

٢- مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله.

٣- الكشف عن سلوك المنافقين. ٤- طول المقاطع والآيات.

(١) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» وابن أبي شيبة في «المصنف» وإسناده صحيح.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصل الثالث عشر

المناسبات بين الآيات والسور:

والمناسبة في اللغة: المقاربة والمشاركة. المراد بالمناسبة هنا: وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة، وقد عرفها الإمام البقاعي بقوله:"علم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه".

فوائد معرفة المناسبات:

قال الزركشي: "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[١].

يقول مناع القطان: كما أن معرفة سبب النزول لها أثرها في فهم المعنى وتفسير الآية، فإن معرفة المناسبة بين الآيات تساعد كذلك على حسن التأويل، ودقة الفهم، ولذا أفرد بعض العلماء هذا المبحث بالتصنيف، ولمعرفة المناسبة فائدتها في إدراك اتساق المعاني، وإعجاز القرآن البلاغي، وإحكام بيانه، وانتظام كلامه، وروعة أسلوبه ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود: ١]، ومعرفة المناسبات والربط بين الآيات ليست أمرًا توقيفيًّا، ولكنها تعتمد على اجتهاد المفسر ومبلغ تذوقه لإعجاز القرآن وأسراره البلاغية وأوجه بيانه الفريد، فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى، منسجمة مع السياق، متفقة مع الأصول اللغوية في علوم العربية، كانت مقبولة لطيفة[٢].

ممن صنَّف فيه أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي النحوي الحافظ المتوفى سنة ٨٠٧ هجرية في كتاب سماه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن" "مخطوط"، وللشيخ برهان الدين البقاعي كتاب في هذا سماه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" وتوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية وقد طبعته دائرة المعارف العثمانية[٣].

وهو من "العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى فهم دقيق لمقاصد القرآن الكريم، وتذوق لنظم القرآن الكريم وبيانه المعجز، والى معايشه جو التنزيل، وكثيرا ما تأتي ،إلى ذهن المفسر على شاكلة إشراقات فكرية أو روحية"[٤]، يقول الإمام الزركشي "وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع يعني (علم المناسبات) لدقته، وممن أكثر

---

(١)البرهان" للزركشي، جـ١ ص٣٥.
(٢)كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص ٩٦) بتصرف.
(٣) كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص ٩٦).
(٤)المدخل إلى علوم القرآن الكريم (ص: ١٤٠)

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

منه الإمام فخر الدين الرازي وقال في تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[١].

وقد اعتبر الإمام البقاعي أن نسبة هذا العلم من علم التفسير، كنسبة علم المعاني والبيان من النحو، ويقول الإمام البقاعي: "وبه يعني بعلم المناسبات يتبين لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فالمعنى ادعي في تلك السورة ، استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة؛ ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض وتغيرت النظام بالتأخير والتقديم و الإيجاز ،والتطويل مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة ،وعلى قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها"[٢].

واختلف العلماء حول المناسبات بين الآيات والسور منهم من أثبت هذه المناسبات ومنهم من أنكر وجودها، القائلون بوجود التناسب بين الآيات والسور، وهم الذين يقولون بثبوت التناسب بين الآيات والسور سواء كان ذلك بالتصريح أو التطبيق العلمي في كتبهم.

أول من دعا إلى علم المناسبات:

ويعد الإمام أبو بكر النيسابوري[٣]، أول من دعا إلى هذا العلم، كما نقل ذلك الإمام الزركشي في البرهان حيث قال: "وقال الشيخ أبو الحسن الشهراباني أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة"[٤]. انتهى.

المعارضون لوجود التناسب بين الآيات والسور، وأدلتهم.

---

(١) البرهان للزركشي البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٦) بدر الدين الزركشي (٧٤٥ - ٧٩٤ هـ) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة.

(٢)علم المناسبات في القرآن الكريم د أحمد ماهر سعيد نصر مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور (ص: ٦٦)

(٣)البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٦) وأبو بكر النيسابوري: ابن المنذر النيسابوري 241)هـ 318 - هـ (هو الحافظ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر بن الجارود النيسابوري، نزيل مكة وممات بها سنة 318 هـ. أشهر شيوخه] الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. والإمام أبو حاتم الرازي. والإمام أبو عيسى الترمذي.

(٤) البرهان للزركشي، البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٦)

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عارض عدد من العلماء البحث عن المناسبات في القرآن الكريم معللين ذلك، بقولهم: إن المناسبة علم متكلف، وأنه لا ينبغي طلب المناسبات بين الآيات القرآنية؛ لكونها نزلت متفرقة على حسب الوقائع والأحداث، وكان من أبرز هؤلاء، العلماء سلطان العلماء العز بن عبد السلام، والإمام الشوكاني رحمة الله عليهما"[1].

ذكر العلماء أمثلة كثيرة في هذا التناسب أنقل لكم شيئا منها:

مناسبة السورة التي تليها بالموضوع:

من أمثلة ذلك: مناسبة سورة الضحى سورة الشرح التي تليها، فكلتاهما تناولتا النعم التي أكرم الله تعالى نبيه ﷺ، فذكرت (سورة الضحى) الرعاية له ﷺ منذ صغره، فيسر له من يكفله في يتمه، فكفله جده ثم عمه أبو طالب، وأنعم عليه كذلك بالغنى بعد الفقر، فيسر له التجارة في مال سيدتنا خديجة رضي الله عنها، ولقد تابعت (سورة الشرح) الحديث عن هذه النعم على النبي ﷺ، بأن شرح الله تعالى له صدره، فكان ﷺ مطمئنَّ النفسِ في جميع أحواله، كذلك أذهب الله تعالى عنه ما يثقله من ذنوب بمغفرته له.

مناسبة بداية السورة وخاتمة السورة التي قبلها:

من أمثلة على ذلك المناسبة بين خاتمة سورة الطور في قوله تعالى: ﴿ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾[الطور: ٤٩]، مع بداية سورة النجم في قوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى﴾ [النجم: ١]، فخاتمة في سورة الطور أمرت بتسبيح الله تعالى عند إدبار النجوم، أي: حين تغيب النجوم عند الصبح، وبدايه سوره النجم بدأت بالقسم بالنجم كذلك.

المناسبة بين بداية السورة ونهايتها:

من أمثلة على ذلك: بداية سورة النحل في بدأت في قوله تعالى: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[سورة النحل نحل آيه ١]، وبين خاتمتها التي جاءت بقوله تعالى: ﴿ثم ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ [سورة النحل الآية ١١٠]، فقد بدأت بالنهي عن استعجال أمر الله تعالى، هو ما يستدعي الصبر الذي ختمت به السورة.

(١)علم المناسبات في القرآن الكريم د أحمد ماهر سعيد نصر .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المنَاسبة في بدايات السور:

من أمثله على ذلك: تناسب بين السور التي تبدأ بـ (حم)، فهذه السور السبع (غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف) فهذه السور السبع متتالية اتفقت في الحديث عن صفات الله تعالى وعن القرآن تناسب في القرآن الكريم يعزز الإيمان مسلم أن الإسلام دين الحق كشف على وجوه جديدة على الإعجاز القرآني.

السَّادَة لِلفِكرِ والثَّقافَة
www.sadah.net

الفصـــل الرابع عاشر

أسباب النزول

علم أسباب النزول أو شأن النزول أو أسباب التنزيل

هو: علم من العلوم الإسلامية المهتمة بمعرفة أسباب نزول آيات القرآن والقضايا والأحداث المتعلقة بالقرآن الكريم ،ومكان نزول الآيات ووقت نزولها.

فوائد علم أسباب النزول:

لمعرفة أسباب النزول فوائد مهمة جدا لطالب القرآن وعلومه فهو من العلوم التي تُعين قارئ القرآن على فهمه فهمًا صحيحًا سليمًا، وذلك أن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبَّب.

يقول الواحدي: «لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها »[١]، ومعرفته أيضا يساعد علي حفظ القرآن وتثبِّتتُ معناه، لأن ربط الأحكام بالحوادث والأشخاص والأزمنة والأمكنة يساعد على استقرار المعلومة وتركيزها. معرفته يساعد على فهم آيات القرآن بشكل صحيح.

ويساعد على معايشة الوقائع والأحداث والتوقف على الحكمة من التشريع، كما يعين أيضًا على استنباط الأحكام الشرعية المنضبطة، وقال القشيري، كما في البرهان: بيان سبب النزول طريق قوي من فهم معاني الكتاب العزيز»[٢]. وقال ابن دقيق العيد، كما في الإتقان: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن»[٣].

قال شيخ الإسلام في مقدمة أصول التفسير: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

قال السيوطي في الإتقان: ومن فوائد معرفة أسباب النزول: دفع توهم الحصر،طرق معرفة أسباب النزول[٤].

ومن الفوائد معرفة الأحكام الخاصة التي لا يجوز تعميمها، كقوله تعالى: ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾[النور: ٢٣]، فإن

---

(١)أسباب النزول، تأليف: الواحدي، ص٦.
(٢)البرهان للزركشي .
(٣) الإتقان للسيوطي .
(٤)ينظر: "الإتقان"، السيوطي (١/ ٢٩).

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

هذه الآية نزلت في عائشة خاصة، أو سائر أزواج النبي -ﷺ- عن ابن عباس في قوله: ﴿إن الذين يرمون المحصنات..﴾ الآية: نزلت في عائشة خاصة.

وعن ابن عباس في هذه الآية أيضا: "هذه في عائشة وأزواج النبي -ﷺ- لأن الله لم يجعل لهم توبة، وجعل الله لمن رمى امرأة من المؤمنات من غير أزواج النبي -ﷺ- التوبة، ثم قرأ: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾[النور ٥]، أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير والطبراني وابن مردويه[١].

وقال ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"، ويوضح سبب النزول من نزلت فيه الآية حتى لا تحمل على غيره بدافع الخصومة والتحامل، كالذي ذكر في قوله تعالى: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾[...] فقد أراد "معاوية" أن يستخلف "يزيد" وكتب إلى "مروان" عامله على المدينة بذلك، فجمع الناس وخطبهم ودعاهم إلى بيعة "يزيد" فأبى عبد الرحمن بن أبي بكر أن يبايع، فأراده "مروان" بسوء لولا أن دخل بيت عائشة، وقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي﴾[الأحقاف] فردت عليه عائشة وبينت له سبب نزولها[٢].

أشهر الكتب في هذا العلم: تنزيل القرآن، تأليف: ابن شهاب الزهري. وأسباب نزول القرآن، تأليف: الواحدي (النيسابوري).

والعجاب في بيان الأسباب، تأليف: ابن حجر العسقلاني، وهو تتميم كتاب الواحدي.

ولباب النقول في أسباب النزول، تأليف: جلال الدين السيوطي.

يقول الدكتور القطان: وقد اعتنى الباحثون في علوم القرآن ولأهميته الكبيرة ألفوا فيها مؤلفات من القرون الأولى ومن أشهرهم: "علي بن المديني" شيخ البخاري، ثم "الواحدي"هو أبو الحسن علي بن أحمد النحوي المفسر، توفي سنة ٤٢٧ هجرية، في كتابه "أسباب النزول"، ثم "الجعبري"برهان الدين إبراهيم بن عمر، كان له عناية بعلوم القرآن، فألف "روضة الطرائف في رسم المصاحف" و"كنز المعاني" وهو شرح للشاطبية في القراءات، توفي سنة ٧٣٢ هجرية. الذي

(١) راجع تفسير ابن جرير وتفسير ابن كثير. تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٩/ ١٠٢)
(٢) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان - المجلد ١ - الصفحة ٨١ - جامع الكتب الإسلامية.

السَّادَة لِلفِكْرِ وَالثَّقَافَة
www.sadah.net

اختصر كتاب "الواحدي" بحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئا، ثم شيخ الإسلام "ابن حجر" توفي سنة ٨٥٢ هجرية، الذي ألف كتابا في أسباب النزول "السيوطي، الذي قال عن نفسه: "وقد ألفت فيه كتابا حافلا موجزا محررا لم يؤلف مثله في هذا النوع، سميته "لباب المنقول في أسباب النزول" هو جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هجرية[١].

طرق معرفة أسباب النزول.

معرفة أسباب النزول يكون بالنقل الصحيح المنضبط، والرواية، والسماع ممن شاهدوا التنزيل وحضروه، وهم الصحابة الكرام، ولا يوجد طريق آخر، قال الواحدي في أسباب النزول: لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية، والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها.

قال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آية من القرآن، فقال: اتق الله، وقل سدادًا، ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن[٢].

وقال السيوطي في الإتقان. إن قول التابعي إذا كان صريحا في سبب النزول فإنه يقبل، ويكون مرسلا، إذا صح المسند إليه وكان من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير[٣].

وجاء في كتاب في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، أن: النقل الصحيح وحده هو السبيل إلى معرفة سبب النزول. ويراد بالنقل الصحيح هنا النقل عن صحابي. فقول الصحابي المتعلق بأمر لا مجال للاجتهاد فيه يكون له حكم الحديث المرفوع إلى النبي. ذلك لأن سبب النزول لا يحتاج في ذكره إلى اجتهاد. وإنما اعتماده على النقل. وليس من المعقول أن يقوم صحابي بتزييف أسباب للنزول يقحمها على القرآن الكريم، فمن هنا يقبل في معرفة أسباب النزول ما يروى عن صحابي إذا صح سنده.

أما ما روى من أسباب النزول بسند ينتهي إلى تابعي فحكمه أنه لا يقبل إلا إذا أيدته رواية أخرى بسند عن تابعي آخر، وبشرط أن يكون الراوي لسبب النزول من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة أخذا مباشرا كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير[٤].

---

(١)مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، مجلد ١، صفحة ٧٦، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
(٢)أسباب النزول ت الحميدان (ص: ٩)
(٣) الإتقان للسيوطي، دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ١٥٣)
(٤)كتاب في علوم القرآن دراسات ومحاضرات مجموعة من المؤلفين، (ص٧٠).

أمثلة توضح أهمية العلم بأسباب النزول:

جاءت الروايات الكثيرة والكثيرة، مما يستفاد منها أهمية معرفة أسباب النزول، منها:

١) عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معد يكرب أنهما كانا يقولان: الخمر مباحة، وكانا يحتجان بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا﴾[المائدة: ٩٣]، وهذا فهم خطأ واجتهاد غير معتبر؛ لأنه مخالف لقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ..﴾ الآيات، روى الترمذي عن البراء بن عازب قال: «مات ناس من أصحاب النبي ﷺ وهم يشربون الخمر، فلما نزل تحريمها قال ناس من أصحاب الرسول ﷺ فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال: فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ..﴾ الآية وعن ابن عباس قال: قالوا يا رسول الله، أرأيت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر «لما نزل تحريم الخمر» فنزلت ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ الآية»[(١)]،

وروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة أنه «بعد أن نزل قوله تبارك وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ..﴾ الآيات، قال الناس: يا رسول الله، ناس قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فرشهم، كانوا يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر وقد جعله الله رجسا ومن عمل الشيطان؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا﴾ الآية»[(٢)].

قال القرطبي: وهذه الآية وتلك الأحاديث نظير سؤالهم عمن مات إلى القبلة الأولى فنزلت ﴿وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ﴾ [.البقرة][(٣)]، فمعرفة أسباب النزول رفعت هذا الإشكال، وبينت خطأ الصحابة الكرام، وعدم توفيقهم في هذه المسألة.

٢) قال تعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله، إن الله واسع عليم﴾[البقرة: ١١٥]، هذه الآية الكريمة يفهم منها أن للمسلم له أن يصلي إلى أيّ جهةٍ كانت فله الحرية، وبمعرفة أسباب النزول يتضح أنها نزلت في نافلة السفر خاصة، أو فيمن تحرى القبلة وصلى، ثم تبين خطأه، فحكم هذه الآية يقتصر على من يكون مسافرًا ويؤدي نافلة الصلاة، أو المجتهد في تحري القبلة، إذا تبين له خطأه بعد أداء الصلاة، وعن ابن عمر، قال: «كان النبي ﷺ يصلي على

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه أحمد.
(٣) الجمع لأحكام القرآن للقرطبي، ، وينظر: تفسير الوسيط: تفسير الآية ٩٣ سورة المائدة .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

راحلته تطوعا حيثما توجهت به وهو جاء من مكة إلى المدينة» ثم قرأ ابن عمر، هذه الآية: ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ [البقرة: ١١٥] الآية، فقال ابن عمر: «ففي هذا أنزلت هذه الآية»[١].

٣) قال تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾[البقرة: ١٥٨]، ذهب عروة بن الزبير إلى أن الآية لا تفيد الوجوب في السعي بين الصفا والمروة من أجل كلمة لا جناح، وقد سأل خالته السيدة عائشة أم المؤمنين، فأخبرته أن نفي الجناح هنا ليس نفيا للفرضية، إنما هو نفي لما وقر في أذهان المسلمين- في أول الأمر من أن السعي بين الصفا والمروة كان من عمل الجاهلية، فلقد كان على الصفا صنم يقال له إساف وكان على المروة صنم يقال له نائلة. وكان المشركون في الجاهلية يسعون بين الصفا والمروة، ويتمسحون بالصنمين. ولقد حطم الصنمان بعد أن فتحت مكة ، تحرجوا في الطواف بينهما، فنزلت الآية.

عن عروة سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: «أرأيت قول الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾[البقرة: ١٥٨]، فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن أختي! إن هذه لو كانت كما أولتها عليه، كانت: "لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما"، ولكنها أنزلت في الأنصار؛ كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهل يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾[البقرة: ١٥٨] »[٢].

قالت عائشة رضي الله عنها: «وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما، ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال: إن هذا لعلم ما كنت سمعته، ولقد سمعت رجالا من أهل العلم يذكرون: أن الناس -إلا من ذكرت عائشة- ممن كان يهل بمناة، كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت، ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن، قالوا: يا رسول الله، كنا نطوف بالصفا والمروة وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾[البقرة: ١٥٨] الآية. قال أبو بكر: فأسمع هذه

---

(١) سنن الترمذي أبواب تفسير القرآن باب: ومن سورة البقرة (حديث رقم: ٢٩٥٨) «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) **صحيح البخاري** . مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١١١)

الآية نزلت في الفريقين كليهما؛ في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا بالجاهلية بالصفا والمروة، والذين يطوفون ثم تحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام؛ من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت، ولم يذكر الصفا حتى ذكر ذلك بعد ما ذكر الطواف بالبيت»[1]،

٤ . قال تعالى: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب، ولهم عذاب أليم﴾[آل عمران: ١٨٨]، ولقد أشكل على مروان بن الحكم معنى الآية الكريمة، فقال: «لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون»، فبين له ابن عباس أن هذه الآية ذات حكم خاص لأنها نزلت في أهل الكتاب حين سأل النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك اليه»[2]، فلفظ الآية هنا عام لكن ابن عباس قصرها على ما أنزلت فيه من قصة أهل الكتاب[3].

تعدد الروايات في سبب نزول واحد:

من الممكن أن نجد روايات متعددة في سبب واحد ،كيف يرجح بينها ؟ لا بد أن تكون إحدى الروايتين أقوى سندا، فبهذا تتقدم عن الرواية الأخرى.

وممكن أن نجد أن الروايات كلها صحيحة، فيحمل الأمر هنا على تكرار نزول الآية، فربما يتكرر نزول الآية تعظيما لشأنها.

يقول الزركشي: «وقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه، وتذكيرا به عند حدوث سببه، خوف نسيانه. وهذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين: مرة بمكة وأخرى بالمدينة .. وكذلك ما ورد في: ﴿قل هو الله أحد﴾ أنها جواب للمشركين بمكة، وأنها جواب لأهل الكتاب بالمدينة

وأسباب النزول غالبا يكون بسبب وقائع خاصة كبيان حكم أو رفع إشكال. ممكن أن تحدث حادثة فيتنزل القرآن الكريم بشأنها.

كما روي عن ابن عباس قال: « ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[الشعراء: ٢١٤]، خرج النبي -ﷺ- حتى صعد الصفا، فهتف: "يا صاحباه"، فاجتمعوا إليه، فقال: "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ " قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب تبا لك، إنما جمعتنا لهذا؟ ثم قام، فنزلت هذه السورة: ﴿تبت يدا أبي لهب

---

(١)صحيح البخاري .
(٢) (أخرجه الشيخان).
(٣)(انظر: الزركشي: البرهان: ج ١، ص ٢٧.)

وتب﴾»[1]، فسبب النزول هنا الفعل الذي فعله أبو لهب لعنه الله ،مع رسول الله ﷺ .

وممكن أن يكون السبب أن يسأل رسول الله -ﷺ- عن شيء ما، كحكم فقهي مثلا لم يكن موجودًا، فيتنزل القرآن ببيان الحكم فيه، كما حدث مع السيدة خولة بنت ثعلبة عندما ظَاهَرَ منها زوجُها أوس بن الصامت، فذهبت تشتكي من ذلك: «تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه وهي تشتكي زوجَها إلى رسول الله -ﷺ- وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني! اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾[المجادلة: ١]، وهو أوس بن الصامت»[2]،

ولا يعني هذا أن لكل آية سببا، فإن القرآن لم يكن نزوله خاصا بالأحداث والوقائع، أو ردا على سؤال واستفسار، بل كان القرآن يتنزل ابتداء، بالتوحيد والقيم والسلوك والأمر والنهي قال "الجعبري": "نزل القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداء، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال" إذن فالقران ينقسم إلي قسمين: القسم الأول: نزل ابتداء. والقسم الثاني: نزل عقب واقعة، أو سؤال.

قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

قاعدة: (العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب) أحد مباحث أصول الفقه، قد نجد في الأحكام الشرعية حكمًا عامًّا يمكن أن يتناول جميع المكلفين، ففي هذا الحال تنطبق عليه هذه القاعدة.

قال الشيخ عبدالوهاب خلاف: (إذا ورد النص الشرعي بصيغة عامة، وجب العمل بعمومه الذي دلت عليه صيغته، ولا اعتبار لخصوص السبب الذي ورد الحكم بناءً عليه، سواءٌ كان السبب سؤالاً أم واقعة حدثت؛ لأن الواجب على الناس اتباعُه، هو ما ورد به نص الشارع، وقد ورد نص الشارع بصيغة العموم، فيجب العمل بعمومه، ولا يعتبر خصوصيات السؤال أو الواقعة التي ورد النص بناءً عليها؛ لأن عدول الشارع في نص جوابه أو فتواه عن الخصوصيات إلى التعبير بصيغة العموم، قرينةٌ على عدم اعتباره تلك الخصوصيات)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٢) رواه ابن ماجه في سننه، وصححه الألباني .
(٣) علم أصول الفقه لعبدالوهاب خلاف (ص ١٨٩).

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وقالوا أيضًا: إذا اتفق ما نزل مع السبب في العموم، أو اتفق معه في الخصوص، حمل العام على عمومه، و الخاص على خصوصه.

ومثال قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[البقرة: ٢٢] عن أنس قال: «إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيوت، فسئل رسول الله -ﷺ- عن ذلك، فأنزل الله: ﴿ويسألونك عن المحيض﴾.. الآية، فقال رسول الله ﷺ: «جامعوهن في البيوت، واصنعوا كل شيء إلا النكاح» [(١)]، فالعبرة بعموم اللفظ، فالحكم يكون لجميع المكلفين وليس خاص بحادثة معينة.

ومثال الثاني قوله: ﴿وسيجنبها الأتقى * الذي يؤتي ماله يتزكى * وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى * ولسوف يرضى﴾ فإنها نزلت في أبي بكر.

قال الواحدي: الأتقى أبو بكر الصديق في قول جميع المفسرين[(٢)].

عن عروة أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب في الله: بلال، وعامر بن فهيرة، والنهدية وابنتها، وأم عيسى، وأمة بني الموئل، وفيه نزلت ﴿وسيجنبها الأتقى..﴾ إلى آخر السورة[(٣)]، فاللفظ عام، والسبب خاص، فكل من فعل بفعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه نال مثل أجره.

مثال آخر قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢]؛ سبب نزولها: ظِهار أوس بن الصامت من زوجته، وقد كان في الجاهلية إذا غضب رجل من زوجته وأراد أن يطلقها قال لها: (أنتِ عليَّ كظهر أمي)، وهذا ما يعرف بالظِّهار، فغضب ذات يوم منها زوجها أوس بن الصامت، فظاهَرها، وكانت أول حادثة ظهار في الإسلام[(٤)].

والبيهقي عن عائشة قالت: «تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله -ﷺ- وهي تقول : يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل

---

(١)أخرجه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي.
(٢)دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: ٤٣٢) **وهو أستاذ مشارك ورئيس قسم الدراسات القرآنية كلية المعلمين الرياض**
(٣)أخرج ابن أبي حاتم (ابن كثير ج٤ ص٥٢١).
(٤)وأخرج ابن ماجه، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه، وابن مردويه ، [ص: ٢٩٩] .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

جبريل بهؤلاء الآيات: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ وهو أوس بن الصامت»[١]، فآيات الظهار نزلت للعموم ،وليست لهذه الحادثة فقط. فالعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب).

قال العلماء الحكم الذي يؤخذ من اللفظ العام يتعدى صورة السبب الخاص إلى نظائرها كآيات اللعان التي نزلت في قذف هلال بن أمية زوجته: "فعن ابن عباس: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي -ﷺ- بشريك بن سحماء. فقال النبي، ﷺ: «البينة وإلا حد في ظهرك» فقال: يا رسول الله.. إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل رسول الله -ﷺ- يقول: «البينة وإلا حد في ظهرك»، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، ونزل جبريل فأنزل عليه: ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾.. حتى بلغ: ﴿إن كان من الصادقين﴾»[٢].[٣].

أعلم الأمة بأسباب النزول:

الصحابة الكرام هم أعلم الأمة بأسباب النزول، وعلي رأس هؤلاء ،الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ..

الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «مَن سرَّهُ أن يَقرأَ القرآنَ غضًّا كما أُنْزِلَ، فليَقرأهُ علَى قراءةِ ابنِ أمِّ عبدٍ»[٤]، عن: أبي بكر الصديق وعمران بن الحصين: إسناده صحيح

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «أخذت من فيّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سبعين سورة»[٥]، وعن مسروق، قال: قال عبد الله بن مسعود «والذي لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته»[٦]، وعن مسروق أيضًا أنه قال: «شاممتُ أصحاب رسول الله ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة نفر منهم: عمر وعلي وعبد الله وأبيّ بن كعب وأبو الدرداء وزيد ابن ثابت، ثم شاممتُ هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين: علي وعبد الله بن مسعود»[٧].

---

(١) رواه البيهقي و سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٣/ ٢١٤)
(٢)راجع كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان - العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
(٣)صحيح البخاري.
(٤)المصاحف لابن أبي داود (ص: ٧٤)
(٥)التفسير والمفسرون (١/ ٦٥)
(٦) رواه مسلم .
(٧)المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص: ١٦٠)

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وقال علقمة: «جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بعرفة فقال: جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة وتركت بها رجلًا يملي المصاحف عن ظهر قلبه، فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتَي الرحل، فقال: من هو ويحك فقال الرجل: عبد الله بن مسعود»[1].

وفي سير الذهبي عن أبي الأحوص أنه قال: « أتيت أبا موسى الأشعري وعنده ابن مسعود وأبو مسعود الأنصاري وهم ينظرون إلى مصحف، ثم خرج ابن مسعود فقال أبو مسعود: والله ما أعلم النبي ﷺ ترك أحدًا أعلم بكتاب الله من هذا القائم، يعني بذلك عبد الله بن مسعود»[2].

تفضيل بعض السور على بعض. وبعض الآيات على بعض:

هل يجوز أن يقال في القرآن شيء أفضل من شيء؟ مع أنَّ سوره وآياته كلها ذات فضل؟ سؤال من الممكن أن يطرح نفسه هل يجوز المفاضلة بين الآيات والسور؟ فنقول: سورة كذا أفضل من سورة كذا، وآية كذا أفضل من آية كذا؟ اختلف أهل العلم في جواز ذلك.

فمنهم من قال بالمنع. وهم طائفه من المتكلمين وطائفة من كبار المحدثين منهم أبو الحسن الأشعري، وأبو بكر الباقلاني إلى أنه لا فضل لبعض القرآن على بعض.

ورُوِيَ معناه عن الإمام مالك، فقد قال يحيى بن يحيى صاحب مالك: تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ، ولذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تردد سورة دون غيرها. اهـ

وهو قول ابن جرير الطبري رضى الله عنه، قال: غير جائز أن يكون من القرآن شيء خير من شيء، لأنَّ جميعه كلام الله، ولا يجوز في صفات الله تعالى ذكره أن يقال بعضها أفضل من بعض، وبعضها خير من بعض[3].

وبه قال أبو حاتم بن حبان، فقد ذكر في شرح حديث النبي ﷺ: «ألا أخبرك بأفضل القرآن»[1]، قال: أراد به بأفضل القرآن لك، لا أنَّ بعض القرآن يكون أفضل من بعض، لأنَّ كلام الله يستحيل أن يكون فيه تفاوت التفاضل. اهـ

---

(١)مسند أحمد ط الرسالة (١/ ٣٠٩)

(٢) للذهبي سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١/ ٤٧١)

أخرجه مسلم (٢٤٦١) (١١٣) في فضائل الصحابة: باب من فضائل عبد الله بن مسعود، والفسوي ٢ / ٥٤٤ في " المعرفة والتاريخ ".

(٣)تفسير الطبري (١/ ٤٨١).

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وقال به عامة المفسرين، كالبغوي والثعلبي والجلال السيوطي وغيرهم.

استدل القائلون بالمنع بأمور: منها:

أنَّ الجميع كلام الله عز وجل، وكلامه صفة له، والصفة لا تتفاضل، ولا سيما مع القول بأنه قديم لا يتفاضل، وذلك ظاهر في القول ابن جرير وابن حبان. ومنها: أنَّ القرآن كله واحد مُنزل من عند الله، فكيف يتفاضل بعضه على بعض وأصله واحد، ولذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦] أن خير تعود إلى غير الآية، مثل نفع العباد وثوابهم. ومنها: ألاَّ يوهم التفضيل نقص المُفَضَّل عليه، وبهذا علَّل العلماء نهي النبي ﷺ عن تفضيل بعض الأنبياء على بعض، لأنَّ الغالب أنَّ المُفَضَّل عليه يكون في رتبة دون الأفضل.

وتأولوا الأحاديث الواردة في تفضيل بعض السور على بعض بصيغة أفعل التفضيل كقوله: ((أعظم سورة)) على الأجر، أي أنَّ أجر قراءتها أعظم من أجر قراءة غيرها، لا أنها هي في ذاتها أفضل مما سواها.

قال ابن حبان في صحيحه بعد أن روى حديث أبي سعيد بن المُعَلَّى وفيه: «ألا أعلمك سورة هي أعظم سورة في القرآن»، قوله ﷺ «هي أعظم سورة» أراد به في الأجر، لا أنَّ بعض القرآن أفضل من بعض.

ومن العلماء من قال بالجواز: طائفة من الفقهاء والمحدثين فقالوا بجواز ذلك، لظواهر الأحاديث الواردة في ذلك، منهم إسحاق بن راهويه والحُليمي والبيهقي وابن الحصَّار والغزالي وابن العربي والقرطبي والعِز بن عبدالسلام وأمم سواهم.

وقيل: إنَّه قول الأكثر من السلف والخلف، احتجوا بظواهر الأحاديث الواردة في تفضيل بعض الآيات والسور. قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام رحمه الله: «كلام الله في الله أفضل من كلامه في غيره، فـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١] أفضل من ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]. »[٢]

وقال الغزالي في جواهر القرآن: لعلَّكَ تقول: قد توجه قصدك في هذه التنبيهات إلى تفضيل بعض القرآن على بعض، والكلام قول الله تعالى، فكيف يفارق بعضه بعضًا، وكيف يكون بعضه أشرف من بعض؟ فاعلم أنَّ نور البصيرة

---

(١) فضائل القرآن للنسائي (ص: ٨٨) والنَّسائي، أبو عبد الرحمن (٢١٥-٣٠٣ هـ).أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي الكبير، القاضي الإمام شيخ الإسلام، أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقنين، والأعلام المشهورين.

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٣٧)

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات، وبين سورة الإخلاص وسورة تبت، وترتاع عن اعتقاد الفرق نفسك الخوَّارة المستغرقة بالتقليد، فقلد صاحب الرسالة ﷺ فهو الذي أنزل عليه القرآن، وقد دلت الأخبار على شرف بعض الآيات، وعلى تضعيف الأجر في بعض السور المنزلة، فقد قال: يس قلب القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، والأخبار الواردة في فضائل قوارع القرآن بتخصيص بعض السور والآيات بالفضل، وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى[1]. اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إنما غلط من قال بالأول لأنه نظر إلى إحدى جهتي الكلام، وهي جهة المتكلِّم به، وأعرض عن الجهة الأخرى، وهي جهة المتكلّم فيه، وكلاهما للكلام به تعلق يحصل به التفاضل والتماثل. اهـ [2].

والقول بالجواز والله أعلم هو الأقرب للصواب، فالتفضيل ليس من ناحية البلاغة ولا الإبداع ولا شيء من هذا القبيل؛ لأن القرآن كله بليغ، والقرآن كله بديع، وكله من عند الله تعالى، متحديا به العرب، ولا شك في هذا.

ومن ذهب إلى التفضيل قصد نوع الكلام والجهة المخاطبة، فالحديث عن فرعونَ يختلف عن الحديث عن الله وصفاته وعظمته وقدرته ، وهذا ما نجده في أحاديث التفضيل، فلماذا جاء تفضيل اية الكرسي عن غيرها ؟ لأنها تتكلم عن الله وقدرته وصفاته وعظمته، وأيضًا لماذا جاء التفضيل لسورة الإخلاص؟ لأنها أيضًا تكلمت عن صفات الله تعالى ووحدانيته، وكذلك الفاتحة، وبقية السورة لأنها تناولت صفات الله وأسمائه وعظمته، ولا يجوز أبدًا أن يقال ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١] أبلغ من ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد:١]، لأن القرآن كله في منتهى الفصحة والبلاغة.

الأدلة على جواز التفضيل:

١- قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[البقرة: ١٠٦]، وقوله تعالى ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾[الأعراف: ١٤٥]، وقوله تعالى ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨] .

ومن السنة قول النبي لـ أبي بن كعب: «مرَّ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ علَى أُبَيِّ بنَ كَعبٍ، فقال :أتُحِبُّ أن أُعَلِّمَك سورَةً لَم ينزَل في التَّوراةِ ، ولا في

(١) جواهر القرآن للإمام الغزالي موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد (٥/ ٣٧٢)
(٢)راجع مسألة تفاضل القرآن بعضه على بعض د. أحمد بن فارس السلوم.

الإنجيلِ ، ولا في الزَّبورِ ، ولا في الفُرقانِ مِثلُها ؟ قلتُ: نَعَم ، يا رسولَ اللَّهِ ، قال : فَكيفَ تَقرَأُ في الصَّلاةِ ؟ فقَرَأتُ عليهِ أُمَّ الكتابِ ، فقال رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ : والَّذِي نَفسِي بيَدِه، ما أُنزلَت سورةٌ في التَّوراةِ ولا في الإنجيلِ ولا في الزَّبورِ ، ولا في الفُرقانِ مِثلُها ،وإنَّها لَهي السَّبعُ المَثاني والقُرآنُ العَظيمُ»[1]،

حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: « كان النبي ﷺ في ميسر له فنزل ونزل رجلٌ إلى جانبه، فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: {ألا أخبرك بأفضل القرآن؟} قال: فتلا عليه ﴿الحمد لله رب العالمين﴾»[2].

٢ - حديث أبي سعيد بن المعلّى - رضي الله عنه - قال: « كنتُ أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبْه، فقلتُ: يا رسول الله! إني كنت أصلي فقال: {ألم يقل الله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾[الأنفال: ٢٤] ثُمَّ قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد»، ثُمَّ أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلتُ له: ألم تقل: «لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟» قال: «﴿الحمد لله رب العالمين﴾، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» [3].

٣ - عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: « يا أبا المنذر، أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلتُ: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر: أتدري: أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟»، قال: قلتُ: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ ا؟ لْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: فضرب في صدري، وقال: «والله، لِيَهْنِكَ العلمُ أبا المنذر»[4].

٤ - وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - «أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} يرددها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ، فذكر ذلك له - وكأنّ الرجل يتقالُّها فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»[5].

وقد فصّل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - الكلام في هذه المسألة في رسالة له بعنوان: (جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن)

---

(١)عن : أبي هريرة أخرجه الترمذي والنسائي في السنن الكبرى، وأحمد
(٢)النسائي في ((السنن الكبرى).
(٣) (صحيح البخاري) .
(٤)صحيح مسلم.
(٥)صحيح البخاري .

وذكر أقوال العلماء في ذلك وأدلة كل قول مع المناقشة والترجيح، والتوجيه والتعليل بما يغني الناظر فيه عن الرجوع إلى غيره[1].

(١)فتاوى مجموع ابن تيمية ، (١٧/ ١٣١).

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصـل الخامس عشر

الناسخ والمنسوخ:

الله سبحانه وتعالى هو الخالق وهو المشرع صاحب الامر والنهي، صاحب المحو والإثبات، يفعل ما شاء متى شاء وكيفما شاء، وسع علمه كل شيء سبحانه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء: ٢٥] ، ينسخ حكما ويحمو أمرا فالدين دينه والشريعة شريعته والعباد عباده.

ولا شك أن الله سبحانه وتعالى يسع كل شيء رحمة وعلمًا، ولله الأمر والنهي ، فلا غرابة في أن يرفع تشريع بآخر مراعاة لمصلحة العباد ..وجمهور العلماء: على جواز النسخ عقلًا وشرعًا للأدلة الثابتة فيه.

تعريف النسخ:

النسخ لغة: يُطلق بمعنى الإزالة، ومنه يقال: نسخت الشمس الظل: أي أزالته، ونسخت الريح آثار المشي - ويطلق بمعنى نقل الشيء من موضع إلى موضع، ومنه نسخت الكتاب: إذا نقلت ما فيه، وفي القرآن: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الجاثية ٢٩]، والمراد به نقل الأعمال إلى الصحف.

والنسخ في الاصطلاح: «رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه»، أي: أن النسخ لا يقع إلا في الأحكام الشرعية ولا نسخ إلا بحكم شرعي»[١].

وقيل تعريفه هو: رفع حكم شرعي سابق بحكم شرعي لاحق بدليل شرعي من الكتاب أو السنة لفظًا أو حكمًا[٢].

الإسلام ينسخ ما قبله من الشرائع:

شريعة الإسلام آخر الشرائع، فلا شريعة بعدها، فنسخ الله بها الشرائع الماضية، قال الإمام الزركشي: "شريعة نبينا محمد ﷺ ناسخة لجميع الشرائع بالإجماع" وقال الإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى: "وقد أجمعت الأمةُ على أن شريعة محمد ﷺ قد نسَخت ما خالفها من شرائع الأنبياء"[٣].

(١) كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص ٢٣٧) .
(٢) كتاب تيسير أصول الفقه للمبتدئين، (ص٦).
(٣) روضة الناظر وجنة المناظر، (١/ ٧٣) .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أهمية الناسخ والمنسوخ:

لمعرفة الناسخ والمنسوخ أهمية كبيرة عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين والمفسرين والسبب هو حتى لا تختلط الأحكام، ولذلك وردت آثار كثيرة في الحث على معرفته، فقد رُوِي أن عليًّا -رضي الله عنه- مرَّ على قاض فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، فقال: هلكت وأهلكت.

وعن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، قال: « ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره، وحرامه وحلاله»[1]. قال الإمام الزركشي في بداية حديثه عن علم النَّسخ: "والعلم به عظيم الشأن.

وقال الإمام السيوطي: "قال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسِّر كتابَ الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ"[2].

يقول الزرقاني: أن معرفة الناسخ والمنسوخ ركن عظيم في فهم الإسلام، وفي الاهتداء إلى صحيح الأحكام، خصوصًا إذا ما وجدت أدلة متعارضة لا يندفع التناقض بينها إلا بمعرفة سابقها من لاحقها، وناسخها من منسوخها؛ ولهذا كان سلفُنا الصالح يعنَوْن بهذه الناحية، يحذقونها، يلفتون أنظار الناس إليها، ويحملونهم عليها"[3].

الحكمة من النسخ

١- مراعاة مصالح العباد.

٢- تطور التشريع إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس.

٣- ابتلاء المسلم واختباره بالامتثال وعدمه.

٤- إرادة الخير للأمة والتيسير عليها؛ لأن النسخ إن كان إلى أشقَّ ففيه زيادة الثواب، وإن كان إلى أخف ففيه سهولة ويُسر.

شروط النسخ التي ذكر العلماء وهي كثيرة منها:

١- أن يكون الحكم المنسوخ حكما شرعيًّا. فالنسخ لا يكون إلا في الأحكام الشرعية الأوامر والنواهي فقط.

---

(١)أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٢)الإتقان، (٥٥/٢).
(٣)مناهل العرفان : (١٧٤/٢).

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢- أن يكون الدليل على رفع الحكم خطاب شرعي جاء بعد الحكم الذي سبقه

٣- وألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيدًا بوقت معين. وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته ولا يُعَد هذا نسخًا.

٤- أن يكون الناسخ أقوى من المنسوخ أو مثلَه، فإن كان أضعف منه لم ينسَخْه؛ لأن الضعيف لا يزيل القويَّ، وهذا الشرط محل خلاف عند العلماء.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: "واشترط الجمهور أن يكون أقوى من المنسوخ، أو مماثلاً له، فلا يُنسَخ المتواتر عندهم بالآحاد، وإن كان ثابتًا، والأرجح أنه لا يشترط أن يكون الناسخ أقوى أو مماثلاً؛ لأن محل النَّسخ الحُكم، ولا يشترط في ثبوته التواتر"[١]..

ما يقع فيه النسخ:

أو (مجال النسخ) النسخ لا يكون إلا في الأحكام الشرعية الأوامر والنواهي، فطبيعة الحال لا يكون النسخ في الأمور الثابتة والاصلية، والعقائد، كصفات الله تعالى وأسمائه، فالله سبحانه واحد كان وما زال وسيظل واحدا لا شريك له ولا ولد، وهو سبحانه سميع بصير عالم، كان وسيظل كذلك سبحانه، وكذلك النسخ لا يكون في الغيبات والأخبار التي أخبر عنها سبحانه، كيوم القيامة والحشر والحساب، وكذلك الأحداث التاريخية، وذكر الأنبياء والرسل والملائكة، وكل ما أخبر عنه سبحانه وأنبيائه ،وكذلك الآداب الخُلُقية، والقصص الثابتة كقصة البقرة وأهل الكهف.

ويرى أهل العلم أن مجال النسخ في الإسلام بصفة عامة وفي القرآن بصفة خاصة محصور في الأوامر والنواهي الشرعية فقط، أما الاعتقادات والأخلاق، وأصول العبادات، وما أخبر الله سبحانه وتعالى به من وقائع، أو ما بيّنه من علوم ومعارف، والقصص التي ليس فيها الأمر والنهي، فتلك مجالات لا يدخلها النسخ بأي حال من الأحوال. ويعتقد أهل العلم أن الخبرَ لا يدخله النسخ لاستحالة الكذب على الله سبحانه وتعالى. ومنهم من يرى بجواز النسخ في الخبر إذا تضمن هذا الأخيرُ حكمًا شرعيًا مثل قوله تعالى: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تَتَّخِذُونَ منه سَكَرًا﴾. فمجال النسخ إذن يتعلق بتغير الأحكام من آية إلى أخرى، أي عندما يتحول الحلال إلى حرام، والحرام إلى حلال، والمباح إلى محظور، والمحظور إلى

(١)[الأصول من علم الأصول: ٥٤]، راجع مجلة البحوث الإسلامية إشراف الدكتور /محمد بن سعد الشويعر.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

مباح. ولا يكون ذلك إلاّ في الأوامر والنواهي، أمّا الأخبار والقصص فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ[١].

يقول الشوكاني: يكون النسخ مما يجوز نسخه، فلا يدخل النَّسخ أصل التوحيد؛ لأن الله سبحانه بأسمائه وصفاته لم يزَلْ ولا يزال، ومثل ذلك ما عُلم بالنص أنه يتأبد ولا يتأقَّت"[٢].

عدد الآيات التي وقع فيها النسخ :

كثر كلام العلماء في عدد الآيات التي وقع فيها النسخ فمنهم بالغ وقالوا: إنها بلغت الآيات المنسوخة إلى خمسمائة آية، ومنهم من قال غير محصورة بعدد[٣]، ولا شك أن هذا العدد مبالغ فيه جدا، وجاء في كتاب الزيادة والإحسان لمحمد عقيلة أن الآيات المنسوخة على الترتيب مئة وثلاثة مواضع في ثلاثين سورة، وجميع المواضيع المنسوخة مئتان وتسعة وأربعون موضعًا، وهذا أيضًا مبالغ فيه، وقد ذكر السيوطي في الإتقان إحدى وعشرين آية اعتبرها من قبيل النسخ[٤].

يقول الشيخ عبدالرحمن الشهري: ذهب الدكتور عبدالله بن محمد الأمين الشنقيطي في كتابه الآيات المنسوخة في القرآن الكريم عنوانه (الآيات المنسوخة في القرآن الكريم) وطبعته مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة ذكر فيه أن ما ثبت عنده نسخه من الآيات تسع آيات فقط ، دخلها نسخ في سبعة موضوعات، ولم يجد آية اتفق العلماء على نسخها غير آية تقديم الصدقة لأجل النجوى بين يدي النبي، وأما غيرها من الآيات ففيها خلاف.وبهذا يتبين أن الآيات المنسوخة في القرآن الكريم - أخي الكريم- قليلة جدًّا في القرآن الكريم. وليست كما يصورها بعض من كتب في النسخ في القرآن أنها بالمئات.

والسبب في الخلاف في النسخ والآيات المنسوخة عدم الاتفاق على مدلول النسخ بين المؤلفين في الناسخ والمنسوخ ، وقد اشار إلى ذلك جملة من المؤلفين في الناسخ والمنسوخ ، ومن أبرز من أشار إلى ذلك الإمام الشاطبي في الموافقات.

وقد تعددت دعاوى النسخ في الكتب التي تعرضت لمسائل النسخ ، وقد رتبها الدكتور عبدالله الشنقيطي وفقه الله على النحو التالي مبتدأً بأكثرها: ١. الدكتور مصطفى زيد ، عدد الآيات المدعى عليها النسخ (٢٩٣) آية. ٢. ابن

---

(١)راجع كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، (ص٢٤٩) .
(٢)[إرشاد الفحول: ٥٥/٢].
(٣) كتاب الفوز الكبير في أصول التفسير. (ص ٨٤) .
(٤)الإتقان في علوم القرآن، (ص ٧٢).

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الجوزي ، عدد الآيات المدعى عليها النسخ (٢٤٧) آية. ٣. السكري ، عدد الآيات المدعى عليها النسخ (٢١٨) آية. ٤. ابن حزم ، عدد الآيات المدعى عليها النسخ (٢١٤) آية. ٥. ابن سلامة ، عدد الآيات المدعى عليها النسخ (٢١٣) آية. ٦. الأجهوري ، عدد الآيات المدعى عليها النسخ (٢١٣) آية. ٧. ابن بركات ، عدد الآيات المدعى عليها النسخ (٢١٠) آية. ٨. مكي بن أبي طالب ، عدد الآيات المدعى عليها النسخ (٢٠٠) آية. ٩. النحاس ، عدد الآيات المدعى عليها النسخ (١٣٤) آية. ١٠. عبدالقاهر ، عدد الآيات المدعى عليها النسخ (٦٦) آية. ١١. محمد عبدالعظيم الزرقاني / عدد الآيات المدعى عليها النسخ (٢٢) آية. ١٢. السيوطي ، عدد الآيات المدعى عليها النسخ (٢٠) آية. ١٣. الدهلوي ، عدد الآيات المدعى عليها النسخ (٥) آية[١].

ولعل أقرب الأقوال للصواب والله أعلم . قول محمد عبدالعظيم الزرقاني (عدد الآيات التي وقع فيها النسخ (٢٢) آية.

أو قول السيوطي، (عدد الآيات التي وقع عليها النسخ (٢٠)

كيفية معرفة الناسخ والمنسوخ:

لمعرفة الناسخ والمنسوخ طرق:

١- النقل الصريح عن النبي ﷺ أو عن صحابي نقلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كحديث: قوله ﷺ: « كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها؛ فإنها تذكِّر الآخرة»[٢]، وقول أنس في قصة أصحاب بئر معونة: «ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رُفِع»[٣]، هم بعث من أصحاب رسول الله بعثهم إلى أهل نجد، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، فغدر بهم قبائل من بني سليم من عصية ورعل وذكوان - وأحاطوا بهم وقاتلوهم حتى قُتِلوا عن آخرهم.

قال الحافظ ابن حجر: "ومنها - أي من طرق معرفة النَّسخ- ما يجزم الصحابيُّ بأنه متأخر؛ كقول جابر رضي الله عنه: « كان آخرَ الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسم تركُ الوضوء مما مست النار»[٤].

---

(١)راجع المنسوخ من آيات القرآن الكريم بحث للشيخ عبدالرحمن الشهري

(٢) (مسلم: ٩٧٧).

(٣)الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٨٤)

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ بِئْرِ مَعُونَةَ الَّذِينَ قُتِلُوا وَقَنَتَ يَدْعُو عَلَى قَاتِلِيهِمْ قَالَ أَنَسٌ وَنَزَلَ فِيهِمْ قُرْآنٌ قَرَأْنَاهُ حَتَّى رُفِعَ "أَنْ بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا "

(٤)رواه أبو داود والنسائي وغيرهما بسند صحيح. فتح الباري لابن حجر (١/ ٣١١)

وابن حَجَر العَسْقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

حديث شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أفطر الحاجم والمحجوم»[١]، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم»[٢]، ، بين الشافعي: أن الثاني ناسخ للأول، من حيث إنه رُوي في حديث شداد: أنه كان مع النبيِّ ﷺ زمانَ الفتح، فرأى رجلاً يحتجم في شهر رمضان فقال: «أفطر الحاجم والمحجوم»، وروي في حديث ابن عباس «أنه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرِم صائم» ، فبان بذلك: أن الأول كان زمن الفتح في سنة ثمان، والثاني في حجة الوداع في سنة عشر[٣].

أما إن كان قول الصحابي ناسخ وذلك منسوخ، نابع عن اجتهاد فقد اختلف فيه، فمن أهل العلم من قال: إن ذلك لا يكون دليلاً على النَّسخ؛ لجواز أن يكون قول الصحابي صادرًا في ذلك عن اجتهاد أخطأ فيه فلم يُصِبْ فيه عين السابق ولا عين اللاحق، ومن أهل العلم من اعتبر ذلك طريقًا من طرق معرفة النَّسخ: لأن الصحابي لا يمكن أن يجتهد في أمر جلل كهذا؛ فالصحابة من أورع الناس وأتقاهم لله تعالى، فكيف يستسيغ الواحد منهم أن يجتهد لرفع حُكم شرعي؟!

قال الحافظ العراقي رحمه الله تعالى: "وخصَّص أهل الأصول ثبوت النَّسخ بقوله - أي الصحابي - فيما إذا أخبر بأن هذا متأخر، فإن قال: هذا ناسخ، لم يثبت به النَّسخ، قالوا: لجواز أن يقوله عن اجتهاده، بِناءً على أن قولَه ليس بحجة، وما قاله أهل الحديث أوضحُ وأشهر، والنَّسخ لا يصار إليه بالاجتهاد والرأي، وإنما يصار إليه عند معرفة التاريخ، والصحابة أورع من أن يحكُم أحد منهم على حُكم شرعي بنسخ من غير أن يعرف تأخر الناسخ عنه، وفي كلام الشافعي موافقة لأهل الحديث؛ فقد قال - فيما رواه البيهقي في المدخل -: ولا يستدل على الناسخ والمنسوخ إلا بخبر عن رسول الله ﷺ، أو بوقف يدل على أن أحدهما بعد الآخر، أو بقول مَن سمع الحديث، يعني من الصحابة أو العامة، فقوله: مَن سمع الحديث، أراد به قول الصحابي مطلقًا..."[٤].

٢- يعرف النسخ أيضًا بإجماع الأمة على أن هذا ناسخ وهذا منسوخ، أي: أن ينعقدَ إجماع الأمَّة في عصر من العصور على تعيين المتقدم من المتأخر منهما، مثاله: قتل شارب الخمر في المرة الرابعة، فإنه منسوخ، عُرِف نسخه بالإجماع، كما ذكر الإمام النووي[٥].

---

(١)وأخرجه أحمد ٥/ ٢٨٠، والبيهقي في الصيام ٤/ ٢٦٥
(٢)وأخرجه البخاري (١٩٣٨)، والنسائي في "الكبرى" (٣٢٠٥)
(٣)مقدمة ابن الصلاح: النوع الرابع والثلاثون .
(٤)فتح المغيث شرح ألفية الحديث: (٣٢٤)، وينظر: تعريف الناسخ والمنسوخ، ناصر عبدالغفور.
(٥)شرح صحيح مسلم، للإمام النووي ، شرح النووي على مسلم (١/ ٣٥) **النَّوَوِي (٦٣١ - ٦٧٦ هـ)**

٣- معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ، أن يكون في أحد النصَّين ما يدل على التقدم والتأخر، قال الحافظ ابن حجر في النكت على النزهة: "وإن عُورِض بمثله فإن أمكن الجمع فمختلف الحديث، أو لا وثبت المتأخر فهو الناسخ والآخر المنسوخ[١].

مهم: ولا يعتمد في النسخ على الاجتهاد، أو قول المفسرين، أو التعارض بين الأدلة.

أقسام النسخ:

والنسخ أربعة أقسام:

القسم الأول: نسخ القرآن بالقرآن:

وهذا القسم متفق على جوازه ووقوعه من القائلين بالنسخ، فآية المعتدة بالحول نُسِخَت بآية الاعتداد بأربعة أشهر وعشرٍ، ... عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج﴾[البقرة - الآية ٢٤٠]، نسخت بقوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير﴾[البقرة: ٢٣٤].

القسم الثاني: نسخ القرآن بالسُّنَّة:

وينقسم إلى قسمين: الأول نسخ القرآن بالسُّنَّة المتواترة.

اختلف العلماء الي قولين. **القول الأول قول بالجواز**: وهو ذهب الإمام مالك والحنفية وأكثر المتكلمين إلى جواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة؛ لأنه لا مانع عقلاً ولا شرعًا من ذلك؛ فالكل وحي من الله تعالى، وإن كان للقرآن خصائص، وللسنة خصائص، لكنهما من مشكاة واحدة؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣، ٤]، وصح عن النبي صلى الله عليه سلم أنه قال: «ألا إني أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه»[٢]،

علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبته. تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا. (من كتبه) تهذيب الأسماء واللغات – ط منهاج الطالبين - ط

(١)النكت على النزهة: (ص ١٠٥) .

(٢)مسند أحمد مخرجا (٢٨/ ٤١٠) ابن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ)أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. الفقيه والمحدث، صاحب المذهب.ولد ببغداد ونشأ بها ومات والده وهو صغير فتعهدته أمه ووجهته إلى دراسة العلوم الدينية، فحفظ القرآن وتعلم اللغة. وفي الخامسة عشرة من عمره بدأ دراسة الحديث وحفظه، وفي العشرين من عمره بدأ في رحلات طلب العلم، فذهب إلى الكوفة ومكة والمدينة والشام واليمن ثم رجع إلى بغداد ودرس فيها على الشافعي أثناء قيام الشافعي برحلاته إليها في المدة من ١٩٥ إلى ١٩٧هـ، وكان من أكبر تلاميذ الشافعي ببغداد

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

القول الثاني قول بالمنع: ذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه: وبعض الحنابلة، واختاره أبو إسحاق الإسفراييني، وأبو منصور البغدادي، والقلانسي، والحارث المحاسبي.

والصحيح قول مالك وأبو حنيفة وأحمد في رواية، لأن الكل وحي. قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم: ٣، ٤]، وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل: ٤٤]، والنسخ نوع من البيان .

نسخ القرآن بالسُّنَّة الآحادية:

والجمهور على عدم جوازه؛ لأن القرآن متواتر يفيد اليقين، والآحادي يفيد الظن ولا يصح رفع اليقين بالظن، وهو قول الزرقاني -رحمه الله تعالى-، فقد قال في مناهل العرفان: "أما خبر الواحد فالحق عدم جواز نسخ القرآن به للمعنى المذكور، وهو أنه ظنيٌّ، والقرآن قطعيٌّ، والظني أضعف من القطعي؛ فلا يقوى على رفعه[١].

وذهب بعض العلم إلى جوازه وهو قول الظاهريه داود الظاهري وابن حزم .

يقول الشيخ الشنقيطي في الأضواء أن الصواب جوازه ووقوعه لأن كلا من السنة الثابتة تواترا أو آحادا تعتبر وحيا فقد قال رحمه الله: الذي يظهر لي والله تعالى أعلم هو أن الكتاب والسنة كلاهما ينسخ بالآخر، لأن الجميع وحي من الله تعالى. فمثال نسخ السنة بالكتاب: نسخ استقبال بيت المقدس باستقبال بيت الله الحرام، فإن استقبال بيت المقدس أولا إنما وقع بالسنة لا بالقرآن، وقد نسخه الله بالقرآن في قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾[البقرة: ١٤٤]، الآية. ومثال نسخ الكتاب بالسنة: نسخ آية: عشر رضعات تلاوة وحكما بالسنة المتواترة.... وقد قدمنا في سورة الأنعام أن الذي يظهر لنا أنه الصواب: هو أن أخبار الآحاد الصحيحة يجوز نسخ المتواتر بها إذا ثبت تأخرها عنه، وأنه لا معارضة بينهما، لأن المتواتر حق، والسنة الواردة بعده إنما بينت شيئا جديدا لم يكن موجودا قبل، فلا معارضة بينهما البتة لاختلاف زمنهما[٢] .

الترجيح.. هو جواز نسخ المتواتر بالآحاد الصحيح الثابت تأخرها عنه في زمن النبي ﷺ، والدليل: الوقوع، كما هو ظاهر في أدلة من قال بالجواز، حكاه الشوكاني

---

(١) مناهل العرفان، الزرقاني

(٢)الشنقيطي في الأضواء. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٤٥١) الشّنْقِيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣ هـ) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي:عالم، مفسر، مدرِّس من علماء شنقيط (موريتانيا)، وُلد وتعلّم بها. وحج عام (١٣٦٧) واستقر مدرسًا في المدينة المنورة، ثم الرياض عام (١٣٧١)، وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة (١٣٨١) وتوفي بمكة.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عن بعض العلماء: كأبي بكر الباقلاني، وأبي الوليد الباجي، والقرطبي[١]، مثاله لمن قال بالجواز، الوصية للوالدين والأقربين نسخت بحديث لا وصية لوارث قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، والحديث عن عمرو بن خارجة رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب على ناقته فسمعته يقول : «إن الله أعطى كل ذي حق حقه، ولا وصية لوارث»[٢].

القسم الثالث: نسخ السُّنَّة بالقرآن:

وهو جائز عند الجمهور. مثاله الصلاة اتجاه بيت المقدس كان ثابتًا بالسُّنَّة، وليس في القرآن ما يدل عليه، وقد نُسِخَ بالقرآن في قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[البقرة: ١٤٤]، ووجوب صوم يوم عاشوراء كان ثابتًا بالسُّنَّة فنُسِخ بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[البقرة: ١٨٥] عن عائشة قالت: «كان رسول الله -ﷺ- أمر بصيام يوم عاشوراء فلما فُرِضَ رمضان كان مَن شاء صام ومَن شاء أفطر»[٣].

القسم الرابع: نسخ السُّنَّة بالسُّنَّة:

وينقسم إلى أربعة أقسام: ١- نسخ متواترة بمتواترة، ٢- ونسخ آحاد بآحاد، ٣- ونسخ آحاد بمتواترة، ٤- ونسخ متواترة بآحاد. والثلاثة الأولى جائزة وأما النوع الرابع ففيه الخلاف الوارد في نسخ القرآن بالسُّنَّة الآحادية، والجمهور على عدم جوازه.

أما النسخ بالإجماع والقياس والنسخ بهما فالصحيح عدم جوازه[٤].

أنواع النسخ في القرآن:

النسخ في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: نسخ التلاوة والحكم جميعا: عن عائشة أم المؤمنين « كانَ فِيما أُنْزِلَ مِنَ القُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وَهُنَّ فِيما يُقْرَأُ مِنَ القُرْآنِ»[٥].

النوع الثاني: نسخ الحكم وبقاء التلاوة، ومثاله: مثال، نسخ حكم آية العِدَّة بالحول مع بقاء تلاوتها ، وهذا النوع. قليل، كما بيَّن ذلك القاضي أبو بكر ابن

(١)إرشاد الفول، للشوكاني، راجع نسخ المتواتر بالآحاد زاهر بن حسن الحمدي
(٢)قال الترمذي : حديث حسن صحيح .
(٣)البخاري ومسلم.
(٤)راجع كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ٢٤٣ بتصرف واختصار
(٥)صحيح مسلم..

العربي، والحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة، بقاء التلاوة تذكيرًا بالنعمة في رفع المشقة، وهذا القسم اختلف فيه بين المجيزين له والمانعين ؛ من العلماء من توسع فأدخل فيه كثيرًا من الآيات، ومنهم من ضيق.

يقول الإمام السيوطي: "وهذا الضرب هو الذي فيه الكتب المؤلفة، وهو على الحقيقة قليل جدًّا، وإنْ أكثَرَ الناس من تعداد الآيات فيه، فإن المحققين كالقاضي أبي بكر بن العربي بيَّن ذلك وأتقنه"[١].

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة: ٢٤٠]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة: ١٢]،

يقول الإمام الشوكاني في الإرشاد: "ما نُسخ حكمه وبقي رسمه؛ كنسخ آية الوصية للوالدين والأقربين بآية المواريث، ونسخ العدة حولاً بالعدة أربعة أشهر وعشرًا؛ فالمنسوخ ثابت التلاوة مرفوع الحكم، والناسخ ثابت التلاوة والحكم، وإلى جواز ذلك ذهب الجمهور، بل ادعى بعضُهم الإجماع عليه[٢]، وقد حكى جماعة من الحنفية والحنابلة عدم الجواز عن بعض أهل الأصول، قالوا: لأنه إذا انتفى الحكم فلا فائدة في التلاوة، وهذا قصور عن معرفة الشريعة، وجهل كبير بالكتاب العزيز؛ فإن المنسوخَ حكمُه، الباقيةَ تلاوتُه في الكتاب العزيز مما لا ينكره مَن له أدنى قدم في العلم[٣].

النوع الثالث: نسخ التلاوة و بقاء الحكم:

له أمثلة كثيرة، منها آية الرجم: « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله، والله عزيز حكيم»[٤].

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال عمر: « إن الله قد بعث محمدا -ﷺ- بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه: آية الرجم. قرأناها.

---

(١)الإتقان للسيوطي الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٧١)

(٢)إرشاد الفحول للشوكاني الشوكاني، محمد بن علي (١١٧٣هـ . ١٢٥٠هـ). محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن وصاحب كتاب نيل الأوطار، ولد ببلدة شوكان باليمن ونشأ في صنعاء، وتلقى العلم على شيوخها

(٣) إرشاد الفحول، (٢/ ٦٤) .

(٤) أخرجه النسائي وابن حبان والحاكم والطبراني في الأوسط وابن مردويه.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ووعيناها، وعقلناها، فرجم رسول الله -ﷺ- ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله! فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف، وقد قرأتها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، نكالا من الله، والله عزيز حكيم»[1].

وما رُوِي في الصحيحين عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة الذين قُتِلوا وقَنَتَ الرسول يدعو على قاتليهم، قال أنس: «ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رُفِع: «أن بلِّغوا عنا قومنا أنَّا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا»[2].

ثم نُسِخَت تلاوته - وبعض أهل العلم يُنكر هذا النوع من النسخ؛ لأن الأخبار فيه أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزالِ قرآنٍ ونسخه بأخبارِ آحادٍ، والنَّسخ إما أن يكون لبدلٍ أو لغير بدلٍ: إذا نسخ الله -جل وعلا- حكمًا شرعيًّا، فإما أن يحل مكان هذا الحكم حكمٌ آخرُ أوْ لا، فإذا حلّ محلَّه حكمٌ آخر جديد فانه يسمي النَّسخ إلى بدل، وإن لم يحلْ محلّه أيَّ حكمٍ فذلك النَّسخُ إلى غير بدل.

النَّسخ إلى بدل:

إذا نُسخ الحكم الشرعي وحل محله حكم آخر، فإما أن يكون هذا الحكم البديل مساويًا للأول، أو أثقل منه، أو أخف:

١- النَّسخ إلى بدل مساوٍ:

كالصلاة ناحة بيت المقدس او ناحية المسجد الحرام ، فلا يوجد تغير في الحكم من حيث التخيف او الثقل، عن ابن عباس قال: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة؛ وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة - وكان أهلُها اليهودَ - أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرًا، وكان رسول الله ﷺ يحب قِبلة إبراهيم، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾[البقرة: ١٤٤] إلى قوله: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[البقرة: ١٤٤]، فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ

---

(١) متفق عليه.
(٢) الصحيحين .

وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٢]، وقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] (١).

٢- النَّسخ إلى بدل أخف:

وهذا كثير في الشريعة، تخفيفا علي الأمة. مثال: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥]. فهذه الآية نسخت بالآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦]، من باب التخفيف على الأمة .

نسخ تحريم الأكل والشرب والجماع بعد النوم في ليالي رمضان، و هذا التحريم كان ثابتًا بالسنة، فتم نسخُه بالقرآن؛ قال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

روى الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - بسنده عن ابن عباس في قول الله تعالى ذكره: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ وذلك أن المسلمين كانوا في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حُرِّم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة، ثم إن نَاسًا من المسلمين أصابوا الطعام والنساء في رمضان بعد العشاء، منهم عمر بن الخطاب، فشكَوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾[البقرة: ١٨٧]، يعني: انكحوهن، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[البقرة: ١٨٧] (٢).

٣- النَّسخ إلى بدل أثقل:

(١) تفسير ابن كثير: (١/ ٣٩١).
(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن: (٣/ ٤٩٦) .

مثاله: ما يتعلق بتحريم الخمر، وحد الزنا، فبعد الإباحة تم الانتقال إلى تحريم الخمر في أوقات الصلوات، ثم حرم نهائيًّا، وهذا الأمر يذكره بعض العلماء كمثال على النَّسخ إلى بدل أثقل، مصداقا لقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾[المائدة: ٩١]، فنسخ الله تعالى الإباحة الي التحريم القاطع والعقاب والحد لشاربه.

ومن أمثلته حد الزنا فقد كان الحكم في بداية الإسلام حبس الثيب وتعنيف البكر، فنُسخ ذلك بالرجم للثيب والجلد للبكر، قال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا * وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[النساء: ١٥، ١٦]

فإن زنت المرأة وثبَت زناها بالبينة حُبست في مكان فلا تُمكَّن من الخروج منه إلى أن تموت؛ ولهذا قال: ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ ﴾ [النساء: ١٥] يعني: الزنا ﴿ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٥] فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك.

قال ابن عباس: كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور، فنسخها بالجلد، أو الرجم.

وكذا رُوي عن عِكرمة، وسعيد بن جُبَير، والحسن، وعطاء الخُراساني، وأبي صالح، وقتادة، وزيد بن أسلم، والضحاك: أنها منسوخة، وهو أمر متفق عليه[1]، عن النبي ﷺ أنه قال: « خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً؛ البِكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم»[2].

وهذا النوع من النَّسخ - أي إلى بدل أثقل - اختلف فيه، وجمهور العلماء على جوازه عقلاً وسمعًا، ولهم أدلة - ذكرت بعضها - تثبت الوقوع السمعي، وهو أدل دليل على الجواز العقلي.

اعترض بعض العلماء على هذا النوع محتجين بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥] ، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾[النساء: ٢٨] ، ويُجاب عن ذلك بأن البدل إلى أثقل يكون ميسرًا على

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٢٣٣) .
(٢) رواه مسلم وأصحاب السنن.

المكلَّفين دون مشقة أو إرهاق مع ما فيه من زيادة النفع وعظيم الثواب، وثقله وصف له بالنسبة إلى ما قبله[١].

النَّسخ إلى غير بدل:

والمقصود بهذا النوع من النَّسخ أن يرفع الله تعالى حكمًا شرعيًّا دون بديل عنه، ومن أمثلته: نسخ وجوب تقديم الصدقة عند المناجاة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٢، ١٣][٢].

روى الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - عن عليٍّ رضي الله عنه: إن في كتاب الله عز وجل لآيةً ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢] قال: فُرِضت، ثم نُسخت[٣]

وأنكر بعض المعتزلة والظاهرية ذلك، وقالوا: إن النسخ بغير بدل لا يجوز شرعًا، لأن الله تعالى يقول: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا.﴾[البقرة:١٠٦]، حيث أفادت الآية أنه لا بد أن يؤتى مكان الحكم المنسوخ بحكم آخر خير منه مثله.

ويُجاب عن ذلك: بأن الله تعالى إذا نسخ حكم الآية بغير بدل فإن هذا يكون بمقتضى حكمته، رعاية لمصلحة عباده، فيكون عدم الحكم خيرًا من ذلك الحكم المنسوخ في نفعه للناس، ويصح حينئذ أن يُقال: إن الله نسخ حكم الآية السابقة بما هو خير منها حيث كان عدم الحكم خيرًا للناس[٤].

أمثلة النسخ - الآيات التسع التي رجح الدكتور عبدالله الشنقيطي نسخها:

(١)راجع كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ، (ص٢٤٧) .
(٢)جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٢٣/ ٢٥١) .
(٣)جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٢٣/ ٢٤٨)، راجع أنواع النسخ والحكمة من وجوده ناصر عبد الغفور المنصرف.
(٤)كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، (ص٢٤٧) .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

١. الآية ١٢ من سورة المجادلة : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر﴾. نسخت هذه الآية بالآية التي بعدها: ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات..﴾، وهي الآية الوحيدة التي اتفق العلماء على نسخها وإن اختلفوا في سبب نزولها والناسخ لها ، هل هي الزكاة ، أو الآية التي بعدها ، وهو رفع الوجوب المطلق ، والخلاف لفظي على كل حال.

٢. الآية ٦٥ من سورة الأنفال: ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾، وهذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿الآن خفف الله عنكم﴾، وقد فهم الصحابة هذه الآية على أنها ناسخة للتي قبلها ، وصرحوا بالنسخ. وكذلك كبار المفسرين من السلف صرحوا بكون هذه الآية منسوخة بالآية التي بعدها. والقول بالنسخ هو الذي يمكن به التخلص من التناقض والإشكال، وأما بدون القول بالنسخ فلا نتخلص من الإشكال المانع من نسخها لكونها خبراً ، وهو كون الآية ليست خبراً ، وإنما هي أمر جاء في صورة الخبر كما ذكر ابن جرير الطبري وابن حجر العسقلاني رحمهما الله تعالى.

٣. الآيات من سورة المزمل : ﴿يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً* نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه..﴾ نسختها الآية التي في آخر السورة : ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه..﴾ الآية .

٤. الآيتين (١٥-١٦) من سورة النساء: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا * واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيما﴾. والذي نسخ حكم هاتين الآيتين هو قوله تعالى في سورة النور: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة..﴾، والآية التي نسخ لفظها وبقي حكمها: ﴿الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة﴾، وبحديث عبادة بن الصامت الذي رواه الإمام مسلم: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلًا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم»[1]، والإجماع الحاصل على أن هاتين الآيتين منسوختان.

٥. الآية (٢٤٠) من سورة البقرة ، قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ نسختها الآية المتقدمة

(١)رواه مسلم.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عليها في نظم القرآن وهي قوله تعالى : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا﴾.

٦. الآية رقم (١٨٤) من سورة البقرة: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ نسختها آية: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ .

٧. الآية (٦٧) من سورة النحل: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقًا حسنًا﴾.

٨. الآية رقم (٢١٩) من سورة البقرة : ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾.

٩. الآية رقم (٤٣) من سورة النساء : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾.

وهذه الآيات الثلاث الأخيرة دخلها نسخ بقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾[1].

(١)راجع المنسوخ من آيات القرآن الكريم بحث للشيخ عبدالرحمن الشهري.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصل السادس عشر

المحكم والمتشابه

تعريف المحكم والمتشابه:

المحكم والمتشابه لهما معنيان: معنى عام ومعنى خاص، فالقرآن الكريم بعضُه مُحْكَمٌ وبعضه متشابه، وكله محكم، وكله متشابه في نفس الوقت.

المعنى العام الإجمالي للمُحكم والمتشابه:

المُحكم لغة: مأخوذ من حكمت الدابة وأحكمت: بمعنى منعت، والحكم: هو الفصل بين الشيئين، وإحكام الشيء: إتقانه، و المحكم: المتقن. وقد وصف الله القرآن كله بأنه مُحكم على هذا المعنى فقال: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود: ١]، وقال: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[يونس: ١]، فالقرآن بمعناه العام ،كله محكم: أي إنه متقن فصيح يميز بين الحق والباطل، والصدق والكذب. ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت: ٤٢]، قال سعيد بن جبير: «لا يأتيه التكذيب من بين يديه ولا من خلفه»، ابن جريج : «لا يأتيه الباطل فيما أخبر عما مضى ولا فيما أخبر عما يكون»[1]، وهذا ما يعرف المحكم العام .

والمتشابه العام:

لغة: مأخوذ من التشابه: بألا يتميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من التشابه ،في البلاغة والقوة والحجة والتحدي، قال تعالى: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾، أي: يشبه بعضه بعضًا لونًا لا طعمًا وحقيقة، وقيل: متماثلًا في الكلام والجودة.

---

[1] تفسير القرطبي - تفسير سورة فصلت - الآية ٤٢

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يقول الدكتور مناع القطان: وتشابه الكلام: هو تماثله وتناسبه بحيث يُصدِّق بعضه بعضًا، وقد وصف الله القرآن كله بأنه متشابه على هذا المعنى فقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ﴾[الزمر ٢٣]، فالقرآن كله متشابه: أي إنه يشبه بعضه بعضًا في الكمال والجودة، ويُصدِّق بعضه بعضًا في المعنى ويماثله، وهذا هو التشابه العام، وكل من المُحكم والمتشابه بمعناه المطلق المتقدم لا ينافي الآخر، فالقرآن كله مُحكم بمعنى الإتقان، وهو متماثل يُصدِّق بعضه بعضًا، فإن الكلام المُحكم المتقن تتفق معانيه وإن اختلفت ألفاظه، فإذا أمر القرآن بأمر لم يأمر بنقيضه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾[النساء: ٨][1].

المعنى التفصيلي للمحكم الخاص والتشابه الخاص:

هناك إحكام خاص وتشابه خاص ذكرهما الله في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾[آل عمران ٦]، فذكر الله تعالى في هذه الآية قسمين للقرآن محكم ومتشابه .

تعريف للمحكم والمتشابه بمعناه التفصيلي:

المُحكَم: ما عُرِف المراد منه، والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه. المحكم: ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا. والمتشابه: ما احتمل أوجهًا متعددة. المحكم: ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان. والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان برده إلى غيره. والمحكم: ما دل عليه نصٌّ قطعيُّ الثُّبوت قطعيُّ الدَّلالة؛ وهو إمَّا نصٌّ قرآنيٌّ قطعيُّ الدَّلالة؛ كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[النور: ٤]، أو حديثٌ صحيحٌ قطعيُّ الدَّلالة؛ كالحديث المتفَق عليه: عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ البِتْعِ (نبيذ العسل)، فَقَالَ: «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ، فَهُوَ حَرَامٌ»[2]، فقوله ﷺ: «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ، فَهُوَ حَرَامٌ»، نصٌّ قطعي الثبوت قطعي الدلالة.

---

(١) كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، (ص٢٢٠) .
(٢) رواه الشيخان البخاري ومسلم.

أما المتشابه: فهو ما كان ظَنِّيَّ الدلالة؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة: ٦]، واختلف العلماء في معنى المسح والمراد منه[١].

أمثلة المحكم والمتشابه:

من أمثلة المحكم في القرآن الناسخ وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه ووعده ووعيده، والمتشابه، يمثلون له: بمنسوخه وكيفيات أسماء الله وصفاته التي في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، وقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ إلى غير ذلك، وأيضا أوائل السور المفتتحة بحروف المعجم وحقائق اليوم الآخر وعلم الساعة.

معرفة المتشابه: هل يعلمه أحد غير الله تعالي ؟

المحكم في القرآن ولله الحمد معروف وواضح للكبير والصغير لا إشكال فيه البته، ولكن الذي فيه الإشكال هو المتشابه، والإشكال في معرفته، هل هو علم خصّه الله لنفسِه فلا يعلمه أحد غيره ؟ أم علمه وأطلعه لأهل الفضل من العلماء؟

في هذا وقع الخلاف بين العلماء فمنهم من قال انه علم لا يعلمه إلا الله، ومنهم من قال يعلمه الله والراسخون في العلم اطلعهم الله علي معرفته أيضًا، وسبب هذا الاختلاف اختلافهم في الوقف في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ هل هو مبتدأ خبره ﴿يقولون﴾ والواو للاستئناف، والوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ أو هو معطوف و﴿يَقُولُونَ﴾ حال، والوقف على قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ .

ولقد فصل الإمام السيوطي هذا الاختلاف فقال -رحمه الله- اختلف:

هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه، أو لا يعلمه إلا الله ؟

على قولين، منشؤهما الاختلاف في قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾[آل عمران: ٧]، هل هو معطوف ويقولون حال؟ أو هو مبتدأ، خبره يقولون والواو للاستئناف؟ وعلى الأول (أي العطف):

طائفة يسيرة ، منهم مجاهد، وهو رواية عن ابن عباس . فأخرج ابن المنذر من طريق مجاهد ، عن ابن عباس في قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون

(١)راجع المحكم والمتشابه في القرآن د. أمين الدميري .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

في العلم﴾ قال: «أنا ممن يعلم تأويله»[1]، وأخرج عبد بن حميد، عن مجاهد في قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾ قال: «يعلمون تأويله، ويقولون: آمنا به»[2]، وأخرج ابن أبي حاتم ، عن الضحاك، قال: «الراسخون في العلم يعلمون تأويله، ولو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه، ولا حلاله من حرامه ، ولا محكمه من متشابهه».

واختار هذا القول النووي، فقال في شرح مسلم: "إنه الأصح؛ لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته، وقال ابن الحاجب: إنه الظاهر"[3].

وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم - خصوصا أهل السنة - فذهبوا إلى القول الثاني ، وهو (عدم المعرفة لا أحد غير الله) فهو مبتدأ، خبره يقولون والواو للاستئناف وهو أصح الروايات عن ابن عباس .

قال ابن السمعاني: لم يذهب إلى القول الأول إلا شرذمة قليلة ، واختاره العتبي، قال: وقد كان يعتقد مذهب أهل السنة ، لكنه سها في هذه المسألة. قال ولا غرو، فإن لكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة .

قال السيوطي: ويدل لصحة مذهب الأكثرين: ما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ، والحاكم في مستدركه ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به﴾ ، فهذا يدل على أن الواو للاستئناف؛ لأن هذه الرواية - وإن لم تثبت بها القراءة - فأقل درجاتها أن يكون خبرا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن فيقدم كلامه في ذلك على من دونه[4].

ويؤيد ذلك أن الآية دلت على ذم متبعي المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة، وعلى مدح الذين فوضوا العلم إلى الله، وسلموا إليه كما مدح الله المؤمنين بالغيب، وحكى الفراء: أن في قراءة أبي بن كعب أيضًا: «ويقول الراسخون»[5]، وأخرج ابن أبي داود في "المصاحف" من طريق الأعمش، قال في قراءة ابن مسعود: «وإن حقيقة تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به»[6]، وأخرج الشيخان وغيرهما، عن عائشة، قالت: تلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه الآية ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾ إلى قوله: ﴿أولو

---

(١) تخريج دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: ٣٩٩) خرجه الطبري في تفسيره ج٦ ص٢٠٣ رقم ٦٦٣٢.
(٢) تخريج دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: ٣٩٩) تفسير مجاهد ج١ ص١٢٢.
(٣) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٦)
(٤) نفس المصدر
(٥) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٧)
(٦) أبو داود في المصاحف

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الألباب﴾[آل عمران: ٧]، قالت: «قال رسول الله -ﷺ- فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم»[١]، وأخرج الطبراني في الكبير، عن أبي مالك الأشعري: أنه « سمع رسول الله -ﷺ- يقول: لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله » الحديث[٢].

وأخرج ابن مردويه، من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله -ﷺ- قال: «إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه فآمنوا به »[٣]، وأخرج الحاكم ، عن ابن مسعود ، عن النبي - ﷺ ، قال: «كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجر ، وآمر ، وحلال ، وحرام ، ومتشابه ، وأمثال ، فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا : آمنا به كل من عند ربنا»[٤]، وأخرج البيهقي في الشعب نحوه ، من حديث أبي هريرة .

وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس مرفوعا: «أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسره العرب، وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب»[٥]، ثم أخرجه من وجه آخر عن ابن عباس موقوفا بنحوه. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال : «نؤمن بالمحكم وندين به، ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به ، وهو من عند الله كله»[٦]، وأخرج -أيضًا- عن عائشة قالت: «كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه»[٧]، وأخرج -أيضًا- عن أبي الشعثاء وأبي نهيك ، قال: «إنكم تصلون هذه الآية وهي مقطوعة»[٨]. وأخرج الدارمي في مسنده، عن سليمان بن يسار: «أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر ، وقد أعد له عرجونا من العراجين ، فضربه حتى دمى رأسه»[٩]، وفي رواية عنده: «فضربه بالجريد حتى

---

(١) رواه الشيخان .
(٢) رواه الطبراني.
(٣) رواه ابن مردويه.
(٤) رواه الحاكم في مستدركه
(٥) رواه ابن جرير الطبري.
(٦) رواه ابن أبي حاتم. الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٨)
(٧)تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٦/ ٢٠٩) ابن جَرير الطَّبَري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)
محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها وعرض عليه القضاء فامتنع
(٨) رواه ابن أبي حاتم.
(٩) رواه الدارمي.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ترك ظهره دبرة، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له، ثم تركه حتى برأ، فدعا به ليعود، فقال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلًا جميلًا، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين»، وأخرج الدارمي عن عمر بن الخطاب، قال: «إنه سيأتيكم ناس يجادلونكم بمشتبهات القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله» [1].

خلاصة القول:

نجد أن العلماء افترقوا إلى فرقتين؛ فريق ذهبوا إلى "الاستئناف"، ومنهم أُبَيُّ بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، مستدلين بمثل ما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به»، وبقراءة ابن مسعود: «وإن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به»، وبما دلت عليه الآية من ذم متبعي المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة، وعن عائشة قالت: تلا رسول الله -ﷺ- هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾[آل عمران: ٧ إلى قوله تعالى: ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم» [2]..

وذهب إلى الرأي الثاني "العطف" طائفة على رأسهم مجاهد، فقد أخرج عبد بن حميد عن مجاهد في قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ قال: «يعلمون تأويله ويقولون: آمنا به»، واختار هذا القول النووي، فقال في شرح مسلم: إنه الأصح لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده، بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته[3]، واختار هذا القول النووي.

وسبب الخلاف هو الوقف على قوله تعالى في آية آل عمران: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧]؛ فالفريق الأول قال بالوقف اللازم ، علي لفظ الجلالة، فهؤلاء قالوا بعدم المعرفة لأحد غير الله.

الفريق الثاني قال بعدمِ الوقف والعطفِ على ما بعده؛ وهو: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] .

ولقد حاول الشيخ مناع القطان الجمع بين القولين فقال التوفيق بين الرأيين بفهم معنى التأويل: بالرجوع إلى معنى "التأويل" يتبين أنه لا منافاة بين الرأيين،

---

(١) رواه الدارمي وينظر: الإتقان في علوم القرآن » النوع الثالث والأربعون في المحكم والمتشابه، (ص٥٩٥) .
(٢) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٣) شرح صحيح مسلم للإمام النووي.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فإن لفظ التأويل ورد لثلاثة معان: **الأول**: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو اصطلاح أكثر المتأخرين. **الثاني**: التأويل بمعنى التفسير، فهو الكلام الذي يفسَّر به اللفظ حتى يُفهم معناه. **الثالث**: التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته هو حقيقة ذاته المقدسة، وما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به عن اليوم الآخر هو نفسه ما يكون في اليوم الآخر. وعلى هذا المعنى جاء قول عائشة: «كان رسول الله -ﷺ- يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»، يتأول القرآن»، تعني قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣-٤] .

فالذين يقولون بالوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، ويجعلون: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ، استئنافًا، إنما عنوا بذلك التأويل بالمعنى الثالث، أي الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فحقيقة ذات الله وكنهها وكيفية أسمائه وصفاته وحقيقة المعاد لا يعلمها إلا الله. والذين يقولون بالوقف على قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ على أن الواو للعطف، وليست للاستئناف، إنما عنوا بذلك التأويل بالمعنى الثاني أي التفسير، ومجاهد إمام المفسرين، قال الثوري فيه: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، فإذا ذُكِر أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد به أنه يعرف تفسيره[1].

النهي عن الخوض في المتشابه:

لقد نقل إلينا كثيرا من الأحاديث ،جاء فيها النهي عن الخوض في المتشابه منها.

ما رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «تلا رسول الله -ﷺ-: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ ... إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، قالت: قال رسول الله -ﷺ: "فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سَمَّى الله فاحذروهم»[2].

ومنها: ما رواه أحمد في مسنده عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: «سمع رسول الله -ﷺ- قومًا يتدارءون فقال: "إنما هلك مَنْ كان قبلكم بهذا،

---

(١) كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، (ص٢٢٠) .
(٢)رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وهذا اللفظ للبخاري.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما أُنْزِلَ كتاب الله يصدِّقُ بعضه بعضًا، فلا تكذِّبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه»[١].

وما رواه الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده قال: حدَّثَنَا زهير بن حرب قال: حدَّثنا أنس بن عياض، عن أبي حازم، عن أبي سلمة قال: لا أعمله إلّا عن أبي هريرة أن رسول الله -ﷺ- قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف، والمراء في القرآن كفر، ثلاثًا، ما عرفتم منه فأعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه»[٢].

وأما أقوال علماء السلف فكثيرة أيضًا منها :

ما رواه الدارميّ عن سليمان بن يسار «أن رجلًا يقال له ابن صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد أعدَّ له عراجين النخل، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله بن صبيغ، فأخذ عمر عرجونًا فضربه حتى دمي رأسه»[٣].

وجاء في رواية أخرى: «فضربه حتى ترك ظهره دبرة، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد، ثم تركه حتى برأ، فدعا به ليعود، فقال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلًا جميلًا، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: «ألّا يجالسه أحد من المسلمين»[٤].

ومنها ما ورد من أن الإمام مالكًا -رضي الله عنه- سُئِلَ عن الاستواء في قوله سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه.]. فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة، وأظنك رجل سوء، أخرجوه عني»[٥].

موقف المسلم من المحكم والمتشابه:

قال ابن كثير في تفسيره: "يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن ردّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى. ومن عكس انعكس ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أي: تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئًا آخر من

(١) رواه أحمد
(٢) رواه الحافظ أبو يعلى.
(٣) رواه الدارمي.
(٤) رواه الدارمي.
(٥) علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر (ص: ٨١)

حيث اللفظ والتركيب ، لا من حيث المراد... ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرّفوه إلى مقاصدهم الفاسدة ، وينزلوه عليها ، لاحتمال لفظه لما يصرفونه ، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه ؛ لأنه دامغ لهم وحجة عليهم ، ولهذا قال: ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي: الإضلال لأتباعهم، إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن ، وهذا حجة عليهم لا لهم، كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى هو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وتركوا الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾[الزخرف : ٥٩] وبقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[آل عمران: ٥٩] وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله ، وعبد ، ورسول من رسل الله. وقوله: ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي: تحريفه على ما يريدون"[1]. انتهى.

سبب وجود المتشابه في القرآن:

لماذا وجد في القرآن "آيات متشابهات" ولم يكن القرآن كله محكما؟

يقول الشيخ يوسف القرضاوي رحمه الله: لماذا أنزل الله هذه الآيات التي يركض وراءها الزائغون؟ يعتمدون عليها، ويتركون المحكمات - وهي أم الكتاب ومعظمه - ابتغاء الفتنة للعقول، وابتغاء التأويل فيما لا يعلمون تأويله، وليس من اختصاصهم تأويله، إنما يريدون تأويله تأويلا يخدم أهواءهم؟

والحق: أن من عرف طبيعة اللغات - وبخاصة العربية - وما فيها من اختلاف الدلالات للألفاظ والجمل، وتنوع الخطاب حسب مقتضى الحال، ما بين الحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، وما بين الحقيقة والمجاز، والصريح والكناية، والعموم والخصوص.. إلخ.

وعرف طبيعة الإنسان باعتباره مخلوقا مختارا عاقلا مبتلى بالتكليف، وليس كالحيوانات العجماوات، أو الجمادات المسخرات، ولا كالملائكة المفطورين على الطاعات دون اختيار منهم... وأن من شأنه أن يُعمل قواه وملكاته العقلية.

وعرف طبيعة الدين، وطبيعة التكليف فيه، وهو إلزام ما فيه كلفة ومعاناة، لما فيه من صقل الإنسان في الدنيا، وإعداده بهذا للخلود في الآخرة، وترتيب الجزاء والثواب على هذه المعاناة.

(١)ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٦/٢).

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وعرف طبيعة الإسلام الذي يخاطب أولي الألباب، ويريد تحريك العقول لتبحث وتجتهد، وتدرس وتستنبط، ولا تركن إلى الدعة والكسل العقلي.

وعرف طبيعة البشر، وتنوع أصنافهم، ففيهم الظاهري الذي يقف عند حرفية النص، وفيهم الذي يهتم بروح النص، ولا يكتفي بظاهره، فيهم من يسلِّم، وفيهم من يؤوِّل، فيهم العقلاني، وفيهم الوجداني... وكان الخطاب القرآني للناس جميعا. فاقتضت حكمة الله أن يسعهم خطابه، وأن يودعه من البينات والدلائل ما يرشدهم إلى الصواب، ولكن بعد بحث وجهد، حتى يرتقوا في الدنيا، ويثابوا في الآخرة... والله أعلم[1].

(١)راجع: "كيف نتعامل مع القرآن" (ص: ٢٧٠- ٢٧١)، طبعة دار الشروق.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصـل السابع عشر

المطلق والمقيد

تعريف المطلق والمقيد:

وهو من الأبواب المعروفة في علم أصول الفقه، المطلق في اللغة: من الإطلاق بمعنى الإرسال، أي: الخالي من القيد، وجاء في المصباح المنير:"مطلق اليدين إذا خلا من التحجيل".

والمطلق في الاصطلاح: عرفه الآمدي وابن الحاجب إلى أن المطلق هو ما دلَّ على لفظ شائع في جنسه.

واتفق علماء الأصول ،على أن اللفظ إذا ورد مطلقا في أي نص من النصوص الشرعية، فالأصل العمل به على إطلاقه دون تغيير أو تأويل، إلا إذا ورد دليل على تقييده، مثال في ذلك: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[البقرة: ٢٣٤]، قوله تعالى: ﴿أزواجا﴾ مطلق ، ولم يأت دليل على تقييده بالدخول أو عدم الدخول ، ولم يرد نص آخر في القران او السنة يقيده، فيجب العمل به على إطلاقه كما ورد، ومقتضى هذا أن الزوجة التي توفي عنها زوجها ،تجب عليها عدة الوفاة مطلقا، أي سواء كان قد دخل بها قبل الوفاة أم لا، ليكون العمل بإطلاق الآية الكريمة.

مثال آخر: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء: ٢٣]، في الآية تحريم أم الزوجة مطلقا أي سواء دخل الزوج بالبنت أم لم يدخل بها.

وهكذا في كل مطلق لم يأت نص آخر بتقييده، ونفس الحال في المقيد فيعمل به علي تقيده مطلقا، طالما قيد بشيء مثال قال الله تعالى: ﴿فَصِيَامُ

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾[النساء: ٩٢، المجادلة: ٤]، فقيد الصيام بالتتابع، فيَجب العمل بالقيد، فلا يجزئ إلاَّ صيام شهرين متتابعين.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[المائدة: ٨٩]، فهذه الآية جاء فيها هذان اللفظان: "مساكين - رقبة"، وجاء هذان اللفظان نكرتين في سياق إثبات فيفيدان الإطلاق، فإطعامك المسكين هنا يجزئ فيه أي مسكين، رجلاً كان أو امرأة، حُرّاً كان أو عبداً، كما أن عتقك الرقبة أيضاً يجزئ فيها أي رقبة، ذكراً كان أو أنثى، مسلماً كان أو كافرًا.

هذا الإطلاق غير موجود في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾[النساء: ٩٢]، فلا تجزئ الرقبة الكافرة؛ لأن الله تعالى قيدها بالإيمان، بخلاف كفارة اليمين، فيجزئ فيها أي رقبة، مؤمنة كانت أو كافرة؛ لإطلاق اللفظ.

هل يمكن للسنة أن تقييد مطلق القرآن؟

اتفق العلماء: على جواز تقييد السُّنة المتواترة للقرآن؛ لأنهما في نفس القوة، اختلف العلماء: في تقييد الآحاد للقرآن.

والراجح: جواز تقييد خبر الآحاد للقرآن، وهو قول جمهور العلماء من المالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية والمحدِّثين؛ لأن من أعمال السنة مع القرآن أنها جاءت مفصِّلة وموضحة لآيات عديدة من القرآن الكريم؛ ومن ذلك تقييد بعض مطلق القرآن، مثال قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[النساء: ١١] فلفظ الوصية الوارد في الآية مطلق غير مقيد بمقدار معين، فبينت السنة المقدار في قوله: ﷺ «الثلث والثلث كثير»[1].

وقوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾[النساء: ٢٤]. بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لاَ تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ على عَمَّتِهَا، ولا عَلَى خَالَتِهَا»[2]، فجاءت السنة وقيدت لأن القرآن والسنة كلاهما وحي من عند الله تعالى.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[المائدة:٣٨]، فإن (اليد) في الآية مطلقة غير مقيدة، بكونها اليمين أو الشمال، فجاءت السنة النبوية وقيدت لفظ (اليد) المطلقة باليد اليمنى، وبيان أن القطع من الكوع، فقد

(١) رواه البخاري
(٢)رواه البخاري، ومسلم .

روى الشافعي في "مسنده" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق: «إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله، ثم إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله»[1]

وفي كتاب "الحدود" لأبي الشيخ من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يقطعون من المفصل».
وفي البيهقي ، عن عمر " : أنه كان يقطع السارق من المفصل. "

ومنه: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[البقرة:١٩٦]، أُطلِقت الفدية في تلك الآية، وقيّدها حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه حين أتاه النبي ﷺ يعوده فرأى القمل يمشي على وجهه، فقال: « ما كنت أرى الجهد بلغ بك ما أرى، تجد شاة؟ فقلت: لا، قال: فصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع»[2]، فجعل الصيام مقيداً بثلاثة أيام، والإطعام والصدقة مقيدة بستة مساكين لكل مسكين نصف صاع، وقيد الهدي بشاة.

ومنه: قوله تعالى بعد ذكر المحرمات من النساء: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾[النساء: ٢٤]، لكن الحِلّ في هذه الآية الكريمة مقيد بقول النبي ﷺ: « لا تُنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها»[3]، وقد يُعد هذا تخصيصاً للعموم.

هذه الأمثلة وغيرها تؤكد أن السنة جاءت بتقييد بعض ما أطلقه القرآن من الألفاظ؛ ولذا لا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال، لأهميتها العظمى في فهم دين الله تعالى والعمل به.

حمل المطلق على المقيد:

متى يحمل المطلق على المقيد؟ نجد في بعض الآيات أحكام مطلقة وأحكام أخرى مقيدة، فهل يحمل هذا على ذلك.

أولًا: إن اتحد المطلق والمقيد في الحكم والسبب، فهذا يجب فيه حمل المطلق على المقيد، باتفاق الفقهاء، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[النساء: ٤٤]، ولم يذكر هنا الصعيد الطيب .

وجاء في سورة المائدة قال تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦]، فيجب هنا حمل المطلق على المقيد، وبمسح الوجه واليدين

---

(١) رواه الشافعي في مسنده . راجع التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ج٤ ص١٣٣ : أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)
(٢) رواه البخاري .
(٣) متفق عليه .

بالصعيد الطيب، والسبب أن الحكم واحد وهو التيمم والسبب واحد وهو الصلاة.

وكذلك الدم في سور المائدة جاء مطلق ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ..﴾ [المائدة ٣]، وفي سورة الأنعام من قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام:١٤٥]؛ فالحكم واحد وهو بيان نجاسة الدم والسبب ايضا واحد وهو استحلال الصلاة

ثانيًا: إنْ اختلفَ الحكم والسبب، جميعًا، نحو قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[المائدة: ٣٨]، مع قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[المائدة: ٦]، فالحكم مختلف، فهذا في قطع اليد للسارق وهذا في غسل اليد في الوضوء ، والسبب مختلف هذا سرقة، وهذا للطهارة من أجل الصلاة، فهنا لا يحمل المطلق على المقيد هنا. باتفاق الفقهاء .

ثالثًا: أن يختلف الحكم ويتحد السبب، مثاله قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[المائدة: ٦]، مع قوله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾[المائدة: ٦]، هنا اتحد السبب وهو رفع الحدث وإرادة الصلاة واختلف الحكم لأن هذا للوضوء وهذا للتيمم فالجمهور على أن المطلق في هذه الحالة لا يحمل على المقيد.

رابعًا: أن يتحد الحكم ويختلف السبب، مثاله: قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾[المجادلة: ٣]، كما في كفارة الظهار، وقال في كفارة القتل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، فالحكم متحد في الآيتين وهو تحرير العبيد ، والسبب مختلف، هذا في الظهار إرادة العودة إلى الاستمتاع بالزوجة، والثاني في القتل خطأ، فهذه الصورة مختلف فيها، فالجمهور على حمل المطلق فيها على المقيد، المالكية والشافعية والحنابلة. بخلاف الأحناف فالأحناف يرون عدم الحمل، فعند الجمهور يشترط أن تكون رقبة مؤمنة أما الأحناف قالوا ليس شرط ان تكون رقبة مؤمنة .. والله أعلم

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصـــل الثامن عشر

العام والخاص

العام والخاص: وهو من الأبواب المشتركة مع علم أصول الفقه: يقول الإمامُ أحمد بن حنبل رضي الله عنه: لَم نكن نعْرِفُ الخصوص والعموم حتى ورَدَ علينا الشافعيُّ - رضي الله عنه.

تعريف العام: لغة بمعني الشمول والعموم. يقال شملهم، أي: عمهم بالعطية، والعامة: خلاف الخاصة"[١].

تعريف العام اصطلاحًا: هو اللفْظ المستغرِق لجميع ما يصلُح له بوضْع واحدٍ من غير حصْر[٢]. وقيل العام هو: (اللفظ الدال على شيئين فصاعدًا، من غير حصر).

والخاص ما يقابل العام. وهو لغة: الإفراد. واصطلاحًا، (ما لا يتناول شيئين فصاعدًا) ، أو هو اللفْظ الذي لا يستغرِق جميع ما يصلُح له .مثل: قوله إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات مستثنى من العموم .

تعريف التخصيص: لغة: التعيين والتحديد ويقال (خصص له) أي أفرد له.

وتعريفه اصطلاحًا: إخراج بعض أفراد العام عن حكمه بدليل نقلي أو بدليل عقلي، فالأول الدليل النقلي كقوله تعالى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة . ٣٢]، فخرج من عموم عدم العلم وعدم المعرفة ، ما علمهم الله سبحانه تعالى. ومثال العقلي: ﴿بلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ، تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[الأحقاف: ٢٤-٢٥] ، فمن المعقول أن نفهم معنى (كل شيء) لكل شيء قابل للتدمير بواسطة الريح، فخرج منه الجبال والسماوات والأرض والعرش وهكذا[٣] .

صيغ العموم:

وللعموم صيغ كثيرة تدل عليه، ذكر منها القرافي مائتين وخمسين صيغة، ومن هذه الصيغ:

---

(١)لسان العرب: ابن منظور مادة "عمم، (١٢/ ٤٢٦) .
(٢)الموسوعة الفقهيَّة الكُويتيَّة ، و دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: ٤٠٨)
لسان العرب: ابن منظور مادة "عمم" ج١٢ ص٤٢٦.
(٣)راجع كتاب التخصيص بالعقل دكتورة هدي السيد المهدي.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

١- كل، وجميع: وهي أقوى صيغ العموم، مثل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ آل عمران ١٥٨

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإكْرَامِ [سورة الرحمن:٢٦-]. أو للتأكيد مثل: ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون﴾(الحجر ٣٠)، ومثل :﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد- ١٦)، ومنها: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر ١٠]، وقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارا﴾ (نوح ٢٦).

٢- الأسماء الموصولة، مثل: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾[الأحقاف ١٧] ، وقوله: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا﴾[.النساء ١٦.]، و﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَس﴾[.البقرة ٢٧٥]، و﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاس﴾ [البقرة ١٧٤]، و﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾[.النساء ١٥].

٣- أسماء الشرط مثل: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾[.النساء ٩٢] وقوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّه﴾[البقرة ١٩٧]، و﴿أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[.الإسراء ١١٠].

٤- أسماء الاستفهام: كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَه﴾ وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِه﴾[البقرة.]، ومن تفيد العموم إذا كانت شرطية أو استفهامية، أما إذا كانت موصولة مثل ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ فإنها قد تكون للعموم وقد تكون للخصوص، والقرائن هي التي تفيد العموم أو الخصوص.

٥- المعرف بأل التي للاستغراق؛ وليست للعهد ،سواء كان جمعًا، مثل: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوء﴾[البقرة: ٢٢٨]، أو جاء مفردًا مثل: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾[البقرة: ٢٧٥]، ومثل: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] .

أو جاء اسم جنس؛ وهو الذي لا واحد له من لفظه مثل الناس، الحيوان، الماء، التراب، فالناس في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس﴾[الناس: ١]، تفيد العموم، أو مثنى كقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْن﴾، أي كل أختين لا يجوز

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الجمع بينهما. وعلامة "أل" المستغرقة للجنس. أن يصح حلول "كل" محلها، وأن يصح الاستثناء من عمومها.

٥- كل ما أضيف إلى معرفة؛ سواء كان مفردا، أو مثنى، أو جمعا، أو اسم جنس مثل ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾، وقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾، و﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾، وفي الاستثناء هنا إشارة إلى عموم اللفظ.

٦- النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط. مثالها في سياق النفي: قوله تعالى: ﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ وقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾، ومثالها في النهي: {وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً} سورة التوبة: الآية ٨٤. فإن "أحد" نكرة بعد نهي فتفيد العموم، ومثل ﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾[الإسراء: ٢٣]، ومثالها في الشرط: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾[التوبة: ٦].

أما إذا كانت النكرة في سياق الإثبات فلا تفيد العموم، فإذا قلت: ما رأيت رجلًا فهو نفي يفيد العموم، وإذا قلت: رأيت رجلًا فهو إثبات لا يفيد العموم[١].

أنواع العام:

ينقسم العام إلى عام غير مخصوص، وعام مخصوص، وعام يُراد به الخصوص، وخاص يُراد به العمومُ.

١. العام غير المخصوص: هو الذي لم يُستثنَ منه شيء؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الأنفال: ٧٥]، فلا يوجد شيء لا يعلمه الله.

٢. العام المخصوص: فهو الذي استُثني منه بعضُ أفراده؛ كقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [لعصر: ١- ٣].

٣. العام المراد به الخصوص: فهو العام في لفظه الخاص في معناه؛ كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فالمقصود بالناس هنا رجل واحد، وهو نُعيم بن مسعود الثقفي، الذي ثبت أنه صاحب هذا القول.

(١)راجع العقد المنظوم في الخصوص والعموم: القرافي (١ / ٤٥٣، ٥٤٦).

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٤. **الخاص الذي يُراد به العموم:** فهو الخاص في لفظه العام في معناه؛ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾[الأحزاب: ١]، فهذا الأمر في لفظه خاص بالنبي، وفي معناه موجَّه لعموم الناس[١].

أقسام التخصيص

للتخصيص أنواع منها المخصص المتصل، والمخصص المنفصل.

القسم الأول: المخصص المتصل:

١- **الاستثناء:** كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨]، وكقوله سبحانه: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[النحل: ١٠٦]،

٢- **الصفة:** قال الجويني: الوصف عند أهل اللغة معناه التخصيص[٢]، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾[النساء: ٢٥]، فإن لفظ (فتياتكم) عام يشمل المؤمنات والكافرات، لكنه خصص بوصف "المؤمنات". ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾[النساء: ٢٣]، فإن لفظ (نِسَائِكُمُ) يشمل جميع الزوجات المدخول بهن، وغير المدخول بهن ولكن خصص العموم بوصف (اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ).

٣- **الشرط:** من أمثلته قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٢]، فإن لفظ (أزواجكم) عام يشمل ذات الولد وغيرها، وخصص بالشرط "إن لم يكن لهن ولد" فالزوجة التي يرث الزوج نصف مالها. هي غير ذات الولد. ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ١٨٠]، فقوله (أحدكم) عام يوجب الوصية على من ترك مالا وغيره، وخصص بالشرط "إن ترك خيرًا"، فأصبحت الوصية واجبة على من ترك مالًا دون الآخر. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]، فإن الاسم الموصول "الذين" يفيد العموم وخصص بشرط. "إن علمتم فيهم خيرا".

---

(١) راجع دراسات في علوم القرآن ص٤٠٨ : د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي .
(٢) دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: ٤٢٠)

٤- **الغاية:** والمراد بها: نهاية الشيء المقتضية لثبوت الحكم قبلها، وانتفائه بعدها ولها لفظان: "حتى" و"إلى"[(١)]، مثال الأول: ﴿وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾[البقرة: ٢٢٢]، ومثال الثاني: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[المائدة: ٦] .

٥- **بدل البعض من الكل:** وذلك كقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١]، فقوله: (عموا وصموا) يفيد العموم وخصص ببدل البعض "كثير منهم"، وكقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، فإن لفظ "الناس" يفيد العموم وخص بالبدل "من استطاع إليه سبيلا" بدل بعض من كل.

القسم الثاني: المخصص المنفصل.

وهو أن يكون المخصص في موضع آخر غير متصل باللفظ العام اتصالًا لفظيًّا، ومنها:

١- **التخصيص بآية:** فقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[البقرة: ٢٢٨]، عام يشمل كل مطلقة، إلا أنه خص الحوامل في قوله تعالى: ﴿وَأُولاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، كما خص الآيسات من الحيض: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ﴾[الطلاق: ..]، وخص غير المدخول بها قال تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾ [البقرة.]، يشمل كل مشركة كتابية كانت أو غير كتابية، وجاء التخصيص في قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [النساء: الآية ٢٤]، فخص الكتابية من المشركات بجواز الزواج منها[(٢)].

التخصيص بالسنة قولًا كان أو فعلًا:

للسنة أن تخصص عام القرآن وهذا العمل من أعمال السنة مع القرآن، فقوله تعالى بعد أن عدد المحرمات من النساء: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ مخصوص بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: « لا تنكح المرأة على

(١) دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: ٤٢٢)
(٢)راجع دراسات في علوم القرآن – (١ / ٤).

عمتها ولا على خالتها»[١]، حيث خص أربع نساء وهن عمة الزوجة وخالتها، وابنة أخيها، وابنة أختها.

وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[النساء]، عام يدل على أن جميع الأولاد يرثون من آبائهم، لكنه مخصوص بقول الرسول ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم»[٢]، وبقوله ﷺ: «لا يرث القاتل شيئًا»[٣]، وبما رواه أبو بكر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «لا نورث، ما تركناه صدقة»[٤]، فخرج أولاد الأنبياء فإنهم لا يرثون. وهكذا . كما يوجد ما يعرف التخصيص بالإجماع و التخصيص بالقياس.

أهمية معرفة العام والخاص:

له أهمية كبير وخاصة في معرفة الأحكام الشرعية، يقول الشيخ مناع القطان: يظهر مكانه علم "العام والخاص" وأثره في استنباط الأحكام؛ ولذا نجد بسط مباحثه في كتب أصول الفقه خاصة، ونظرًا لتعلق الاستنباط بآيات القرآن فقد درسه أيضًا أرباب العلوم القرآنية، وأفردوه بمباحث خاصة في بطون مؤلفاتهم[٥].

ومن الكتب التي اعتنت بعلم العام والخاص: المستصفى للغزالي (٣٥/٢-٣٦)، إحكام الفصول للباجي ص ٢٣١، وشرح تنقيح الفصول للقرافي ص ١٧٩-١٨٥، شرح الكوكب المنير لابن النجار ١١٩/٣ روضة الناظر لابن قدامة، ومذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لمحمد الأمين الشنقيطي ص ٣٥٨-

---

(١) رواه مسلم
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه أبو داود في سننه
(٤) رواه البخاري .
(٥) مناع القطان مبحث من علوم القرآن .. دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: ٤٠٨)

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصـــل التاسع عشر

الأمر والنهي في القرآن الكريم

الأمر والنهي من المباحث المشتركة مع علم أصول الفقه.

تعريف الأمر:

الأمر لغةً: هو الحال أو الشأن، ومنه قوله تعالى عن فرعون: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[هود: ٩٧]

واصطلاحًا: الأمر: هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء. ومعنى الاستعلاء ان يكون صادر من جهة أعلى ،كالسيد مع عبده، والسلطان مع رعيته، فإن كان الأمر من جهة متساوية يسمى التماس، كما في قوله تعالى: ﴿فأوف لنا الكيل وتصدق علينا﴾[يوسف:٨٨]، وإن كان من جهة أقل يكون دعاء ورجاء والتضرع مثل : ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾[نوح:٢٨]، وقوله سبحانه: ﴿رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نَصِيرًا﴾[الإسراء:٨٠]، فهذا لا يسمى أمرا ولكن يسمى دعاء ورجاء وتضرع . جاء بصيغة الأمر

الأمر في القرآن يفيد الوجوب، استنادا للقاعدة: (الأصل في الأمر أنه للوجوب) وهو قول جمهور العلماء، مثال قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ [البقرة:٤٣]، فهذه الأوامر تفيد الوجوب والالتزام.

قال الشيخ الشنقيطي في الأضواء عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:٦٣]، قال: وهذه الآية الكريمة قد استدل بها الأصوليون على أن الأمر المجرد عن القرائن يقتضي الوجوب، لأنه جل وعلا توعد المخالفين عن أمره بالفتنة أو العذاب الأليم، وحذرهم من مخالفة الأمر، وكل ذلك يقتضي أن الأمر للوجوب، ما لم يصرف عنه صارف، لأن غير الواجب لا يستوجب تركه الوعيد الشديد والتحذير.

ويستثني من ذلك الأوامر التي جاءت معها قرينة تصرفها من الوجوب إلى غيره، وذهب بعض العلماء أن الأمر يفيد الاستحباب إلا إذا صرفته قرينة، وذهب بعض العلماء أيضا إلى التفريق بين أمر الله عز وجل، وأمر الرسول ﷺ، فقالوا إن أمر الله عزوجل يكون الوجوب وأمر الرسول ﷺ يكون للانسحاب، ولكن الراجح هو القول الأول للأدلة الثابتة أنه يفيد الوجوب ، إلا إذا صرفته قرينة، قال في مراقي السعود:

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وافعل لدى الأكثر للوجوب * وقيل للندب أو المطلوب
وقيل للوجوب أمر الـــرب * وأمر من أرسله للنـــدب

وهذا هو مذهب جمهور العلماء من المذاهب الأربعة ، حيث قالوا : " أن الأمر المجرد عن القرائن يفيد الوجوب"، واستدلوا أيضا بقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا﴾[الأحزاب: ٣٦][1].

وإلى الصيغ الدالة على الأمر أربع، وكلها في القرآن، وهي:

١ - فعل الأمر، افعل مثال ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾[الإسراء: ٧٨].

٢ - المضارع المجزوم بلام الأمر، نحو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾[النور: ٦٣]، وقوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[المجادلة: من الآية ٤]

٣- اسم فعل الأمر، نحو ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[المائدة: ١٠٥]، معناه: الزموا أنفسكم.

٤- المصدر النائب عن فعله، نحو: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[محمد: ٤][2].

صيغ الأمر:

وقد يأتي الأمر أحيانا ويراد به **(الندب والاستحباب)**،

مثل قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[النور: ٣٣]، فالأمر بالمكاتبة مندوبة بقرينة أن المالك حر التصرف في ملكه.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾[البقرة: ٢٨٢]، فالأمر بكتابة الدين يدل على الاستحباب، والقرينة هي الآية التالية: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾[البقرة: ٢٨٣]، أي: عند الثقة، فلا حاجة للكتابة، وكذلك أثر عن النبي ﷺ والصحابة الكرام أنهم اقترض بعضهم من بعض بدون كتابة، يقول أبو بكر بن العربي -رحمه الله- في أحكام القرآن: ولا خلاف بين فقهاء الأمصار أن الأمر بالكتابة والإشهاد والرهن المذكور جميعه في هذه الآية ندب وإرشاد لنا إلى ما لنا فيه الحفظ والصلاح والاحتياط للدين والدنيا، وأن شيئاً منه غير واجب. انتهى.

---

(١) راجع- كتاب مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، (ص٢٩٣) .
(٢) راجع: الأصول من علم الأصول، ما تقتضيه صيغة الأمر، (ص ٢٦).

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٣ – **(الإباحة)**: مثل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾[البقرة: ١٨٧]، فالأمر للإباحة لوجود القرينة أن الأكل أو الشرب تستدعيه الفطرة عند كل مخلوق حي، ومثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾[الجمعة: ١٠]، فالأمر بالانتشار والسعي بعد صلاة الجمعة يفيد الإباحة، وكذا في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢].

وكذا يأتي الأمر ويقصد منه **(التهديد)** قول الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[فصلت: ٤٠]، بدليل تتمة الآية: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[فصلت: ٤٠]. وقوله قول الله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[الإسراء: ٦٤]، وكذا يأتي الأمر ويقصد منه التعجيز، كما في قول الله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾[الإسراء: ٥٠]، وقول الله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤]، وكذا يأتي الأمر ويقصد **(الإهانة)**، كما في قول الله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[الدخان: ٤٩][(١)].

النهي في القرآن:

كذلك الأصل في النهي الذي جاء في القرآن يفيد التحريم، إلا أن تأتي قرينة تصرفه من التحريم إلى الكراهة، فإذا جاءت آية أو حديثاً بصيغة: (لا تفعل)، فمعنى ذلك: أن هذا الفعل محرم، إلا أن وجد قرينة تصرفه من التحريم إلى غيره، وهذا مذهب جمهور العلماء.

ومن الأدلة على أن الأصل في النهي التحريم: ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة وغيره أن النبي ﷺ قال: «ما أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فانتهوا»[(٢)]، قال الشافعي رحمه الله تعالى أصل النهي من رسول الله ﷺ أن كل ما نهى عنه فهو محرم حتى تأتي عنه دلالة تدل على أنه إنما نهى عنه التحريم إما أراد به نهيا عن بعض الأمور دون بعض وإما أراد به النهي للتنزيه عن المنهي والأدب والاختيار ولا نفرق بين نهي النبي ﷺ إلا القدرة -كذا- عن رسول الله أو أمر لم يختلف فيه المسلمون فنعلم أن المسلمين كلهم لا يجهلون سنة وقد يمكن أن يجهلها بعضهم[(٣)].

---

(١) الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، للزحيلي (ص ٢٢)، والوجيز في أصول الفقه الإسلامي، عبدالكريم زيدان، (ص ٣٠٢).

(٢) **متفق عليه**: خرجه الشيخان في صحيحيهما.

(٣) الأم، الشافعي، (ص٤٧٧).

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وقال ابن عبد البر رحمه الله: "النهي من قبل الله إذا ورد فحكمه التحريم ، إلا أن يزيحه عن ذلك دليل يبين المراد منه، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : «أما علمت أن الله حرمها، ثم قال: إن الذي حرم شربها حرم بيعها»[1]، فأطلق عن الله تحريمها"[2].

ومن الأمثلة على أن النهي الذي جاء بدون القرائن يفيد التحريم:

[١] قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

[٢] قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩].

[٣] قول الله تعالى: ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[النساء: ٢٩].

[٤] قول الرسول ﷺ: «لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ»[3].

صيغ النهي الدالة على التحريم:

صيغ النهي الدالة على التحريم كثيرة منها ما ذكرها ابن القيم في (بدائع الفوائد) فقال: يستفاد التحريم من النهي، والتصريح بالتحريم، والحظر، والوعيد على الفعل، وذم الفاعل، وإيجاب الكفارة بالفعل، وقوله: "لا ينبغي" فإنها في لغة القرآن والرسول للمنع عقلا أو شرعا، ولفظة: "ما كان لهم كذا، ولم يكن لهم" وترتيب الحد على الفعل، ولفظة: "لا يحل، ولا يصلح" ووصف الفعل بأنه فساد، وأنه من تزيين الشيطان وعمله، وإن الله لا يحبه، وأنه لا يرضاه لعباده، ولا يزكي فاعله ولا يكلمه ولا ينظر إليه، ونحو ذلك. اهـ.

النهي الذي لا يراد منه التحريم:

قد يرد النهي في بعض النصوص، فيحمل على الكراهة؛ وذلك لوجود صارفٍ يَصْرف ذلك النهي من التحريم إلى الكراهة، ومن تلك الصوارف:

أ . أن يعارض قوله فعله عليه الصلاة والسلام، فإذا نهى عن شيء عليه الصلاة والسلام ، ثم فعل ذلك المنهي عنه دل ذلك على أن النهي للكراهة، مثلما نهى عن الشرب قائماً ، ثم شرب قائماً في بعض الأحيان دل على أنه ليس نهيا للتحريم ، وأنه يجوز الشرب قائماً وقاعداً ، ولكنه إذا شرب قاعداً يكون أفضل وأحسن".

---

(١) رواه
(٢) التمهيد، لابن عبد البر، (٤ / ١٤١) .
(٣) متفق عليه.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ب . أن يكون النهي جاء في باب الآداب ،فعند جمهور أهل العلم على أن النهي هنا يراد منه الكراهة، كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري: قَوْله: (بَاب النَّهْي عَنْ اِلاسْتِنْجَاء بِالْيَمِينِ) أي: بِالْيَدِ الْيُمْنَى، وَعَبَّرَ بِالنَّهْيِ إِشَارَة إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَظْهَر لَهُ هَلْ هُوَ لِلتَّحْرِيمِ أَوْ لِلتَّنْزِيهِ أَوْ أَنَّ الْقَرِينَة الصَّارِفَة لِلنَّهْيِ عَنْ التَّحْرِيمِ لَمْ تَظْهَر لَهُ، وَهِيَ أَنَّ ذَلِكَ أَدَب مِنْ الْآدَاب، وَبِكَوْنِهِ لِلتَّنْزِيهِ قَالَهُ الْجُمْهُور، وَذَهَبَ أَهْل الظَّاهِر إِلَى أَنَّهُ لِلتَّحْرِيمِ "[1]. انتهى .

ج . أن يكون النهي في مواطن دون مواطن و أحوال دون أحوال، كما في صوم يوم الجمعة ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَصُمْ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ قَبْلَهُ أَوْ يَصُومَ بَعْدَهُ»[2]، فالصيام مباح بشرط عدم إفراده ، فتجويزه في حال دون حال يصرفه عن التحريم عند بعض أهل العلم .

د . أن يرد الإجماع على عدم التحريم، وأن يُنقل الإجماع في مسألة معينة علي أن النهي فيها للكراهة ، كما في مسألة القزع، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: «نَهَى عَنْ الْقَزَعِ قَالَ قُلْتُ لِنَافِعٍ وَمَا الْقَزَعُ قَالَ يُحْلَقُ بَعْضُ رَأْسِ الصَّبِيِّ وَيُتْرَكُ بَعْضٌ»[3]، قال الإمام النووي رحمه الله: "وَأَجْمَع الْعُلَمَاء عَلَى كَرَاهَة الْقَزَع إِذَا كَانَ فِي مَوَاضِع مُتَفَرِّقَة، إِلَّا أَنْ يَكُون لِمُدَاوَاةٍ وَنَحْوهَا، وَهِيَ كَرَاهَة تَنْزِيه"[4]. انتهى، إلى غير ذلك من الصوارف.

وقد يأتي النهي ويراد منه الدعاء والطلب؛ لأنه يكون من جهة أقل ال جهة أعلي و من الأدنى إلى الأعلى، قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[آل عمران: ٨]، وقد يأتي النهي ويراد منه الارشاد؛ لأنه نهي إرشاد وأداب، مثل قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾[المائدة: ١٠١]، ومثل قول النبي ﷺ: (وَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ)، والله أعلم .

---

(١)فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر .
(٢)أخرجه مسلم (١١٤٤)
(٣)رواه مسلم.
(٤)شرح مسلم للنووي.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصل العشرون

الإسرائيليات وصلتها بالتفسير

التعريف بالإسرائيليات:

والإسرائيليات هي: ما كان من الأخبار والقصص اليهودية التي تسربت إلى كتب التفسير سواء كانت أخبار عن بني يهود أو نصارى فكلاهما من بني إسرائيل أو عن غيرهم من باب التغليب[١].

يقول الدكتور الذهبي: إنما أطلقنا على جميع ذلك لفظ "الإسرائيليات"، من باب التغليب للجانب اليهودى على الجانب النصرانى، فإن الجانب اليهودى هو الذى اشتهر أمره فكثر النقل عنه، وذلك لكثرة أهله، وظهور أمرهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالَم ودخل الناس فى دين الله أفواجا [٢].

أسباب دخول الإسرائيليات في كتب التفسير:

أولًا: يرجع الى اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض القصص مع الفارق ،وهو الإيجاز في القرآن والإطناب وذكر بعض التفاصيل في كتب أهل الكتاب وكان الرجوع إلى أهل الكتاب لمعرفة مزيدا من التفاصيل

ثانيًا: وجود بعض اليهود والنصارى في جزيرة العرب، وأدى هذا إلى التأثر بكتبهم، وهذا ما حدث مع سيدنا عمر بن الخطاب أتى النبي بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي قال فغضب وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذِّبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني»[٣].

ثالثًا: قد كان للعرب رحلتين معروفتين رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، «وفي اليمن والشام كثير من أهل الكتاب، معظمهم من اليهود».

رابعًا: الترخيص من الرسول ﷺ للصحابة الكرام الرواية عن بني إسرائيل ، فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله قال: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني

---

(١) كتاب المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره محمد علي الحسن ص٢٤٧
(٢) التفسير والمفسرون (١/ ١٢١) .
(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند..

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[1]، فقد كان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه من حديث حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج من الإذن في ذلك.

خامسًا: وجود بعض القصاصين الذين كانوا يقصون على مسامع الناس قصصا ،من أجل التذكرة والموعظة بدون تحري للإسناد ، ولا وقوف عند صحة او ضعف الأخبار المنقولة

من أشهر الرواة للإسرائيليات:

كعب الأحبار (ت ٣٢ هـ): وهو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها، عن مئة وأربع سنين

عبد الله بن سلام (ت ٤٣ هـ): عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي: أبو يوسف: صحابي، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب. أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه " الحصين " فسماه رسول الله صلّى الله عليه وسلم عبد الله. وفيه الآية: " وشهد شاهد من بني إسرائيل " والآية " ومن عنده علم الكتاب " وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية، اتخذ سيفا من خشب، واعتزلها. وأقام بالمدينة إلى أن مات. له ٢٥ حديثا.

وهب بن منبه (ت ١١٤ هـ): ولد سنة ٣٤ هجرية، وهو وهب بن منبه الا بناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. يعد في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن. وأمه من حمير. ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها.

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت ١٥٠ هـ): أبو الوليد وأبو خالد: فقيه الحرم المكيّ. كان إما م أهل الحجاز في عصره. وهو أول من صنف التصانيف في

(١)رواه البخاري .

العلم بمكة. روميّ الأصل، من موالي قريش. مكي المولد والوفاة. قال الذهبي: كان ثبتا، لكنه يدلس[١].

أقسام الإسرائيليات:

تنقسم الإسرائيليات إلى ثلاث أقسام:

القسم الأول: المقبول وهو ما يُعلَم صحته بالنقل عن النبي وهو صحيح مقبول. أو كان له شاهد من الشرع يؤيده ويقره.

وله أمثلة كثيرة في السنة النبوية كمثل كقصة الكفل وغيرها فعن سَعْدٍ مَوْلَى طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلاَّ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنِ امْرَأَتِهِ أُرْعِدَتْ وَبَكَتْ فَقَالَ مَا يُبْكِيكِ أَأَكْرَهْتُكِ قَالَتْ لاَ وَلَكِنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلاَّ الْحَاجَةُ فَقَالَ تَفْعَلِينَ أَنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتِهِ اذْهَبِي فَهِيَ لَكِ. وَقَالَ لاَ وَاللَّهِ لاَ أَعْصِي اللَّهَ بَعْدَهَا أَبَدًا. فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكِفْلِ»[٢]، وقصة المرأة التي سقت كلبا من بني إسرائيل فغفر الله لها وأدخلها الجنة، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ « أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا ، فَغُفِرَ لَهَا»[٣]، وقصة الثلاثة من بني إسرائيل: «أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى»[٤].

القسم الثاني: المرفوض وهو ما يُعلَم كَذِبه فلا يصح قبوله ولا روايته لمخالفته أحكام الشريعة الإسلامية، كقصة"هاروت وماروت"، كما جاءت في سورة البقرة. وهو أن الله علم السحر الملكين هاروت وماروت ببابل. ثم أنزلهما الله إلى الأرض فتعرضت لهما امرأة جميلة فاتنة معها طفلها، فراوداها عن نفسها فقبلت ولكن اشترطت أن يسجدا لصنم فسجدا، فمسخ الله تلك المرأة فأصبحت كوكب الزهرة، وأبقى على الملكين ببابل حيث يعذبان بذنب كل عاص يرتكب ما ارتكباه إلى يوم القيامة .

وهذا كلام باطل ومخالف للشرع لأن الملائكة، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

---

(١)الأعلام. لخير الدين بن محمود ،الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) : دار العلم للملايين.
(٢) أخرجَهُ أحمد والترمذي
(٣)البخاري ومسلم .
(٤)أخرجه البخاري .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٣٠].

وقصة النبي سليمان عليه السلام :التي تقول أن الجن هم الذين قتلوا سيدنا سليمان، واستولوا على عرشه وعرفوا أسرار ملكه، وكيف كان يسخرهم لخدمته، وعلّموا ذلك الكهنة والدجالين ليضروا بالبشر.

القسم الثالث: المسكوت عنه لا هو من الأول ولا من الثاني،فلا يصدق ولا يكذب، فلا نؤمن به ولا نكذّبه، وتجوز رواية للاعتبار والموعظة ولا يصدق ولا يكذب ولا يجزم أنه صحيح يوضع في دائرة الشك، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ:كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَؤُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ ، وَقُولُوا : (آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) الآيَةَ»[(١)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا غَيْرَ الْقُرْآنِ فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ. وقال: حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، حَدِّثُوا عَنِّي وَلاَ تَكْذِبُوا عَلَيَّ، قَالَ: وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ (قَالَ هَمَّامٌ: أَحْسَبُهُ قَالَ مُتَعَمِّدًا) فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[(٢)].

قال ابن كثير في مقدمة تفسيره -بعد أن ذكر حديثَ "بلّغُوا عنّي ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَجَ، ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار"ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد.

فإنها على ثلاثة أقسام: **أحدها:** ما علمنا صحتَه مما بأيدينا مما نشهدُ له بالصدق، فذاك صحيح. **والثاني:** ما علمنا كذبَه بما عندنا مما يخالفه. **والثالث:** ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمِنُ به ولا نكذّبه، وتجوزُ حكايتُه لما تقدّم. وغالبُ ذلك مما لا فائدة فيه تعودُ إلى أمرٍ دينيّ. ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلافٌ بسبب ذلك. كما يَذكرون في مثل أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعِدّتهم، وعصا موسى من أيِّ شجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضُرِبَ به القتيلُ من البقرة، ونوع الشجرة التي كلَّم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود

---

(١) أخرجه البخاري .
(٢) أخرجه أحمد ومسلم.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

على المكلفين في دنياهم ولا دينهم. ولكن نقلُ الخلاف عنهم في ذلك جائز. كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ..﴾ إلى آخر الآية [الكهف: ٢٢] [(١)].

اختلف المفسرون في ذكر الإسرائيليات:

نجد أن المفسرين اختلف تعاملهم مع الإسرائيليات فمن العلماء من كان يذكر الإسرائيليات بسندها ويسكت عنها ولا يتكلم فيها ،ومنهم من أكثر من ذكرها ، ومنهم من كان يذكر الإسرائيليات ويحكم عليها.

أ- فمنهم من أكثر منها وذكرها بأسانيدها ، وكان يرى أنه طالما ذكر أسانيدها خرج من عهدتها ،مثل ابن جرير الطبري، من باب القاعدة التي تقول من أسند لك فقد أحالك أو من أسند فقد أحال، أو من أحال فقد برئت منه الذمة.

ب- ومنهم من أكثر منها ، وجردها من الأسانيد غالبا ، فكان حاطب ليل مثل الثعلبي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن تفسير البغوي : إنه مختصر من الثعلبي ، لكنه صانه عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة ، وقال عن الثعلبي : إنه حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع.

ج- ومنهم من ذكر كثيرا منها، ولكنه حكم عليها تعقب البعض مما ذكره بالتضعيف أو الإنكار مثل ابن كثير.

د- ومنهم من بالغ في ردها ولم يذكر منها شيئا في تفسيره للقرآن.

مثل الإمام الشوكاني رحمه الله (ت : ١٢٥٠هـ) صاحب تفسير فتح القدير، فلقد امتاز تفسيره بعدم ذكر الإسرائيليات، إلا للرد عليها، وكمحمد رشيد رضا .صاحب تفسير المنار، وكذلك الإمام الألوسي رحمه الله (ت : ١٢٧٠ هـ) في تفسيره " روح المعاني " فكان يرفض الإسرائيليات رفضًا باتًّا[(٢)].

---

(١)تفسير ابن كثير : (١/ ٣١) .

(٢)راجع مؤلفات في هذا الباب: التفسير والمفسرون. المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ) ، الإسرائيليات في التفسير والحديث ، للدكتور محمد الذهبي ، ط٤ ، (١٩٩٠م) ، مكتبة وهبة – القاهرة ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، د.محمد أبو شهبة ، ط٤ (١٤٠٨هـ) مكتبة السنة، والإسرائيليات في تفسير الطبري دراسة في اللغة والمصادر ، د.أمال محمد ربيع ، ط (١٤٢١هـ-٢٠٠١م) والإسرائيليات وحكم روايتها. د. بدر عبد الحميد هميسه.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصـــل الحادي والعشرون

التفسير والتأويل والمفسرون:

التفسير في اللغة: الإيضاح والبيان، يقال أسفر الصبح: أي ظهر وانكشف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بالحق وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان: ٣٣]، أي: بياناً وتفصيلاً، قال ابن عباس في قوله تعالى: {وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً} أي تفصيلًا قال الأزهري الفَسرُ: كَشفُ المغطَّى. قال ابن فارس: (فسر) الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيءٍ وإيضاحه، ومن ذلك الفَسْر، يقال: فسَّرتُ الشيء وفَسَرتُه. والفَسْرُ والتَّفْسِرَة: نظر الطبيب إلى الماء، وحكمه فيه[١].

واصطلاحا: تكاد تتفق كلمة المفسرين علي تعريف التفسير، بأنه العلم الذي يبحث في كلمات القرآن ،فيظهر المعنى ويوضح الحكم، ويزيل الإشكال.

وقد عرَّفه أبو حيان فى البحر المحيط بأنه: "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك[٢].

وعرَّفه الزركشي بأنه: "علم يُفهم به كتاب الله المُنَزَّل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"[٣].

وعرَّفه الزُّرقاني بقوله: " علمٌ يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطَّاقة البشرية"[٤].

الفارق بين التفسير والتأويل:

اختلف العلماء فى بيان الفرق بين التفسير والتأويل، قال أبو عبيدة وطائفة معه: "التفسير والتأويل بمعنى واحد" فهما مترادفان. وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير.

ومنه دعوة رسول الله ﷺ لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل

قال الراغب الأصفهانى: "التفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يُستعمل التفسير فى الألفاظ، والتأويل فى المعانى، كتأويل الرؤيا". وقيل التفسير: ما وقع مبينا في كتاب الله أو معينا في صحيح السنة ؛ لأن معناه قد ظهر ووضح، والتأويل ما

---

(١)راجع مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٤) .
(٢) توثيق من البحر المحيط . التفسير والمفسرون (١/ ١٣)
(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/ ١٣).
(٤) مناهل العرفان (٢/ ٣).

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

استنبطه العلماء ، ولذا قال بعضهم : " التفسير ما يتعلق بالرواية ، والتأويل ما يتعلق بالدراية". وقيل: التفسير: أكثر ما يستعمل في الألفاظ ومفرداتها، والتأويل: أكثر ما يستعمل في المعاني والجمل - وقيل غير ذلك[١]، والذي يتضح أن التفسير والتأويل ، متقاربان في المعنى فهما بمعنى واحد ولا يوجد خلاف بينهما.

فضل علم التفسير:

قال تعالى: ﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾[ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾[محمد: ٢٤]، ولقد أمر الله تعالى النبي ببيان القرآن وتوضيحه للأمة قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: ٤٤]، فكان أصحابه الكرام رضي الله عنهم إذا أشكل عليهم شيء من القرآن سألوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا الإشكال.

قال الإمام الطبري -رحمه الله- وهو يبين أهمية التفسير: (اعلموا عباد الله - رحمكم الله - أن أحق ما صرفت إلي علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية ما كان لله في العلم به رضي وللعالم إلى سبيل الرشاد هدي، وإن أجمع ذلك لباغيه كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر وسني الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [٢].

يقول السيوطي (التفسير من أجلِّ علوم الشريعة وأرفعها قدرًا، وهو أشرف العلوم موضوعًا وغرضًا وحاجة إليه لأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة. ومعدن كل فضيلة ولأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية وإنما اشتدت الحاجة إليه؛ لأن كل كمال ديني أو دنيوي لا بد وأن يكون موافقًا للشرع، وموافقته على العلم بكتاب الله[٣].

يقول الإمام القرطبي في فضل علم التفسير فعقد لذلك فصلا في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) أورد فيه أهمية التفسير ، (ورد عن إياس بن معاوية في فضل التفسير قال: مثل الذين يقرءون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلهم روعة، ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فاقرءوا ما في الكتاب) [٤].

---

(١) راجع مباحث في علوم القرآن » التفسير والتأويل » الفرق بين التفسير والتأويل (ص: ٣٢٠)، راجع كتاب التفسير والمفسرون. محمد حسين الذهبي، (ص: ١٧).
(٢) تفسير الطبري، (١/ ١٥) .
(٣) انظر "الإتقان" (٢/ ١٧٥) .
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن أهمية التفسير: «وحاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن الذي هو حبل الله المتين والذكر الحكيم، والصراط المستقيم

شروط المفسِّر: وقد ذكر العلماء للمفسر شروطًا منها:

١. **إخلاص النّية لله تعالى:** لأن الإخلاص ،شرط قبول الأعمال، فلا بد، وأن يبتغي وجه الله -تعالى-،في تفسيرة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

٢. **صحة الاعتقاد:** فإن العقيدة هي الأصل والأساس و لها أثرها في نفس صاحبها، فإن لم يكن المفسر صحيح العقيدة ضل بسببه الناس.

٣. **التجرد عن الهوى:** فالأهواء تدفع أصحابها إلى التخبط هنا وهناك والسير خلف كل ناعق كما ظهر من بعض الفرق الضالة، القدرية والرافضة والمعتزلة وغيرهم من غلاة المذاهب، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[الجاثية: ٢٣] .

٤. **التّحلّي بالأخلاق الحسنة:** فلا بد أن يكون المفسر، قدوة في حياته ومصباحا ينور للناس حياتهم، قال الدكتور محمد الصّباغ: "إنّ هذا الكتاب الكريم لا يفتح خزائن كنوزه وجواهره ودرره إلا لمن آمن بمنزله، وعمل به كله، وأحلّ حلاله وحرّم حرامه، وأخلص لله النّية في فهمه وطلبه للعلم الذي يبلغه تفسيره وتدبره

٥. **التحلي بالسكينةٍ والوقارٍ:** والهيبةٍ في حياته جميعا خاصة، في مشيته ومعاملاته مع الناس، قال ابن القيِّم: (الطُّمَأنِينة والوَقَار والسُّكون، الذي ينزِّله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدَّة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوَّة اليقين والثَّبات)[١].

وقال الجرجانى: (السَّكِينَة: ما يجده القلب من الطُّمَأنِينة عند تنزُّل الغيب، وهي نور في القلب يَسْكُن إلى شاهده ويطمئن) [٢].

وقال الجرجانى: (السَّكِينَة: ما يجده القلب من الطُّمَأنِينة عند تنزُّل الغيب، وهي نور في القلب يَسْكُن إلى شاهده ويطمئن) [٣].

---

(١)مدارج السالكين (٥٠٣/٢)
(٢) انظر: التعريفات (١٥٩/١).
(٣)انظر: التعريفات (١٥٩/١).

٦. الحرص على النّقل الصحيح المنضبط وتحري الدقة في النقل.

٧. أن يكون المفسر عالما بأصول التفسير، وعلوم الحديث وعلوم اللغة العربية، فيعتمد في تفسيره بتفسير القرآن بالقرآن، فما أُجمل في موضع ،فُصل في موضع آخر، وما اختُصر في موضع فقد بُسط في موضع آخر.

ولا يجوز لأحد أن يفسّر القرآن حتي يتقن العلوم الواجب توفرها لدى المفسر، وقد حصرها العلماء في خمسة عشر فناً وهي اللغة، والنحو، التصريف، والاشتقاق، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم القراءات، وعلم أصول الدين، وعلم أصول الفقه، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وعلم الفقه، وعلم الحديث، وعلم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما عَلِمَ. فَمَن فَسّر بدون هذه العلوم كان مفسراً بالرأي المنهي عنه[١].

يقول الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن: ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٦٩] وقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل: ٤٤] فأضاف البيان إليهم. وعليه حملوا قوله -ﷺ-: «من قال في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار»[٢]، من حديث ابن عباس، وقوله -ﷺ-: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[٣].

٨. وان يعتمد في التفسير علي السُّنَّة النبوية لأنها شارحة للقرآن وموضحة له، ومبينة ومفصلة. ومؤكدة لآياته، قال تعالي: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[النحل: ٤٤]، قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾[النساء: ٨٠]، ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما﴾[النساء: ١٠٥] .

عن المقدام بن معد يكرب، عن رسول الله ﷺ أنه قال: « ألا وإنى أوتيتُ الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحِلُّوه، وما وجدتم فيه من حرام فَحرِّموه، إلا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذى ناب من السباع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغنى

---

(١)راجع البيضاوي ومنهجه في التفسير، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إعداد: يوسف أحمد علي، (ص: ٢٦٠-٢٦٢).

(٢) رواه البيهقي من طرق، من حديث ابن عباس.

(٣)أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، وقال: غريب، من حديث ابن جندب.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عنها صاحبها، ومَن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قِراه» [(١)].

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "كل ما حكم به رسول الله -ﷺ- فهو مما فهمه من القرآن"[(٢)]، وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "السنة تفسر القرآن وتبينه"[(٣)]

هل فسر النبي ﷺ القرآن كله للصحابة الكرام؟

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذكر لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: ٤٤]، معناه فصل لهم ما أجمل ، وبين لهم ما أشكل. يقول ابن كثير والبغوي ، أراد بالذكر الوحي ، وكان النبي ﷺ مبينا للوحي ، وبيان الكتاب يطلب من السنة، فهل بَيَّنَ رسول الله ﷺ لأصحابه القرآن كله، أفراداً وتركيباً، وما يتبع ذلك من بيان الأحكام؟ أو أنه بيَّن لهم المقدار الذي بيَّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن لأصحابه:

اختلف العلماء فى المقدار الذي بيَّنه النبى ﷺ من القرآن لأصحابه: فمنهم مَن ذهب إلى القول بأن رسول الله ﷺ بيَّن لأصحابه كل معانى القرآن كما بيَّن لهم ألفاظه، وعلى رأس هؤلاء ابن تيمية.

ومنهم مَن ذهب إلى القول بأن رسول الله ﷺ لم يُبيِّن لأصحابه من معانى القرآن إلا القليل، وعلى رأس هؤلاء: والسيوطى،

وقد استدل كل فريق على ما ذهب إليه بأدلة منها.

أدلة الفريق الأول: مَن قال النبى ﷺ بيَّن كل معانى القرآن، قالوا عن قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذكر لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[..النحل ٤٤]

والبيان فى الآية يتناول بيان معاني القرآن، كما يتناول بيان ألفاظه، وقد بيَّن الرسول ألفاظه كلها، فلا بد أن يكون قد بيَّن كل معانيه أيضاً، وإلا كان مقصِّراً فى البيان الذى كُلِّفَ به من الله.

---

(١) سنن أبي داود وهو صحيح

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ٣٩) ابن تَيْمِيَّة (٦٦١ - ٧٢٨ هـ)
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر.
• وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الاسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ج١ ص٣٩. دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: ١٥٣

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ما روى عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قال: «حدَّثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلَّموا من النبى ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلَّمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً» [١] .

ولهذا كانوا يبقون مدة طويلة فى حفظ السورة، وقد ذكر الإمام مالك فى الموطأ: أن ابن عمر أقام على حفظ "البقرة" ثمان سنوات، والذى حمل الصحابة على هذا، ما جاء فى كتاب الله تعالى من قوله: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ليدبروا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، وتدبر الكلام بدون فهم معانيَه لا يمكن، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، فهذه الآثار تدل على أن الصحابة تعلَّموا من رسول الله ﷺ معانى القرآن كلها، كما تعلَّموا ألفاظه.

قالوا: إن العادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكتاب الله الذى فيه عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة؟

وبما أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه عن عمر رضى الله عنه أنه قال: «من آخر ما نزل آية الربا، وإن رسول الله ﷺ قُبض قبل أن يُفسِّرها» [٢]، وهذا يدل بالفحوى على أنه كان يُفسِّر لهم كل ما نزل، وأنه إنما لم يُفسِّر هذه الآية، لسرعة موته بعد نزولها، وإلا لم يكن للتخصيص بها وجه.

القول الثاني: أدلة مَن قال بأن النبى ﷺ لم يبيِّن لأصحابه إلا القليل من معانى القرآن: استدل أصحاب هذا الرأي بما يأتى:

أولًا: ما أخرجه البزَّار عن عائشة قالت: «ماكان رسول الله ﷺ يُفسِّر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد، علَّمه إياهنَ جبريل» [٣]، وقالوا: إن بيان النبي صلى الله عليه وسلم لكل معانى القرآن متعذر، ولا يمكن ذلك إلا فى آى قلائل، وقالوا: لو كان رسول الله ﷺ بيَّن لأصحابه كل معانى القرآن لما كان لتخصيصه ابن عباس بالدعاء بقوله: "اللَّهم فقهه فى الدين وعلِّمه التأويل" [٤]، والحقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن للصحابة الكرام الا ما اشكل عليهم فالصحابة ليسوا بحاجة إلى توضيح جميع القرآن ،لأنهم أهل بلاغة وبيان فبالتاكيد ،كانوا يفهمون الكثير والكثير، من مراد الله تعالى وما أشكل عليهم وخفي يلجأون فيه إلى رسول الله ﷺ .

---

(١)الإكليل في المتشابه والتأويل (ص: ٤٧) ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)
(٢) رواه أحمد وابن ماجه من حديث عمر
(٣) رواه البزار ..
(٤)راجع بتصرف كبير كتاب التفسير والمفسرون[محمد حسين الذهبي، (١ ص٤١) .

يقول ابن جرير: "التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله"[١].

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي: وبدهي أن رسول الله ﷺ لم يفسِّر لهم ما يرجع فهمه إلى معرفة كلام العرب، لأن القرآن نزل بلغتهم، ولم يفسِّر لهم ما تتبادر الأفهام إلى معرفته وهو الذي لا يُعرفه أحد بجهله، لأنه لا يخفى على أحد، ولم يفسِّر لهم ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وحقيقة الروح، وغير ذلك من كل ما يجري مجرى الغيوب التى لم يُطلع الله عليها نبيه، وإنما فسَّر لهم رسول الله ﷺ بعض المغيبات التي أخفاها الله عنهم وأطلعه عليها وأمره ببيانها لهم، وفسَّر لهم أيضاً كثيراً مما يندرج تحت القسم الثالث، وهو ما يعلمه العلماء يرجع إلى اجتهادهم، كبيان المجمل، وتخصيص العام، وتوضيح المشكل، وما إلى ذلك من كل ما خفى معناه والتبس المراد به.

هذا.. وإنَّ مما يؤيد أن النبى عليه الصلاة والسلام لم يُفسِّر كل معانى القرآن، أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وقع بينهم الاختلاف فى تأويل بعض الآيات، ولو كان عندهم فيه نص عن رسول الله ﷺ ما وقع هذا الاختلاف، أو لارتفع بعد الوقوف على النص[٢].

---

(١)التفسير والمفسرون (١/ ٤٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص: ٣٩) علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر (ص: ٢٤)

(٢)راجع بتصرف كبير كتاب التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي (١ ص٤١) .

السَّادَة لِلفِكرِ وَالثَّقَافَة
www.sadah.net

الفصـل الثاني والعشرون

أقسام التفسير

ينقسم التفسير إلى نوعين رئيسين وهما: **التفسير بالمأثور** االذي يعرف ب (التفسير بالرِّواية): والتفسير بالرأي والذي يعرف ب(التفسير بالدراية):

أولًا: التفسير بالمأثور:

التفسير بالمأثور (التفسير بالرِّواية): وهو كل تفسير يعتمد صاحبه على القرآن والسنّة وأقوال الصحابة- رضى الله عنهم- و أقوال التابعين، قال الحاكم: «ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شَهِدَ الوحي والتنزيل عند الشيخين -أي: البخاري ومسلم- حديثٌ مُسندٌ»[1]، وذهب جمهور العلماء إلى أن تفسير الصحابي له حكم المرفوع إذا كان ممَّا يرجع إلى أسباب النزول، وكل ما ليس للرأي فيه مجال، أمَّا ما يكون للرأي فيه مجال، فهو موقوف عليه ما دام لم يُسنده إلى رسول الله ﷺ[2].

أمثلة لتفسير القرآن بالقرآن:

(١) قوله سبحانه: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[البقرة: ١٨٧]، فإن قوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيانٌ وشرحٌ للمُراد من قوله: ﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ التي قبلها.

(٢) قوله سبحانه: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، فإنها بيانٌ للفظ "كلمات" من قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[البقرة: ٣٧].

(٣) قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ [المائدة: ٣] الآية فإنها بيان لقوله: ﴿ يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ من قوله سبحانه: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ١].

(٤) قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [المائدة: ١٢] فإنها بيان للعهدين في قوله سبحانه: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠] الأول للأول والثاني للثاني.

---

(١) (مستدرك الحاكم جـ٢، صـ ٢٨٣، رقم:٣٠٢١).
(٢)(مباحث في علوم القرآن؛ لمناع القطان صـ٣٤٧).

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(٥) قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ [الطارق: ٢، ٣]، فإن قوله: ﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ بيان لكلمة "الطارق" التي قبلها، وغير ذلك كثيرٌ يُعلَم بالتدبُّر لكتاب الله تعالى[١].

أمثلة تفسير القرآن بالسنة:

روى الشيخان عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[الأنعام: ٨٢] شقَّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ، وقالوا: أيُّنا لم يظلِم نفسَه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس كما تظنُّون؛ إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: ١٣]»[٢]، ففسير النبي صلى الله عليه وسلم ووضح ان معني الظُّلم المقصود به في هذه الآية هو الشِّرك.

تفسير النبي ﷺ الحساب اليسير بالعرض؛ روى البخاري عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ نُوقِشَ الحِسابُ عُذِّبَ»، قالت: قلتُ: أليس يقول الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٨]، قال: «ذلك العرض»[٣]، قوله ﷺ: (ذلك العرض)، هذا بيانٌ للحساب اليسير؛ أي: عرض أعمال المؤمن عليه لتذكيره بها فقط.

تفسير النبي ﷺ "القوة" بـ"الرمي" في قوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[الأنفال: ٦٠]، روى مسلم عن عقبة بن عامر، قال: «سمِعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر، يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[الأنفال: ٦٠] «ألَا إنَّ القوة الرَّمي، ألَا إنَّ القوةَ الرَّمْي، ألَا إنَّ القوةَ الرمي»[٤].

روى الشيخان عن أبي ذرٍّ، قال: سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾[يس: ٣٨]، قال: «مستقرُّها تحت العرش»[٥]؛ تفسير النبي ﷺ للكوثر بأنه نهرٌ وعدَه الله تعالى به يوم القيامة؛[٦]، روى مسلم عن أنس بن مالك، قال: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءةً، ثمَّ رفع رأسه مُتبسمًا، فقلنا: ما أضْحَكَكَ يا رسول الله؟ قال: «أُنْزِلَتْ عليَّ آنِفًا سورةٌ»، فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣] ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟»، فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنَّه نهرٌ وعَدَنيه ربِّي عزَّ وجل، عليه خيرٌ كثيرٌ، هو حَوْضٌ

(١)مناهل العرفان في علوم القرآن؛ للزرقاني، (جـ ٢ ص ١٢).
(٢) (البخاري، حديث: ٦٩٣٧ /مسلم، حديث: ١٢٤).
(٣)البخاري، حديث: ٦٥٣٦).
(٤) (مسلم حديث:١٩١٧).
(٥) (البخاري، حديث: ٤٨٠٣ /مسلم، حديث:١٥٩).
(٦)مناهل العرفان في علوم القرآن؛ للزرقاني، جـ٢، صـ١٢:١٣).

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

تردُ عليه أُمَّتي يومَ القيامة، آنيتُه عدد النجوم، فيختلج العَبْدُ منهم، فأقول: ربِّ، إنَّه من أُمَّتي، فيقول: ما تدري ما أحدَثَ بَعْدَكَ»[1]،

تفاوت الصحابة فى فهم القرآن:

لقد اشتهر مجموعة من الصحابة الكرام بتفسير القرآن واصبحوا أعلام في هذا الباب ، ولقد كان التفاوت موجود بينهم، فمنهم المكثر ومنهم المقل ومنهم المنشغل بالجهاد ، فلم يكونوا جميعا في مستوي واحد.

وهذا التفاوت يكون نابع عن قدر فهم للقران الكريم أو السنة اولغة العرب فللغة العربية لا يحيط بها إلا معصوم، قال مسروق: "جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ - يعنى الغدير - فالإخاذ يروى الرجل، والإخاذ يروى الرجلين، والإخاذ يروى العشرة، والإخاذ يروى المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم. وقال ابن قتيبة -: "إن العرب لا تستوى فى المعرفة بجميع ما فى القرآن من الغريب والمتشابه، بل إن بعضها يفضل فى ذلك على بعض

أخرج أبو عبيدة فى الفضائل عن أنس: « أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[عبس: ٣١] فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟. ثم رجعَ إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر»[2]. وما روى من أن عمر كان على المنبر فقرأ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ﴾[النحل: ٤٧] ثم سأل عن معنى التخوف، فقال له رجل من هذيل: التخوُّف عندنا التنقص، ثم أنشده:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تامِكاً قَرِداً * كما تَخَوَّفَ عُودَ النبعةِ السَّفِنُ

وما أخرجه أبو عبيدة من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: "كنت لا أدرى ما ﴿فَاطِرِ السماوات﴾ حتى أتانى أعرابيان يتخاصمان فى بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، والآخر يقول: أنا ابتدأتها".

وفي الصحيحين وغيرهما أنه لما نزل قوله تعالى: حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجْعَلُ تَحْتَ وِسَادَتِي عِقَالَيْنِ عِقَالاً أَبْيَضَ وَعِقَالاً أَسْوَدَ أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ: إِنَّ وِسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ»[3]،

---

(١) (مسلم حديث: ٤٠٠).
(٢) أبو عبيد في الفضائل .
(٣) رواه الشيخان..

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وقال ابن كثير: ومعنى قوله : إن وسادك لعريض أي: إن كان يسع تحته الخيطين المرادين من هذه الآية ؛ فيقتضي أن يكون بعرض المشرق والمغرب[١].

يقول الدكتور الذهبي: الحق أن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - كانوا يتفاوتون فى القدرة على فهم القرآن وبيان معانيه المرادة منه، وذلك راجع - إلى اختلافهم فى أدوات الفهم، فقد كانوا يتفاوتون فى العلم بلغتهم، فمنهم من كان واسع الاطلاع فيها ملّماً بغريبها، ومنهم دون ذلك، ومنهم مَن كان يلازم النبى ﷺ فيعرف من أسباب النزول ما لا يعرفه غيره، أضف إلى هذا وذاك أن الصحابة لم يكونوا فى درجتهم العلمية ومواهبهم العقلية سواء، بل كانوا مختلفين فى ذلك اختلافاً عظيمًا[٢].

أشهر المفسّرين من الصحابة:

وقد عَدَّ السيوطى رحمه الله فى "الإتقان" مَن اشتهر بالتفسير من الصحابة وسمَّاهم، وهم: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعرى، وعبد الله بن الزبير، رضى الله عنهم أجمعين.

وهناك مَن تكلم فى التفسير من الصحابة غير هؤلاء: كأنس بن مالك، وأبى هريرة، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، وعائشة، وغير أن ما نُقِل عنهم فى التفسير قليل جداً، ولم يكن لهم من الشهرة بالقول فى القرآن ما كان للعشرة المذكورين أولاً، كما أن العشرة الذين اشتهروا بالتفسير، تفاوتوا قِلَّة وكثرة، فأبو بكر وعمر وعثمان لم يَرد عنهم فى التفسير إلا النزر اليسير، ويرجع السبب فى ذلك إلى تقدم وفاتهم، واشتغالهم بمهام الخلافة والفتوحات، أضف إلى ذلك وجودهم فى وسط أغلب أهله علماء بكتاب الله، واقفون على أسراره، عارفون بمعانيه وأحكامه، مكتملة فيهم خصائص العروبة، مما جعل الحاجة إلى الرجوع إليهم فى التفسير غير كبيرة[٣].

علي بن أبي طالب ﷺ:

كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يتعوذ من مُعضِلة ليس لها أبو حسَن، وكان يقول: «لا قضيَّة إلا أبو حسَن لها»، وقال ابْنُ عبَّاس -رضي الله عنهما-: «إذا جاءنا الثبت عن عليّ لم نعدل به»، وروي عنه أنَّه قال: «ما أخذت من

---

(١)تفسير ابن كثير ط العلمية (١/ ٣٧٨) ابن كثير القرشي (٧٠٠ - ٧٧٤هـ). عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي صاحب التفسير المشهور والمعروف بتفسير ابن كثير. ولد بالبصرة، ثم رحل إلى دمشق مع أخيه سنة ٧٠٦هـ بعد وفاة أبيه. سمع من علماء دمشق وأخذ عنهم مثل الآمدي وابن تيمية الذي كانت تربطه به علاقة خاصة تعرض ابن كثير للأذى بسببها

(٢)راجع: التفسير والمفسرون. المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ) .

(٣)راجع: التفسير والمفسرون. المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ)

تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب»[١]، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «إذا ثبت لنا الشيء عن علىّ لم نعدل عنه إلى غيره»[٢]، وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن علىّ رضى الله عنه أنه قال: «واللهِ ما نزلت آية إلا وقد علمتُ فيم نزلت، وأين نزلت، وإن ربي وهبَ لى قلبًا عقولًا، ولسانًا سئولًا»[٣]، وعن أبى الطفيل قال: «شهدتُ علياً يخطب وهو يقول: سلوني، فوالله لا تسألونى عن شئ إلا أخبرتكم، وسلونى عن كتاب الله، فواللهِ ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل، أم في جبل»

أشهر الطرق عن علىّ رضي الله عنه فى التفسير:

طريق هشام، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة السلمانى، عن علىّ. طريق صحيحة، يُخَرِّج منها البخارى وغيره. وطريق ابن أبى الحسين، عن أبى الطفيل، عن علىّ. وهذه طريق صحيحة، يُخرِّج منها ابن عيينة فى تفسيره. وطريق الزهرى، عن علىّ زين العابدين، عن أبيه الحسين، عن أبيه علىّ. وهذه طريق صحيحة جداً. حتى عدَّها بعضهم أصح الأسانيد مطلقاً.

عبدالله بن مسعود:

وكان من خدام النبي - ﷺ - فكان صاحب نعليه وطهوره ووساده، قال أبو موسى الأشعري: "قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حينًا ما نرى إلا أنَّ عبدالله بن مسعود رجلٌ من أهل بيت النَّبيّ - ﷺ؛ لما نرى من دخولِه ودخولِ أمِّه على النَّبيّ -ﷺ «أخذ من رسول الله -ﷺ- بضعًا وسبعين سورة من القرآن»، قال له النبي -ﷺ- في أوَّل الإسلام: «إنك لغلام معلَّم»[٤].

وقال: ﷺ: «مَن أحبَّ أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»[٥].

يقول ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: «لقد علم أصحاب رسول الله - ﷺ - أنّي من أعلَمِهم بكتاب الله"، وقال: "واللهِ الَّذي لا إله غيرُه ما أُنزِلتْ سورةٌ من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أُنْزِلتْ آيةٌ من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلَمُ أحدًا أعلَمَ مني بكتاب الله تبلغه الإبلُ لركبتُ إليه»[٦].

---

(١)الواضح في علوم القرآن (ص: ٢٢٠)
(٢)الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢٣٣)
(٣)أسد الغابة ط الفكر (٣/ ٥٩٧) والاستيعاب: ٣/ ١١٠٤
(٤)أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩، ٤٦٢).
(٥) أخرجه ابن ماجه (١٣٨)
(٦)صحيح البخاري .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

قيل لحذيفة: أَخْبِرنا برجل قريب السمت والهَدْى من رسول الله ﷺ نأخذ عنه، فقال: «لا نعلم أحداً أقرب سمتاً ولا هَدْياً برسول الله ﷺ من ابن أُم عبد» . وروى أبو نعيم فى الحلية عن أبى البحترى قال: قالوا لعلىٍّ: أخبرنا عن ابن مسعود، قال: «علم القرآن والسُّنَّة»، وقال عقبة بن عامر: «ما أدرى أحداً أعلم منه بما نزل على محمد ابن عبد الله، ﷺ».. مات سنة ٣٢ هجرية ودفن بالبقيع، وهو ابن بضع وسبعين سنة.

قال السيوطى فى الإتقان: وأما ابن مسعود فقد رُوِى عنه أكثر مما رُوِى عن علىّ، وقد حمل علم ابن مسعود فى التفسير أهل الكوفة نظراً لوجوده بينهم، فكان يجلس إليهم فيأخذون عنه ويروون له، فمن رواته مسروق بن الأجدع الهمداني، وعلقمة بن قيس النخعي، والأسود بن يزيد، وغيرهم من علماء الكوفة[١].

أشهر الطرق عن ابن مسعود:

طريق الأعمش، عن أبى الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود. وهذه الطريق من أصح الطرق وأسلمها، وقد اعتمد عليها البخاري في صحيحه.

طريق مجاهد، عن أبى معمر، عن ابن مسعود، وهذه أيضاً طريق صحيحة لا يعتريها الضعف. وقد اعتمد عليها البخارى فى صحيحه أيضاً.

طريق الأعمش، عن أبى وائل، عن ابن مسعود. وهذه أيضاً طريق صحيحة يُخَرِّج البخارى منها، وكفى بتخريج البخارى شاهداً على صحته وصحة ما سبق[٢].

عبدالله بن عباس: ابْنُ عمّ الرَّسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، لازم النَّبيّ - ﷺ، خالتُه ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين فكان كثير الدخول على رسول الله ﷺ ضمَّه النبي - ﷺ - إلى صدره، وقال: «اللهم علِّمه الحكمة»، وفي رواية: «الكتاب»[٣]، وقال له حين وضع له وضوءه: «اللهم فقهْهُ في الدِّين»[٤]، عُرف بـ«حبرَ الأمة وترجمان القرآن».

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: «نِعْمَ ترجمانُ القرآن ابنُ عباس، لو أدرك أسناننا ما عاشره منَّا أحد»؛ أي: ما كان له نظيرً ومثيل، كان أمير المؤمنين عمر بن

(١)الإتقان للسيوطي و التفسير والمفسرون (١/ ٦٦)
(٢)راجع: التفسير والمفسرون. المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي باختصار شديد
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح البخاري.

الخطاب يدعوه إلى مجالسه، ويأخذ بقوله، فقال المهاجرون: «ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟!» فقال لهم: «ذاكم فتَى الكهول، له لسان سَؤول، وقلبٌ عقول»، ثم دعاهم ذات يوم، فأدخله معهم؛ ليُرِيَهم منه ما رآه، فقال عمر: «ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] حتى ختم السورة»، فقال بعضهم: أُمِرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فتح علينا، وسكت بعضُهم، فقال عمر لابن عبَّاس: «أكذلك تقول؟» قال: لا، قال: فما تقول؟ قال: «هو أجَلُ رسول الله - ﷺ، أعلَمَه الله له: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فتح مكة، فذلك علامةُ أجَلِك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾»، قال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تعلم»، وقال ابنُ عمر لسائلٍ سأله عن آية: «انطلقْ إلى ابْنِ عبَّاس فاسألْهُ؛ فإنَّه أعلَمُ مَن بقي بِما أُنزل على مُحمَّد - ﷺ»، وقال عطاء: «ما رأيتُ قط أكرم من مجلس ابن عباس فقهًا وأعظم خشيةً، إن أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم من وادٍ واسع»، وقال أبو وائل: "خطبَنا ابنُ عباس وهو على الموسم (أي: والٍ على موسم الحج من عثمان - رضي الله عنه) فافتتح سورة النّور، فجعل يقرأ ويفسر، فجعلتُ أقول: ما رأيتُ ولا سمعت كلامَ رجل مثله، ولو سمعَتْه فارس والروم والترك لأسلَمَتْ"[١]

أشهر الطرق عن ابن عباس:

طريق معاوية بن صالح، عن علىّ بن أبى طلحة، عن ابن عباس، وهي أجود الطريق عنه، وكثيرًا ما اعتمد على هذه الطريق ابن جرير الطبري، وابن أبى حاتم، وابن المنذر وغيرهم، طريق قيس بن مسلم الكوفي، عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس. وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين، وكثيراً ما يُخَرِّج منها الفريابي والحاكم فى مستدركه. طريق ابن إسحاق صاحب السير، عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهي طريق جيدة وإسنادها حسن وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبى حاتم كثيراً، وأخرج الطبرانى منها فى معجمه الكبير[٢].

(١) المشتهرون بالتفسير من الصحابة والتابعين، الشيخ بدر حنفي حسين.
(٢) راجع: التفسير والمفسرون. المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي

أُبَيّ بن كعب:

هو أبو المنذر، أو أبو الطفيل، أُبَيّ بن كعب بن قيس، الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وبدراً، وهو أول مَن كتب لرسول الله ﷺ مقدمه المدينة، وقد أثنى عليه عمر رضى الله عنه فقال: "أُبَيّ سيد المسلمين"، مات فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه. قال فيه ﷺ: "وأقرؤهم أُبَيّ بن كعب"، أخرج الترمذى بسنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: "إن النبي ﷺ قال لأُبَيّ بن كعب: إن الله أمرنى أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الذين كَفَرُواْ﴾ قال: آلله سماني لك؟ قال: نعم، فجعل أُبَيّ يبكى".

وفى رواية أنه قيل لأُبَيّ: وفرحتَ بذلك؟ قال: وما يمنعني وهو يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس: ٥٨] . وروى الشعبي عن مسروق قال: "كان أصحاب القضاء من أصحاب رسول الله ﷺ ستة: عمر، وعلىّ، وعبد الله، وأُبَيّ، وزيد، وأبو موسى".

أشهر الطرق عنه:

طريق أبى جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبى العالية، عن أُبَيّ رضى الله عنه، وقد خَرَّج ابن جرير وأبى حاتم منها كثيراً، وأخرج الحاكم منها أيضاً فى مستدركه، والإمام أحمد من مسنده. **ثانيًا**: طريق وكيع عن سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أُبَيّ بن كعب، عن أبيه، وهذه يُخَرِّج منها الإمام أحمد فى مسنده[1].

من اشتهر من التابعين بالتفسير:

اشتهر بالتفسير من التابعين الكثير منهم:

أهل مكة: وهم أتباع ابن عباس. وتعرف بمدرسة مكة، ومن تلاميذ ابن عباس بمكة: سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاووس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبى رباح.

أهل المدينة: أو ما يعرف بمدرسة المدينة. وكان علي رأسها الصحابي أبي بن كعب رضي الله عنه تتلمذ فيها كثير من التابعين، وأشهر رجالها: ثلاثة، وهم:

---

[1] راجع: "الإتقان" (جـ٢ ص١٨٩)، والتفسير والمفسرون. المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ص٧٠) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظى. وهؤلاء منهم مَن أخذ عن أُبَيّ بن كعب مباشرة، ومنهم مَن أخذ عنه بالواسطة.

أهل الكوفة: وهم أتباع ابن مسعود وتعرف بمدرسة الكوفة. أشهر رجالها: علقمة بن قيس، ومسروق، والأسود بن يزيد، ومُرَّة الهمداني، وعامر الشعبي، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي[١].

أشهر التابعين أخذًا للتفسير:

١- مجاهد:

هو مجاهد بن جبر المكي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة، وأخذ تفسيرَ القرآن عن ابن عباس - رضي الله عنهما، روى ابن إسحاق عنه أنه قال: "عرضتُ المصحفَ على ابن عباس ثلاثَ عرضات من فاتِحَتِه إلى خاتِمَته، أوقِفه عندَ كلّ آيةٍ وأسألُه عنها"، وكان سفيان الثوري، يقول: "إذا جاءكَ التفسير عن مجاهد فحسبُكَ به"، واعتمد تفسيرَه الشافعيُّ والبُخاري وكان كثيرًا ما ينقل عنه في "صحيحه"، وقال الذهبي في آخر ترجمته: أجمعت الأمَّة على إمامةِ مُجاهد والاحتجاج به، توفِّي في مكة وهو ساجد سنة أربع ومائة، عن ثلاث وثمانين سنة[٢].

٢- قتادة:

هو قتَادَة بن دعامَة السَّدوسي البصري، وُلِدَ أكمَهَ - أي: أعمي - سنة إحدى وستين، وجدَّ في طلب العلم، وكان له حافظة قوية، حتى قال في نفسه: ما قلتُ لمحدث قط: أَعِدْ لِي، وما سمعَتْ أذناي شيئًا قط إلا وعاه قلبي، وذَكَره الإمامُ أحمد فأطنَب في ذِكره، فجعل ينشر من علمه وفِقْهِه ومعرفته بالاختلاف والتفسير، ووصَفَه بالحفظ والفقه، وقال: قلَّما تَجِد مَن يتقدَّمه، أما المِثل فلعلَّ، وقال: هو أحفظ أهل البصرة، لم يسمع شيئًا إلا حفظه، وتوفي في واسط سنة سبع عشرة ومائة، عن ستٍّ وخمسين سنة[٣]، يقول عن نفسه: ما فى القرآن آية إلا وقد سمعتُ فيها شيئًا.

٣- مسروق بن الأجدع الوادعي (المتوفي سنة ٦٢ هـ)

---

(١) راجع "الإتقان" (٢ ص١٨٩) .
(٢) راجع المشتهرون بالتفسير من الصحابة والتابعين. الشيخ بدر حنفي حسين .
(٣) راجع المشتهرون بالتفسير من الصحابة والتابعين. الشيخ بدر حنفي حسين.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

تابعي ومفتي كوفي، وأحد رواة الحديث النبوي، كان يكني أبو عائشة. لزم مسروق أم المؤمنين عائشة وكان منها مُقرّبًا، حتى أنها قالت له: «يا مسروق إنك من ولدي، وإنك لمن أحبهم إلي، فهل لك علم بالمخدج»، كما أنه من حُبه لها تكنّى بأبي عائشة، قال فيه الشعبيُّ: "ما علمتُ أنَّ أحدًا كان أطلبَ للعِلم في أُفق من الآفاق مِن مسروق"

قال الشعبي: «ما علمت أن أحدًا كان أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق»، وقال: «كان مسروق أعلم بالفتوى من شريح، وكان شريح أعلم بالقضاء من مسروق، وكان شريح يستشير مسروقًا، وكان مسروق لا يستشير شريحًا»، وقال إبراهيم النخعي: «كان أصحاب عبد الله الذين يقرئون الناس ويعلمونهم السنة علقمة والأسود وعبيدة ومسروقًا والحارث بن قيس وعمرو بن شرحبيل»، قال ابن المديني: «أنا ما أُقدّم على مسروق أحدًا صلى خلف أبي بكر»، وقال مُرّة: «ما ولدت همدانية مثل مسروق»[1].

أشهر كتب التفسير بالمأثور:

تفسير الطبري:

اسم التفسير جامع البيان في تفسير القرآن أو جامع البيان عن تأويل آي القرآن أو جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بـ «تفسير الطبري» ويعتبر من أفضل كتب التفسير في الدنيا.

نبذة عن المؤلف: الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري، (٢٢٤ هـ-٣١٠ هـ)، يكنّى بأبي جعفر، ويلقّب بالطبري، نسبة إلى طبرستان التي ولد في بلدة آمل من إقليمها سنة ٢٢٤ هـ أو ٢٢٥ هـ، بدأ في طلب العلم منذ صغره على شيوخ بلده، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنوات، وكتب الحديث وهو ابن تسع، ورحل في طلب العلم إلى الرَيِّ والبصرة والكوفة وبغداد والشام ومصر، واستقرّ في بغداد حتى توفّي بها سنة ٣١٠هـ.

يقول مناع القطان: وقع تفسير ابن جرير في ثلاثين جزءًا من الحجم الكبير، وقد كان مفقودًا إلى عهد قريب، ثم قدَّر الله له الظهور حين وُجِدت نسخة مخطوطة في حيازة "أمير حائل" الأمير حمود بن الرشيد من أمراء نجد، طُبِع عليها الكتاب منذ زمن قريب، فأصبحت في يدنا معارف غنية في التفسير بالمأثور، وتفسير الطبري أقدم كتاب وصل إلينا كاملًا في التفسير. فإن المحاولات

(١)تهذيب الكمال ترجمة مسروق بن الأجدع و سير أعلام النبلاء للذهبي .

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

التفسيرية قبله لم يصل إلينا شيء منها، اللهم إلا ما وصل إلينا منها في ثنايا ذلك الكتاب، وقد يقف من السند موقف الناقد البصير أحيانًا، فيعدِّل من رجال الإسناد، ويجرِّح مَن يجرِّح منهم، ويرد الرواية التي لا يثق بصحتها[١].

منهج الطبري في التفسير:

ويعد من أشهر كتب التفسير بالمأثور فكان يذكر رحمه الله الآية من القرآن، ثم يذكر أقوال الصحابة والتابعين في تفسيرها بأسانيدها، وكان رحمه الله يقف على الأسانيد، فيشتمل على عدد كبير من الأحاديث والآثار المسندة، منها الصحيح والضعيف، وقد أشار جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن إلى مواضع الأحاديث والآثار الضعيفة في التفسير[٢].

همته في التفسير:

كان رحمه الله يحدّث نفسه منذ صباه بكتابة هذا التفسير، وكان يستخير الله تعالى قبل أن يشرع في كتابته بثلاثة أعوام، وروى عن الخطيب البغدادي أنه قال: «سمعت علي بن عبيد الله اللغوي يحكي: أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة»[٣]

ويُروَى أن الطبري لما أراد أن يُملي تفسيره قال لأصحابه: «أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ثم قال: تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحوا مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إنّا لله ماتت الهمم، فاختصره في نحو مما اختصر التفسير»[٤].

موقف الطبري من الإسرائيليات :

لقد أُخذ على تفسير ابن جرير الطبري: أنه أكثر من سرد الروايات الإسرائيلية في تفسيره من غير بيان وتمييز لصحيحها وضعيفها والظاهر أنه يعتقد أن من ذكر السند ولو لم ينص على درجة الرواية يرفع التبعة والمؤاخذة عن المؤلف، ولم يسلم تفسير ابن جرير على جلالة مؤلفه وعلو شأنه من الروايات المنكرة والضعيفة والوهمية من الإسرائيليات[٥].

---

(١)كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان [ص٣٧٥]
(٢)راجع لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، الدكتور محمد لطفي.
(٣)مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن (ص: ١١٨)
(٤)التفسير والمفسرون (١/ ١٥٠)
(٥)راجع : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، (ص١٢٣) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

قد ذكر الطبري في تفسيره أخبارا، لعبد الله بن سلام وعبد الملك ابن جريج وغيرهم حيث بلغت ما كعب الأحبار ووهب بن منبه. ما يقرب من ألفين وخمسمائة رواية في تفسيره من ِ الإسرائيليات والخرافات والأساطير اليهودية الأولى[١].

يقول العلامة الشيخ محمود محمد شاكر -رحمه الله-، ومعلوم أن العلامة شاكر رحمه الله قضى سنوات من عمره رحمه الله في تحقيق هذا التفسير، يقول في الآية الثلاثين من سورة البقرة ، كتب رحمه الله عن الأخبار التي ذكرها في هذا التفسير، فقال: (تبين لي مما راجعته من كلام الطبري أن استدلال الطبري بهذه الآثار التي يرويها بأسانيدها، لا يراد به إلا تحقيق معنى لفظٍ، أو بيان سياقِ عبارةٍ)[٢].

فإن استدلال الطبري بما ينكره المنكرون، لم يكن إلا استظهارًا للمعانى التي تدل عليها ألفاظ هذا الكتاب الكريم ، كما يستظهر بالشعر على معانيها . فهو إذن استدلال يكاد يكون لغويا . ولما لم يكن مستنكرا أن يستدل بالشعر الذي كذب قائله، ما صحت لغته ؛ فليس بمستنكر أن تساق الآثار التي يرتضيها أهل الحديث ، والتى لا تقوم بها الحجة في الدين ، للدلالة على المعنى المفهوم من صريح لفظ القرآن ، وكيف فهمه الأوائل . سواء كانوا من الصحابة أو من دونهم .

يقول مساعد طيار: الحديث عن منهج هذا الإمام العظيم يطول، وقد أحببت أن أُلمِح إلى شيء من منهجه في موضوع (الإسرائيليات)، قد يغفل عنه بعض قارئي كتاب (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)؛ لأنهم قد حكموا -مسبقًا- على سقوط الإسرائيليات، وجعلوها من الدخيل الذي يجب أن تُنَزَّه عنها التفاسير ،ومن كان هذا منهجه فإنه يمرُّ بضوابط وقواعد في التعامل عن الإسرائيليات، لكنه يغفل عنها أو يتغافلها لأنها تُشكِل على منهجه في ردِّ الإسرائيليات. والحديث هنا عن الإسرائيليات التي لا يمكن تصديقها ولا تكذيبها، وليس ما ظهر فيه بيان الصدق أو الكذب، فتلك شأنها مفروغ منه[٣]، وهكذا يُكثر ابن جرير من رواية الإسرائيليات، ولعل هذا راجع إلى ما تأثَّر به من الروايات التاريخية التى عالجها فى بحوثه التاريخية الواسعة[٤].

---

(١)راجع الإسرائيليات في تفسير ابن جرير الطبري. سورة يوسف عرض ونقد ص٨ عصام العبد زهد
(٢)علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر (ص: ١١٥)
(٣)من منهج الطبري في الإسرائيليات. أ.د/ مساعد بن سليمان الطيار.
(٤)راجع التفسير والمفسرون (١/ ١٥٤)، راجع أيضا الكتاب «الإسرائيليات في تفسير الطبري؛ دراسة في المنهج والمصادر العِبرية» للدكتورة/ آمال محمد عبد الرحمن ربيع.

اهتمامه بالقراءات والأحكام الفقهية:

كان رحمه مهتما بالقراءات المختلفة في كل آية ويرجح إحداها، ويسرد الأحاديث النبوية بأسانيدها، والأحكام الفقهية.

أقوال العلماء في تفسير الطبري:

قال أبو حامد الإسفرايني: «لو سافر مسافر إلى الصين من أجل تحصيله ما كان ذلك كثيراً في حقه» ' وقال ابن خزيمة: «نظرت فيه من أوله إلى آخره، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير»[١]

وقال النووي في ترجمته للطبري: «وله كتاب التاريخ المشهور وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله» [٢]، وكان يقول فيه: "أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري"[٣]

وقال ابن تيمية: «وأما التفاسير التي في أيدي الناس: فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري؛ فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين، كمقاتل بن بكير والكلبي»[٤]

وقال جلال الدين السيوطي: «فإن قلت فأي التفاسير ترشد إليه وتأمر الناظر أن يعول عليه؟ قلت: تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري الذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله

قال الإمام الذهبي: «وله كتاب التفسير، لم يصنف أحد مثله» والدكتور الذهبي: يعتبر تفسير ابن جرير من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسِّرين الذين عنوا بالتفسير النقلي[٥].

ومن مؤلّفاته:

١ تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن. وهو الذي معنا. ٢

- تاريخ الرسل والملوك، وهو أهمّ كتب التاريخ.

٣- تهذيب الآثار: تكلّم فيه عن علل الحديث، وطرقه، ومعانيه، وغريبه، وفقهه، مات قبل أن يتمّه، ونشر الشيخ أحمد شاكر بعضه.

---

(١)في علوم القرآن دراسات ومحاضرات (ص: ٢٨٣)
لسان الميزان. التفسير البسيط (١/ ١٦٦
(٢)التفسير والمفسرون (١/ ١٤٩)
(٣)في علوم القرآن دراسات ومحاضرات (ص: ٢٨٣) الاتقان للسيوطي ج ٢ فتاوى ابن تيمية ج ٢.
(٤)التيسير في أصول واتجاهات التفسير (ص: ١٠١)
(٥)التفسير والمفسرون (١/ ١٤٩)

٤- كتاب القراءات[١].

طباعة كتاب التفسير: كانت أول طبعات الكتاب بعدما كان مفقودًا طبعة المطبعة الميمنية نحو سنة ١٣٢١ هـ في مصر في ثلاثين جزءًا. طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي في عشرة أجزاء عام ١٣٢١ هـ الموافق ١٩٠١ م. طبعة بولاق عام ١٣٢٣ هـ في ثلاثين جزءًا. طبعة المطبعة الأميرية عام ١٣٣٣ هـ في ثلاثين جزءًا. طبعة دار المعارف بالقاهرة عام ١٣٧٤ هـ، تحقيق محمود محمد شاكر وقام بتخريج الأحاديث أخوه المحدّث أحمد محمد شاكر، وهي طبعة غير مكتملة وقفت عند الآية ٢٨ من سورة إبراهيم. قد ظهرت طبعة حديثة بتحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي (دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٣٤ هـ)

بحر العلوم (للسمرقندى) أو تفسير القرآن الكريم

من الكتب التي ألفت في التفسير بالمأثور أيضا صاحبه هو أبو الليث، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، المعروف بإمام الهدى. تفقه على أبي جعفر الهندوانى، واشتهر بكثرة الأقوال المفيدة، والتصانيف المشهورة. ومن أهم تصانيفه تفسير القرآن المسمى بـ "بحر العلوم"، والمعروف بتفسير أبي الليث السمرقندى.

يقول عنه الزركلي: الملقب بإمام الهدى: علامة، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين. له تصانيف نفيسة، منها "تفسير القرآن-خ" أجزاء متفرقة منه، وهو غير كبير، اقتنيت منه الجزء الأخير، أوله تفسير سورة "الحاقة" وله، "عمدة العقائد-خ"، و"بستان العارفين- ط" تصوف، سماه "البستان"، و"خزانة الفقه- ط" رسالة، و"تنبيه الغافلين- ط"، وله أيضا كتاب النوازل في الفقه، وخزانة الفقه في مجلد، وتنبيه الغافلين، والبستان. وكانت وفاته رحمه الله سنة ٣٧٣ هـ (ثلاث وسبعين وثلاثمائة) وقيل: سنة ٣٧٥ هـ (خمس وسبعين وثلاثمائة) من الهجرة[٢].

والصحيح أن (بحر العلوم) ليس اسما لكتاب أبي الليث، وأن أبا الليث السمرقندي – رحمه الله تعالى – لم يسم كتابه التفسير باسم خاص، بل سماه تفسير القرآن، فيصح أن يطلق عليه تفسير القرآن العظيم، أو تفسير القرآن الكريم، أو تفسير القرآن.

---

(١) راجع التفسير والمفسرون ، (١/ ٢١٨)، كتاب مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن. [عبد الجواد خلف] .
(٢) كتاب الأعلام للزركلي (٨/ ٢٧) .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ويعد الكتاب من أوائل كتب التفسير بالمأثور، جمع فيه مصنفه بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية، إلا أنه غلب الجانب النقلي على الجانب العقلي، ومن ثم عُد ضمن كتب التفسير بالمأثور، ويتخلص منهج المصنف فيه في أنه يسوق الروايات عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولا يعقب ذلك بالكلام على الأسانيد، ويروي أحيانا عن الضعفاء كالكلبي والسدي وغيرهما، ويتعرض للقراءات على قلة، ويحتكم في ذلك اللغة أحيانا، ويقوم بشرح القرآن بالقرآن إن وجد من الآيات القرآنية ما يوضح معنى آية، وقد أورد في تفسيره بعض القصص الإسرائيلية[١].

التعريف بهذا التفسير:

يقول محمد حسين الذهبي: «قد رجعت إلى هذا التفسير وقرأت فيه كثيرا، فوجدت مؤلفه قد قدم له بباب في الحث على طلب التفسير وبيان فضله، واستشهد على ذلك بروايات عن السلف، رواها بإسناد إليهم، ثم بين أنه لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن برأيه من ذات نفسه ما لم يتعلم أو يعرف وجوه اللغة وأحوال التنزيل، واستدل على حرمة التفسير بمجرد الرأى بأقوال رواها عن السلف بإسناده إليهم أيضًا، ثم بين أن الرجل إذا لم يعلم وجوه اللغة وأحوال التنزيل، فليتعلم التفسير ويتكلف حفظه، ولا بأس بذلك على سبيل الحكاية، وبعد أن فرغ من المقدمة شرع في التفسير»[٢].

قال فى كشف الظنون: "تفسير أبى الليث، نصر بن محمد الفقيه السمرقندى الحنفى، المتوفى سنة ٣٧٥ هـ (خمس وسبعين وثلاثمائة)، وهو كتاب مشهور لطيف مفيد، خرَّج أحاديثه الشيخ زين الدين قاسم ابن قطلوبغا الحنفى سنة ٨٥٤ هـ (أربع وخمسين وثمانمائة) [٣]. وهذا التفسير مخطوط فى ثلاث مجلدات كبار، وموجود بدار الكتب المصرية، وتوجد منه نسختان مخطوطتان بمكتبة الأزهر. واحدة فى مجلدين والأخرى فى ثلاث مجلد[٤].

تفسير البغوي "معالم التنزيل:

هو أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفرَّاء البغوى، الفقيه، الشافعى، المحدِّث، المفسِّر، الملقَّب بمحيى السُّنَّة وركن الدين. تفقه البغوى

---

(١)راجع تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والدكتور/ زكريا عبدالمجيد النوتي، ونشرته/ دار الكتب العلمية، بيروت، بعنوان: (تفسير السمرقندي، المسمى بحر العلوم).
(٢)التفسير والمفسرون (١/ ١٦١).
(٣)كشف الظنون، للحاج خليفة . التفسير والمفسرون (١/ ١٦١)
(٤)التفسير والمفسرون (١/ ١٦١) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

على القاضى حسين وسمع الحديث منه، وكان تقياً ورعاً، زاهداً، قانعاً، إذا ألقى الدرس لا يلقيه إلا على طهارة، وإذا أكل لا يأكل إلا الخبز وحده، ثم عدل عن ذلك فصار يأكل الخبز مع الزيت. توفى رحمه الله فى شوَّال سنة ٥١٠ هـ (عشر وخمسمائة من الهجرة) بـ "مروروز" وقد جاوز الثمانين، ودُفِن عند شيخه القاضى حسين بمقبرة الطالقانى.

كان البغوى إماماً فى التفسير، إماماً فى الحديث، إماماً فى الفقه، وعَدَّه التاج السبكى من علماء الشافعية الأعلام، وقال: كان إماماً جليلاً، ورعاً زاهدا فقيهاً، محدِّثاً مفسِّراً، جامعاً بين العلم والعمل، سالكاً سبيل السَلَف، وصنَّف فى تفسير كلام الله تعالى، وأوضح المشكلات من قول النبى ﷺ، وروى الحديث واعتنى بدراسته، وصنَّف كتباً كثيرة، فمن تصانيفه: "معالم التنزيل فى التفسير"، وهو الذى ترجمنا له، وسنتكلم عنه، وشرح السُّنَّة فى الحديث، والمصابيح فى الحديث أيضاً، والجمع بين الصحيحين، والتهذيب فى الفقه، وغير ذلك، وقد بورك له فى تصانيفه ورِزُق فيها القبول لحسن نِيَّته.

ووصفه الخازن فى مقدمة تفسيره بأنه: "من أجَّلِ المصنفات فى علم التفسير وأعلاها، وأنبلها وأسناها، جامع للصحيح من الأقاويل، عار عن الشبُهِ والتصحيف والتبديل، محلَّى بالأحاديث النبوية، مطرَّز بالأحكام الشرعية، موشَّى بالقصص الغريبة، وأخبار الماضيين العجيبة، مرصَّع بأحسن الإشارات، مُخَرَّج بأوضح العبارات، مُفَرَّغ فى قالب الجمال بأفصح مقال"[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والبغوي تفسيره مختصر من الثعالبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة، والآراء المبتدعة) وقد سئل عن أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة؟ الزمخشري أم القرطبي، أم البغوي؟ أو غير هؤلاء؟ فأجاب: "وأما التفاسير الثلاثة المسئول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة- البغوي"[٢].

المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لابن عطية:

هو أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي، من قبيلة قيس عيلان بن مضر. من أهل غرناطة، من قضاة الأندلس المشهورين، نشأ في بيت علم وفضل، وكان فقيهًا جليلًا، عارفًا بعلوم الحديث والتفسير

(١) راجع التفسير والمفسرون (١/ ١٦٩) .
(٢) راجع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٣٨٦) .

واللغة والأدب، ذكي الفؤاد، حسن الفهم، من أعيان مذهب المالكية، ولد سنة (٤٨١هـ) بغرناطة بالأندلس مع بداية عهد دولة المرابطين[١]، التي كانت تعرف بدولة الفقهاء، يقول عنه ابن بشكوال في الصلة فقال في حقه: «...وكان واسع المعرفة، قوي الأدب، متفنناً في العلوم».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: و(تفسير ابن عطية) خير من تفسير الزمخشري، وأصح نقلًا وبحثًا، وأبعد من البدع، وإن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير، لكن تفسير ابن جرير أصح من هذه كلها[٢].

ويقول: "وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسُّنة والجماعة، وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل. فإنه كثيرًا ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري -وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرًا- ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وإن كان أقرب إلى السُّنَّة من المعتزلة [٣].

يقول الدكتور مناع القطان: لخص فيه ابن عطية ما رُوِيَ من التفسير بالمنقول وأضفى عليه من روحه العلمية الفياضة ما أكسبه دقة ورواجًا، والكتاب يقع في عشر مجلدات كبار وكان مخطوطًا إلى عهد قريب ثم طُبِع في المغرب سنة ١٩٧٥ بتحقيق "المجلس العلمي بفاس-مديرية الشئون الإسلامية- المملكة المغربية" والكتاب له شهرته، وينقل عنه كثير من المفسرين. وهو كثير الاهتمام بالشواهد الأدبية، والصناعة النحوية. ويقارن أبو حيان في مقدمة تفسيره بينه وبين تفسير الزمخشري فيقول: "وكتاب ابن عطية أنقل، وأجمع، وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص"[٤].

اختلف المؤرخون في سنة وفاته، فذهب ابن بشكوال والسيوطي ومحمد مخلوف إلى أنها سنة ٥٤٢ هـ. وذهب الداودي وابن فرحون والبغدادي وعبد الحي الكتاني إلى أنها سنة (٥٤٦هـ)، وقيل: إنه توفي في ٢٥ رمضان ٥٤١ هـ و الله أعلم بالصواب اتهامه بالزندقة، وبراءته منها، أشار الزركشي إلى إتهام ابن عطية بالزندقة وأفاد براءته منها، فنقل عن شيخه القاضي المفتي أحمد بن محمد

---

(١) دولة إسلامية ظهرت خلال القرن الخامس والسادس الهجري في منطقة المغرب الإسلامي .انبثقت من حركة دعوية إصلاحية إسلامية ملكت بلاد المغرب والاندلس " من اشهر قاداتها يوسف بن تشفين"

(٢) كتاب مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية بتصرف (ص٥٢) .

(٣) مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير (ص٢٣).

(٤) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٣٧٥) .

القلجاني ما يلي: يحكى أن بعض الأدباء دخل محلة عبد المؤمن فوجد أهل المرية يشكون قاضيهم الإمام أبا محمد عبد الحق بن غالب وينسبونه إلى الزندقة، قال فأنشد:

أهل المرية قوم لا خلاق لهم * يفسقون قضاة العدل تفسيقاً
قالو تزندق عبد الحق قلت لهم * والله ما كان عبد الحق زنديقا

البعد عن الإسرائيليات:

ومن منهجه: أنه تجنَّب في تفسيره ذكر القصص الإسرائيلي، بل أكثر من ذلك فقد انتقد من سبقه من المفسرين لذكرهم إياها؛ ومن عباراته في ذلك قوله: "وهناك قصص أخرى أعرضت عن ذكرها لضعفها". وقوله كذلك: "لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به"، وقد عرف العلماء لابن عطية هذا الصنيع، وقدَّروه حق التقدير، وأثنوا عليه في ذلك الثناء الجميل.

مذهبه الفقهي:

كان مالكي المذهب، إلا أنه لم يكن متعصباً لمالكيته، بل كان يتحرى الحقيقة ويقف عندها، ولو خالفت ما هو عليه، ويقف مع الدليل، وإن كان لا يوافق ما يميل إليه[1].

تفسير ابن كثير:

وهو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْ بن درع القرشي الحَصْلي، البُصروي، عماد الدين الحافظ المحدِّث الشافعي، ولد سنة (٧٠٥هـ) "خمس وسبعمائة"، وجاء في كتابه البداية والنهاية أنه ولد بدمشق سنة (٧٠١ هـ)، ومات أبوه سنة (٧٠٣ هـ)، ثم انتقل إلى دمشق مع أخيه كمال الدين سنة (٧٠٧ هـ)، وتوفي سنة (٧٧٤هـ) "أربع وسبعين وسبعمائة ، في شعبان وَكَانَ قد أضرّ فِي أَوَاخِر عمره،ودفن بجوار ابن تيمية في مقبرة الصوفية خارج باب النصر من دمشق[2]، «كانت له جنازة حافلة مشهودة، ودفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية بمقبرة الصوفية»، ولمّا مات رثاه بعض طلبته بقوله:

(١) راجع التفسير والمفسرون (المجلد الأول ابن عطية ومنهجة في التفسير) .
(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/ ٦٨) .

لفقدك طلاب العلوم تأسفوا وجادوا بدمع لا يبيد غزير
ولو مزجوا ماء المدامع بالدما لكان قليلا فيك يابن كثير

لازم الحافظ المزي، وقرأ عليه تهذيب الكمال، وصاهره على ابنته، قال الذهبي رحمه الله: "الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الشافعي، ولد بعد السبعمائة أو فيها وسمع من ابن الشحنة وابن الزراد وطائفة، وله عناية بالرجال والمتون والفقه، خرج وألف وناظر وصنف وفسر وتقدم"[1]، وقال فيه الحافظ ابن حجر: "إنه كان من محدِّثي الفقهاء" وقال: "سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتُفِع بها بعد وفاته"[2].

تصانيفه: من تصانيفه: البداية والنهاية في التاريخ، وهو من أهم المراجع للمؤرخين، والكواكب الدراري في التاريخ، انتخبه من البداية والنهاية، وتفسير القرآن، والاجتهاد في طلب الجهاد، وجامع المسانيد، والسنن الهادي لأقوم سنن، والواضح النفيس في مناقب الإمام محمد بن إدريس، وقال السيوطي رحمه الله: "الإِمَام الْمُحدث الْحَافِظ ذُو الْفَضَائِل،،، لَهُ التَّفْسِير الَّذِي لم يؤلف على نمطه مثله،،،، الْعُمْدَة فِي علم الحَدِيث معرفَة صَحِيح الحَدِيث وسقيمه وَعلله وَاخْتِلَاف طرقه وَرِجَاله جرحا وتعديلاً".

يقول مناع القطان: حياته زاخرة بالعلم، فقد كان فقيهًا متقنًا، ومحدِّثًا بارعًا، ومؤرخًا ماهرًا، ومفسرًا ضابطًا، تفسيره: قال فيه السيد محمد رشيد رضا: "هذا التفسير من أشهر كتب التفسير في العناية بما رُوِي عن مفسري السلف، وبيان معاني الآيات وأحكامها، وتحامي ما أطال به الكثيرون من مباحث الإعراب ونكت فنون البلاغة، أو الاستطراد لعلوم أخرى لا يُحتاج إليها في فهم القرآن، ولا التفقه فيه، ولا الاتعاظ به[3].

منهجه في التفسير:

ومن مزاياه العناية بتفسير القرآن بالقرآن، فهو أكثر ما عرفنا من كتب التفسير سردًا للآيات المتناسبة في المعنى، ويلي ذلك فيه الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية وبيان ما يُحتج به منها، ويليها آثار الصحابة وأقوال التابعين ومَن بعدهم

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي . التفسير والمفسرون (١/ ١٧٤)
(٢) التفسير والمفسرون (١/ ١٧٤)
(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٣٩٥).

من علماء السلف، ومنها تذكيره بما في التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات وتحذيره منها بالإجمال، وبيانه لبعض منكراتها بالتعيين، ويا ليته استقصى ذلك أو ترك إيراد ما لم تتوفر فيه داعية التسامح[١]

١-ويمتاز ابن كثير في التفسير بسهولة العبارة وجزالتها، بأسلوب مختصر. ٢- يذكر الروايات بأسانيدها في الغالب، ويحكم على الروايات في الغالب، فإن كانت ضعيفة بين علتها، ويسكت عن بعض الروايات فلم يذكر لها حكمًا. ٣- يفسر القرآن بالقرآن، حتى يتبين المراد، وأحياناً يذكر الآيات المتشابهة، ويذكر القراءات، وأسباب النزول. ٤- ثم إنه في آيات الصفات سلك مسلك أهل الحديث والأثر بخلاف كثير من المفسرين. ٥- فإن لم يجد ما يفسره بالقرآن فسره بسنة النبي ﷺ، وينقل أقوال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ويذكر أقوال التابعين ومن تبعهم، بل إنه ينقل حتى عن الإمام الطبري رحمه الله[٢].

يقول مصطفى ديب البغا: خصائص تفسيره: أ- لا يعنى بتفسير الكلمات مستقلة كما يفعل الإمام الطبري، بل يذكرها مفسرة أثناء تفسيره. ب- لا يعرض للقراءات المختلفة أثناء التفسير كذلك. ج- يفسّر القرآن بالقرآن، ثم بالسّنة، وأقوال الصحابة والتابعين، ولا يستعين بأقوال علماء العربية في تفسيره. د- ينسب الآيات- أثناء تفسيره- إلى سورها، والأحاديث إلى مخرجيها، ويشير إلى ما كان ضعيفا أو منكرا منها. هـ- لا يكاد يعرض للإسرائيليات أثناء تفسيره، فضلا عن الاستدلال بها، وتلك مزية له. ويرجّح بعض الأقوال على بعض أحيانا، وقد يعرض لبعض الخلافات الفقهية بإيجاز[٣].

تفسير السيوطي "الدر المنثور في التفسير بالمأثور":

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي، إمام حافظ، ومفسر، ومؤرخ، وأديب، وفقيه شافعي. له نحو ٦٠٠ مصنف. نشأ في القاهرة يتيماً؛ مات والده وعمره خمس سنوات، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه، كان يلقب بـ«ابن الكتب»؛ لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب، فاجأها المخاض، فولدته وهي بين الكتب ولد بالقاهرة (٨٤٩هـ) توفي الإمام السيوطي في منزله بروضة المقياس على النيل في القاهرة في ١٩ جمادى الأولى سنة (٩١١هـ)، ودفن

---

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٣٩٦) .
(٢) راجع الإمام ابن كثير ومنهجه في التفسير. محمد بن عبدالله العبدلي بتصرف
(٣) الواضح في علوم القرآن (ص: ٢٥٤) .

خارج باب القرافة في القاهرة، ومنطقة مدفنه تعرف الآن بمقابر سيدي جلال نسبة إليه، وقبره معروف.

والحافظ جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ، المتوفّى سنة (٩١١ هـ)، رحل أبوه من أسيوط لدراسة العلم ،وكان سليل أسرة اشتهرت بالعلم والتدين، وكان أبوه من العلماء الصالحين ذوي المكانة العلمية الرفيعة التي جعلت بعض أبناء العلماء والوجهاء يتلقون العلم على يديه. وقد توفي والد السيوطي ولابنه من العمر ست سنوات، فنشأ الطفل يتيمًا، وأتجه إلى حفظ القرآن، فأتم حفظه وهو دون الثامنة، ثم حفظ بعض الكتب في تلك السن المبكرة مثل العمدة، ومنهاج الفقه والأصول، وألفية ابن مالك، فاتسعت مداركه وزادت معارفه. وكان السيوطي محل العناية والرعاية من عدد من العلماء من رفاق أبيه، وتولى بعضهم أمر الوصاية عليه، ومنهم الكمال بن الهمام الحنفي أحد كبار فقهاء عصره، وتأثر به الفتى تأثرًا كبيرًا خاصة في ابتعاده عن السلاطين وأرباب الدولة.

وكان بعض الأمراء يأتون لزيارته، ويقدمون له الأموال والهدايا النفيسة، فيردها ولا يقبل من أحد شيئا، ورفض مرات عديدة دعوة السلطان لمقابلته، وألف في ذلك كتابًا أسماه «ما وراء الأساطين في عدم التردد على السلاطين».

وجمع السيوطي الروايات التي أوردها في تفسيره من عدة مصادر منها : البخاري،و مسلم،والنسائي،والترمذي وأحمد، وأبي داود، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا،وغيرهم من المتقدمين[١]. وهذا التّفسير لا يكاد يوجد فيه غير الأحاديث والآثار، مخرّجة معزوّة إلى الأصول الّتي استفيدت منها، ومنها كتب كثيرة إمّا أنّها ليست منشورة وإمّا أنّها في حكم المفقود، وقد حذف السّيوطيّ فيه الأسانيد اختصارا، وكان قد كتبه أوّلا بالأسانيد وسمّاه «ترجمان القرآن»، ثمّ لخّص هذا الكتاب منه.

مع اختصاره إلّا أنّه يعدّ دليلا للباحث يوقفه على الكثير من الأحاديث والآثار في التّفسير، ولا ينبغي أن يعتمد على مجرّد الأخذ منه من لا خبرة له بالصّحيح من السّقيم من الرّوايات؛ لما فيه من الضّعيف والمنكر، والسّيوطيّ يسكت عن ذلك لا يبيّنه، كما يؤخذ عليه نسبة بعض الأخبار إلى بعض الكتب، وليست فيها، وذلك منه على سبيل الوهم[٢].

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبي،ج ١:ص٢٤٥

(٢) راجع المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص: ٣٣٢).

السّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والسيوطي سرد الروايات عن السلف في التفسير ولم يعقب عليها، ولم يرجح من بين الأقوال القول الأصح، ولم يتحرى الصحة فيما جمع في هذا التفسير، ولم يبين الصحيح من الضعيف، مما يجعل الكتاب محتاجا إلى تنقيح وتحقيق وتمييز الصحيح من الضعيف[١].

منهجه في التفسير:

جمع المؤلف في الكتاب ما أثر عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين من تفاسير لآيات وسور القران، مقتصرا في الرواية على متون الأحاديث حاذفا منها أسانيدها، وقد اختصر السيوطي هذا التفسير من كتابه (ترجمان القرآن) الذي توسع فيه في ذكر الأحاديث ما بين مرفوع وموقوف مسندة حتى بلغت بضعة عشر ألف حديث. لكن السيوطي سرد الروايات عن السلف في التفسير ولم يعقب عليها، ولم يرجح من بين الأقوال القول الأصح، ولم يتحرى الصحة فيما جمع في هذا التفسير، ولم يبين الصحيح من الضعيف، مما يجعل الكتاب محتاجا إلى تنقيح وتحقيق وتمييز الصحيح من الضعيف ،وقد قام على تحقيق الكتاب عبد الله التركي في ١٧ مجلدًا[٢].

مصادر السيوطي في هذا الكتاب جمع السيوطي الرويات التي أوردها في تفسيره من عدة مصادر منها : البخاري،و مسلم،والنسائي،والترمذي وأحمد، وأبي داود، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا،وغيرهم من المتقدمين[٣].

من أشهر مؤلفاته: الإتقان في علوم القرآن، مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجة (شرح سنن ابن ماجه)، ورسائل الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي في نجاة والدي النبي، وإسعاف المبطأ برجال الموطأ، والآية الكبرى في شرح قصة الإسراء، والأشباه والنظائر (في النحو)، والأشباه والنظائر (في أصول الفقه وقواعده الكلية) ، والجامع الصغير من حديث البشير النذير، والجامع الكبير، والحاوي للفتاوى، وإحياء الميت بفضائل أهل البيت، والحبائك في أخبار الملائك، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، والديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، والروض الأنيق في فضل الصديق، والعرف الوردي في أخبار المهدي، والغرر في فضائل عمر، وألفية

---

(١):تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور نسخة محفوظة ١١ مارس ٢٠١٨. وقد قام على تحقيق الكتاب عبد الله التركي في ١٧ مجلداً.
(٢)التفسير والمفسرون للذهبي، (ج ١:ص ٢٤٥) .
(٣)التفسير والمفسرون للذهبي، (ج ١:ص ٢٤٥) .

السيوطي، والكاوي على تاريخ السخاوي (ألفه بسبب خصومته مع السخاوي)، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة.

تفسير الشوكاني "فتح القدير":

الإمام الشوكاني: هو القاضي محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني الإمام المجتهد، ناصر السُّنَّة، وقامع البدعة، ولد سنة (١١٧٣هـ) "ثلاث وسبعين ومائة وألف" في بلدة هجرة شوكان، ونشأ بصنعاء، فقرأ القرآن، وأخذ يطلب العلم، ويسمع من العلماء الأعلام، وحفظ كثيرًا من متون النحو والصرف والبلاغة، والأصول وآداب البحث والمناظرة، حتى صار إمامًا يشار إليه بالبنان، وظل مكبًّا على العلم قراءة وتدريسًا إلى أن توفي سنة (١٢٥٠هـ) "خمسين ومائتين وألف"، في ليلة الأربعاء السابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة (١٢٥٥هـ) .

مذهبه وعقيدته:

تفقه على مذهب الإمام زيد، وبرع فيه، وألَّف وأفتى، وطلب الحديث، وفاقَ فيه أهل زمانه حتى خلع ربقة التقليد، وصار مناصرًا للسُّنة ومناوئًا لأعدائها، وكان يرى تحريم التقليد، حتى ألَّفَ في ذلك رسالة أسماها "القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد"[(١)].

مؤلفاته: له مؤلفات كثيرة تجاوزت مائة وأربعة عشر منها: نيل الأوطار في الحديث. وفتح القدير في التفسير. والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع. وإرشاد الفحول إلى إلى تحقيق الحق من علم الأصول. وتحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين. والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. والسيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار. وإرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي. والفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني. وبلوغ المنى في حكم الاستمناء. والدراري المضية شرح الدرر البهية. والقول الجلي في حكم لبس النساء للحلي. والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. والدواء العاجل في دفع العدو الصائل. و"وبل الغمام على شفاء الأوام". وأدب الطلب ومنتهى الأرب. والقول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد.

يقول مناع القطان: له مؤلفات عديدة في شتى الفنون منها تفسيره "فتح القدير" وشرحه "نيل الأوطار على منتقى الأخبار" للمجد ابن تيمية جد شيخ الإسلام، وهو من خير ما كُتب في الحديث على أبواب الفقه، وكتابه في الأصول

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٣٩٩) .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

"إرشاد الفحول" وفتاواه المسماة بـ "الفتح الرباني". تفسيره: وفتح القدير للشوكاني تفسير يجمع بين الرواية والاستنباط وفقه نصوص الآيات، اعتمد فيه على فحول المفسرين كالنحاس، وابن عطية، والقرطبي. وهو متداول في جهات كثيرة من أنحاء العالَم الإسلامي[١].

ثانيًا: التفسير بالرأي:

(والمراد بالرأي: الاجتهاد) ويسمى تفسير بالدراية، أو تفسير بالمعقول، والرأي: مصدر رأى رأيًا. مهموز، ويُجمع على آراءٍ وأرءاءٍ. والرأي: التفكُّرُ في مبادئ الأمور، ونظر عواقبها، وعلم ما تؤول إليه من الخطأ والصواب.

والتفسير بالرأي: أن يُعْمِلَ المفسّر عقله في فَهْمِ القرآن، والاستنباط منه، مستخدمًا آلات الاجتهاد[٢]، وهو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر[٣].

حكم التفسير بالرأى:

قسم العلماء التفسير بالرأي إلى قسمين التفسير المقبول والتفسير المذموم.

أولًا: التفسير بالرأي المحمود المقبول:

وهو ما قام على أصل لغوي ورد عند العرب، أو برهان عقلي وافق الشرع. وهو التفسير المبني على المعرفة الكافية بالعلوم اللغوية، والقواعد الشرعية، والأصولية: أصول الدين، وأصول الفقه، وعلم السنن والأحاديث، ولا يعارض نقلا صحيحا، ولا عقلا سليما، ولا علما يقينا ثابتا مستقرا، مع بذل غاية الوسع في البحث والاجتهاد والمبالغة في تحري الحق والصواب، وتجريد النفس من الهوى، والاستحسان بغير دليل، ومع مراقبة الله غاية المراقبة في كل ما يقول[٤].

---

(١)مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٣٩٩)
(٢)راجع التفسير بالرأي مفهومه، حكمه، أنواعه : مساعد بن سليمان الطيار.
(٣)الواضح في علوم القرآن (ص: ٢٣٨)
(٤)راجع الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير.

شروط التفسير المقبول:

والتفسير المقبول وضع العلماء له شروطا لكي يكون مقبولا منها، وضوابط قبول بالتفسير بالرأي:

(١) النقل عن رسول الله ﷺ مع التحرُّز عن الضعيف والموضوع.

(٢) الأخذ بقول الصحابي؛ لأنه في حُكْم المرفوع.

(٣) الأخذ بمطلق اللُّغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلَّا ما لا يدلُّ عليه الكثير من كلام العرب.

(٤) الأخذ بما يقتضيه كلام العرب، ويدلُّ عليه الشَّرْعُ، وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس في قوله: ((اللهمَّ فقِّهه في الدِّين، وعلِّمْه التأويل)).

يقول الزرقاني: فالتفسير بالرأي الجائز يجب أن يُلاحَظ فيه الاعتماد على ما نُقِل عن الرسول ﷺ وأصحابه ممَّا يُنير السبيل للمفسِّر برأيه، وأن يكون صاحبُه عارفًا بقوانين اللغة، خبيرًا بأساليبها، وأن يكون بصيرًا بقانون الشريعة، حتى ينزل كلام الله على المعروف من تشريعه. أما الأمور التي يجب البُعْد عنها في التفسير بالرأي فمن أهمِّها التهجُّم على تبيين مُراد الله من كلامه على جهالة بقوانين اللُّغة أو الشريعة، ومنها حمل كلام الله على المذاهب الفاسدة، ومنها الخوض فيما استأثَر الله بعلمه، ومنها القَطْع بأن مراد الله كذا من غير دليل، ومنها السير مع الهوى والاستحسان[١].

يقول مناع القطان: ما كان موافقًا لقَصْد الله تعالى، بعيدًا عن كل ضلالة وجهالة، متمشِّيًا مع قواعد اللغة العربية، متفهِّمًا لأساليبها في عرض الآيات القرآنية، خاليًا من الهوى والسُّمعة، فمن فسَّر على هذه الشروط كان تفسيرُه جائزًا مفيدًا ما دام قَصْدُه ووجهته خدمةَ كلام الله تعالى، وبيان معانيه بكل صدقٍ وأمانة[٢].

ثانيًا: التفسير بالرأي المذموم المرفوض:

وهو تفسير القرآن بمجرد الرأي والهوى الذي لا يقوم على أصل لغوي ولا برهان عقلي موافق للشرع، فغير جائز لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]. وقوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة:١٦٩]، وهو تفسير الشخص للقرآن الكريم بدون علم عنده ،أو يُفسِّره حسب هواه ومقتضى مذهبه، مع جهله بمعرفة اللغة العربية أو التشريعات

---

(١) راجع (مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، جـ٢، صـ٤٩:٥٠).
(٢) (مباحث في علوم القرآن؛ لمناع القطان، صـ٣٧٧).

الإلهية، أو يحمل كلام الله تعالى على معنى لا يليق به، أو يخوض في الأشياء التي استأثر الله تعالى بعلمها، ويجزم بأن المراد من كلام الله كذا وكذا على غير حق[١].

يقول الدكتور الذهبي: فمن فسَّر القرآنَ برأيه - أي باجتهاده - ملتزمًا الوقوفَ عند هذه المآخذ، معتمدًا عليها فيما يرى من معاني كتاب الله، كان تفسيره سائغًا جائزًا خليقًا بأن يُسمَّى التفسير الجائز أو التفسير المحمود، ومن حاد عن هذه الأصول، وفسَّر القرآن غير معتمد عليها، كان تفسيرُه ساقِطًا خليقًا بأن يُسمَّى التفسير غير الجائز أو التفسير المذموم[٢]، فعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قوله: «اتقوا الرأي في دينكم»، وقال: «إياكم وأصحابَ الرأي؛ فإنهم أعداء السُّنَن. أَعيَتْهُم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا برأيهم، فضلُّوا وأضلُّوا»، وورد عن الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) قوله: «اتَّهِموا أهواءكم ورأيَكم على دين الله، وانتصحوا كتاب الله على أنفسكم ودينكم»، [٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام، عن ابن عباس؛ قال: قال رسول الله ﷺ: " من قال في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار ".و عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: " من قال في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار ". وروي الترمذي عن جُنْدُب، قال: قال رسول الله ﷺ: " من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ "، قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل ابن أبي حزم.

وهكذا روى بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، أنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم[٤].

ولعل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية محمول علي التفسير الذي افقد الشروط والضوابط

حكم التفسير بالرأي المحمود:

أجاز العلماء هذا النوع بضوابطه. ويستدل على جواز التفسير بالرأي المحمود بهذه الأدلة ، الأمر بتدبر القرآن فقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩].
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ

(١)راجع (مباحث في علوم القرآن؛ لمناع القطان، ص٣٧٧).
(٢) (التفسير والمفسرون؛ لمحمد حسين الذهبي، جـ١، ص١٨٣).
(٣)راجع التفسير بالرأي مفهومه، حكمه، أنواعه : مساعد بن سليمان الطيار
(٤)كتاب مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية بتصرف ص٥٢ .

مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء:٨٢-٨٣]، دعاء الرسول لابن عباس رضي الله عنهما بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[١].

اختلاف الصحابة في تفسير آيات من القرآن مما لم يبين لهم الرسول، فلو كان النظر والاجتهاد محظورا في فهم القرآن، لكان الصحابة قد وقعوا في معصية الله تعالى! إن الناس قد درجوا على تفسير القرآن بالاجتهاد والنظر من أيام التدوين إلى أيامنا هذه، ولن تجتمع هذه الأمة على ضلالة بنص الحديث المشهور: «لا تجتمع أمتي على الضلالة»[٢].

كثير من الصحابة كان يُفسِّر بعض آيات القرآن بالرأى والاجتهاد، مستعيناً على ذلك: بقوة الفهم وسعة الإدراك، وبمعرفة أوضاع اللغة وأسرارها، ومعرفة عادات العرب، وأحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن[٣].

أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي:

١- تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم. ٢- تفسير أبي علي الجبائي. ٣- تفسير عبد الجبار. ٤- تفسير الزمخشري "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل". ٥- تفسير فخر الدين الرازي "مفاتيح الغيب". ٦ - تفسير ابن فورك. ٧- تفسير النسفي "مدارك التنزيل وحقائق التأويل". ٨- تفسير الخازن "لباب التأويل في معاني التنزيل". ٩- تفسير أبي حيان "البحر المحيط". ١٠- تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". ١١- تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي. ١٢- تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن". ١٣- تفسير أبي السعود "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". ١٤- تفسير الآلوسي "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني".

مفاتيح الغيب للرازي:

فخر الدين الرازي: وهو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الامام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري سنة

---

(١)اخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم رقم ٧٥ و ١٤٣ و ٣٥٤٦ و ٦٨٤٢. وأخرجه الإمام مسلم في فضائل الصحابة رقم ٢٤٧٧. وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب ٤٢. وأخرجه ابن ماجة في المقدمة باب ١١. وأخرجه ابن سعد في طبقاته الجزء ٢ صفحة ١١٩ و ١٢٣

(٢) أصله (إِنَّ اللَّهَ قد أجارَ أمَّتي أن تجتمِعَ على ضلالةٍ عن :أنس بن مالك | حسن : الألباني
وفي رواية إنَّ اللَّهَ لا يجمعُ أمَّتي - أو قالَ : أمَّةَ محمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ - على ضلالةٍ ويدُ اللَّهِ معَ الجماعةِ ومن شذَّ شذَّ إلى النَّارِ عن عبدالله بن عمر : الألباني صحيح الترمذي

(٣)راجع كتاب: الواضح في علوم القرآن، تأليف: مصطفى ديب البغا.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(٥٤٤هـ)، وتوفي سنة (٦٠٦هـ) وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، وكان يحسن الفارسية.

من تصانيفه (مفاتيح الغيب - ط) ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و (لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات - ط) و (معالم أصول الدين - ط) و (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين - ط) و (المسائل الخمسون في أصول الكلام - ط) و (الآيات البينات - خ) و (تعجيز الفلاسفة) بالفارسية، وغير ذلك. وله شعر بالعربية والفارسية، وكان واعظا بارعا باللغتين[١].

وهو من العلماء المتبحرين الذين نبغوا في العلوم النقلية والعلوم العقلية، واكتسب شهرة عظيمة طوفت به في الآفاق، وله مصنفات كثيرة، ومن أهم مصنفاته تفسيره الكبير، المسمى بـ "مفاتيح الغيب".

ويقع هذا التفسير في ثماني مجلدات كبار، وتدل الأقوال على أن الفخر الرازي لم يتمه. وتتضارب الآراء في الموضع الذي انتهى إليه في تفسيره، وفيمن أتمه بعده. ويعلّق على هذا الشيخ محمد الذهبي فيقول: "والذي أستطيع أن أقوله كحَلٍّ لهذا الاضطراب، هو أن الإمام فخر الدين كتب تفسيره هذا إلى سورة الأنبياء، فأتى بعده شهاب الدين الخوبي فشرع في تكملة هذا التفسير ولكنه لم يتمه، فأتى بعده نجم الدين القمولي فأكمله ..

ويمكن أن يكون الخوبي أكمله إلى النهاية، والقمولي كتب تكملة أخرى غير التي كتبها الخوبي، وهذا هو الظاهر من عبارة صاحب كشف الظنون". والقارئ لهذا التفسير لا يجد تفاوتًا في المنهج والمسلك، ولا يستطيع أن يميِّز بين الأصل والتكملة. ويهتم الفخر الرازي ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره، ويُكْثِر من الاستطراد إلى العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والفلسفية ومباحث الإلهيات على نمط استدلالات الفلاسفة العقلية، ويذكر مذاهب الفقهاء، ومعظم ذلك لا حاجة إليه في علم التفسير. فكتابه موسوعة علمية في علم الكلام، وفي علوم الكون والطبيعة، وبهذا فَقَدَ أهميته كتفسير للقرآن الكريم[٢]، وبدأ الإمام الرازي كتابة تفسيره في آخر حياته، بعد أن جاوز الخمسين من عمره.

---

(١) (الأعلام - خير الدين الزركلي - ج ٦ - الصفحة ٣١٣).
(٢) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٣٧٩) .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

منهج الرازي في تفسيره:

الإمام الرازي لم يكتب لتفسيره مقدمة مفصلة كما فعل كثير من المفسرين، وإنما كتب في بداية تفسير سورة الفاتحة مقدمة مجملة تدل على طبيعة تفسيره، ولم يتطرّقْ إلى الحديث عن أهداف تأليفه للتفسير: الناظر في هذا التفسير يجد أموراً هامة تلفت النظر وتشد الانتباه منها: الاهتمام بذكر المناسبات بين سور القرآن وآياته وبعضها مع بعض حتى يوضح ما عليه القرآن من ترتيب على الحكمة ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾[فصلت: ٤٢]. وكثرة الاستطراد إلى العلوم الرياضية والفلسفية والطبيعة وغيرهما. والعرض لكثير من آراء الفلاسفة والمتكلمين بالرد والتفنيد فهو على شاكلة أهل السنة ومن يعتقد معتقدهم، حيث يقف دائمًا للمعتزلة بالمرصاد يفند آراءهم ويدحض حججهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

والفخر الرازي في تفسيره لا يكاد يمر بآية من آيات الأحكام إلا ويذكر مذاهب الفقهاء فيها مع ترويجه للمذهب الشافعي الذي كان يتابعه هو في عبادته ومعاملاته.

ويضيف الرازي إلى ما سبق كثيرًا من المسائل في علوم: الأصول والبلاغة والنحو وغيرها، وان كانت هذه المسائل في مجموعها بعيدة عن الإطناب والتوسع كما هو الحال في المسائل الكونية والرياضية والفلسفية بوجه عام.

وبالجملة فتفسير الإمام الرازي أشبه ما يكون بموسوعة كبيرة في علوم الكون والطبيعة والعلوم التي تتصل اتصالا من قريب أو بعيد بعلم التفسير والعلوم الخادمة له والمترتبة عليه استنباطا وفهما. وأهم أهداف هذا التفسير تتمثل في الدفاع عن القرآن والاستشهاد له بالعلوم والمعارف، والدفاع عن العقيدة الإسلامية برد شبهات المشككين والطاعنين وبانتزاع الريادة في التفاسير العقلية من المعتزلة، وبيان التناسق والترابط بين السور والآيات القرآنية لإثبات الوحدة الموضوعية للقرآن[1].

البحر المحيط لأبي حيان:

وهو أبو حيان النحوي (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ) اسمه محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، النفزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة. وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفى فيها، بعد أن كف

---

(١) راجع د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، (دمشق: دار القلم، ط١، ٢٠٠٣م)، (ص٤٧٣-٤٧٤) .

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بصره. واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه. من كتبه (البحر المحيط - ط) في تفسير القرآن، ثماني مجلدات[١].

وكان أبو حيان الأندلسي الغرناطي على جانب كبير من المعرفة باللغة، وكان على علم واسع في التفسير، والحديث، وتراجم الرجال، ومعرفة طبقاتهم، خصوصًا المغاربة، وله مؤلفات كثيرة، أهمها تفسيره "البحر المحيط".

ويقع هذا التفسير في ثماني مجلدات كبار، وهو مطبوع متداول، ويهتم أبو حيان فيه بذكر وجوه الإعراب، ومسائل النحو، ويتوسع في هذا فيذكر الخلاف بين النحويين، ويناقش ويجادل، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير.

وينقل أبو حيان في تفسيره كثيرًا من تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية. ولا سيما ما يتعلق بمسائل النحو ووجوه الإعراب، ويتعقبها كثيرًا بالرد، ويحمل على الزمخشري أحيانًا حملات قاسية، وإن كان يشيد بما له من مهارة فائقة في تجلية بلاغة القرآن وقوة بيانه، ولا يرضى أبو حيان عن اعتزاليات الزمخشري فينقدها ويردها بأسلوب ساخر، ويعتمد في أكثر نقوله على كتاب "التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير" وهو لشيخه: جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان المقدسي المعروف بابن النقيب، ويذكر أبو حيان عنه أنه أكبر كِتاب صُنِّف في علم التفسير، يبلغ في العدد مائة سِفْر أو يكاد[٢].

ويُعد (البحرُ المحيط) من التفاسير المدرجة ضمن التفاسير بالرأي، اهتم فيه مصنفه أبو حيان بذكر وجوه الإعراب لألفاظ القرآن ودقائق مسائله النحوية، وتوسع فيها غاية التوسع، وذكر مسائل الخلاف فيها، حتى كاد الكتاب أقرب ما يكون كتاب نحو منه كتاب تفسير، ومع ذلك لم يهمل المصنف الجوانب التفسيرية الأخرى، كذكره المعاني اللغوية للآيات، والأسباب الواردة في نزولها، ويتعرض أيضًا لذكر الناسخ والمنسوخ، وأوجه القراءات القرآنية، والأحكام الفقيهة المتعلقة بآيات الأحكام، وقد اعتمد المصنف في جمع مادة تفسيره على كتاب التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير لمؤلفه ابن النقيب، كما أنه كان كثيرًا ما ينقل عن الزمخشري وابن عطية الأندلسي، خاصة في مسائل النحو، ويتعقبهما في كثير من المسائل، مع اعترافه لهما بمنزلتهما العلمية، وألفه أبو حيان الغرناطي، إبَّان إقامته في مِصْرَ بعد أن جاوز الخمسين من عمُرُه[٣].

---

(١)راجع الأعلام - خير الدين الزركلي (ج ٧ - الصفحة ١٥٢)

(٢)"التفسير والمفسرون" (جـ١ ص٢٩٣) ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٣٨٠) .

(٣)راجع تفسير البحر المحيط أبو حيان الأندلسي · المحقق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض زكريا عبد المجيد النوتي - أحمد النجولي الجمل.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري:

الزمخشري ولد سنة (٤٦٧هـ) وتوفي سنة (٥٣٨هـ): وهو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها. أشهر كتبه (الكشاف - ط) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة - ط) وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، شديد الانكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره كان الزمخشري عالِمًا عبقريًّا فذًّا في النحو واللغة والأدب والتفسير، وآراؤه في العربية يستشهد علماء اللغة بها لأصالتها ودقتها[١].

يقول الزمخشري مادحا تفسيره:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد. وليس فيها لعمري مثل كشافي
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته. فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

والزمخشري معتزلي الاعتقاد، حنفي المذهب، ألَّف كتاب "الكشاف" بما يدعم عقيدته ومذهبه، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:** وأما (الزمخشري) فتفسيره محشو بالبدعة، وعلى طريقة المعتزلة من إنكار الصفات، والرؤية، والقول بخلق القرآن، وأنكر أن الله مريد للكائنات، وخالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة . وهذه الأصول حشى [بها الزمخشري] كتابه بعبارة لا يهتدي أكثر الناس إليها، ولا لمقاصده فيها، مع ما فيه من الأحاديث الموضوعة، ومن قلة النقل عن الصحابة والتابعين[٢].

واعتزاليات الزمخشري في تفسيره أمارة على حذقه ودهائه ومهارته، فهو يأتي بالإشارات البعيدة ليضمنها معنى الآية في الانتصار للمعتزلة والرد على خصومهم. ولكنه في الجانب اللغوي كشف عن جمال القرآن وسحر بلاغته لما له من إحاطة بعلوم البلاغة والبيان والأدب والنحو والتصريف، فكان مرجعًا لُغويًّا غنيًّا، وهو يشير في مقدمته إلى هذا فيذكر أن مَن يتصدى للتفسير لا يغوص على شيء من حقائقه، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما "علم المعاني"، و"علم البيان"[٣].

---

(١) الأعلام - خير الدين الزركلي، (ج ٧ - الصفحة ١٧٨) .
(٢) كتاب مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية بتصرف (ص٥٢)
(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٣٨١)

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن".

وهو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح كنيته أبو عبد الله ولد بقرطبة ب (الأندلس) وتوسع بدراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن وغيرها كما تعلم الشعر أيضاً. انتقل إلى مصر واستقر بمنية بني خصيب (المنيا) حتى وافته المنية في ٩ شوال (٦٧١هـ)، وهو يعتبر من كبار المفسرين وكان فقيهًا ومحدثًا ورعًا وزاهدًا متعبدًا .

قالوا عنه:

الذهبي: " إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة إطلاعه ووفود عقله وفضله"، الحركة العلمية في عصر القرطبي: نشطت الحياة العلمية بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين (٥١٤ - ٦٦٨ هـ) وهو العصر الذي عاش فيه القرطبي فترة من حياته أيام إن كان بالأندلس وقبل أن ينتقل إلى مصر ومما زاد الحركة العلمية ازدهاراً في هذا العصر:

يقول محمد بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية كان من أقطاب علماء عصره وقد أفسح في دعوته للعلم وحض على تحصيله". قال عنه ابن فرحون: «كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف.» [(١)]، قال عنه ابن العماد: «وكان إمامًا عالمًا غوَّاصًا من الغوَّاصين على معاني الحديث، حسن التصنيف، جيِّد النقل»[(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: و(تفسير القرطبي) خير منه بكثير،يقصد الزمخشري وأقرب إلى طريقة أهل الكتاب والسنة، وأبعد عن البدع. وإن كان كل من هذه الكتب لا بد أن يشتمل على ما ينقد، لكن يجب العدل بينها وإعطاء كل ذي حق حقه[(٣)].

وهو من أفضل كُتب التفسير التي عُنيت بالأحكام. وهو فريد في بابه. كما أنه من أجمع ما صنف في هذا الفن. وصف بأنه من أجلّ التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه مؤلفه التواريخ والقصص، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والناسخ والمنسوخ.

---

(١)التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا (١/ ٤٤٠)
نظر طبقات السيوطي ص: ٧٩. و انظر معجم المفسرين ٢/ ٤٧٩
(٢) من في شذرات الذهب في أخبار من ذهب. لابن العماد،
(٣)كتاب مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٥٢

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

منهجه في التفسير:

١. يعرض لذكر أسباب النزول، والقراءات، والإعراب، ويبين الغريب من الألفاظ. ٢. يحتكم كثيراً إلى اللغة، ويكثر من الاستشهاد بأشعار العرب. ٣. ويرد على المعتزلة، والقدرية، والروافض، والفلاسفة، وغلاة المتصوفة. ٤. لكنه لم يسقط القصص بالمرة، بل أضرب عن كثير منها؛ فقد روى أحيانا ما جاء من غرائب القصص الإسرائيلي. ٥. كان ينقل عن السلف كثيراً مما أثر عنهم في التفسير والأحكام، مع نسبة كل قول إلى قائله. ٦. كما كان ينقل عن كثير ممن تقدمه في التفسير، خصوصًا من ألف منهم في كتب الأحكام، فنقل عن ابن جرير الطبري، وابن عطية، وابن العربي، وأبو بكر الجصاص (وقال عن تفسير أريد أن أكتب تعليقاً وجيزاً، يتضمن نكتاً من التفسير واللغات، والإعراب والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعاً بين معانيهما، ومبيناً ما أشكل منهما، بأقاويل السلف، ومن تبعهم من الخلَف)[1].

تفسير الجلالين، وهمَا: (جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي):

أما جلال الدين المحلي: فهو الإمام جلال الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن كمال الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم العباسي الأنصاري المحلّي الأصل - نسبة للمحلة الكبرى محافظة الغربية - القاهري الشافعي. ولد في مستهل شوال سنة إحدى وتسعين وسبعمائة (٧٩١هـ) الموافق سنة (١٣٨٩م) بالقاهرة ونشأ بها فقرأ القرآن وحفظ المتون واشتغل في فنون العلم.وكان إمامًا علامة محققًا نظارًا مفرط الذكاء آيةً في الذكاء والفهم، صحيح الذهن. وفاته مرض بالإسهال وكانت وفاته من نصف رمضان في صبيحة يوم السبت مستهل سنة (٨٦٤هـ) .

وتفسيره: فقد ابتدأ تفسيره من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس، ثم ابتدأ بتفسير الفاتحة، وبعد أن أتمها اختارته المنية فلم يفسِّر ما بعدها.

وأما جلال الدين السيوطي: وهو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي، (القاهرة ٨٤٩ هـ- القاهرة ٩١١ هـ إمام حافظ، ومفسر، ومؤرخ، وأديب، وفقيه شافعي. له نحو ٦٠٠ مصنف. نشأ في القاهرة يتيماً؛ إذ مات والده وعمره خمس سنوات، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه. وله ترجمة أوسع في

---

[1] منهج الإمام القرطبي في تفسير آيات الأحكام في كتابه ((الجامع لأحكام القرآن))دراسة تحليلية إعداد/ عامر بن عيسى الله.

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الحديث عن كتاب الدر المنثور، فقد جاء بعد الجلال المحلي فكمَّل تفسيره، فابتدأ بتفسير سورة البقرة وانتهى عند آخر سورة الإسراء، ووضع تفسير الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلي لتكون ملحقة به، وكثيرًا ما يخطئ بعض الناس في هذا التقسيم[١].

ثالثًا: التفسير الموضوعي:

لقد ظهر نوع جديد من أنواع التفاسير عرف باسم (التفسير الموضوعي) وهو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر، أو هو منهج من مناهج أو أسلوب من أساليب علم التفسير إلى جانب التفسير التحليلي والتفسير الإجمالي والتفسير المقارن[٢].

إذا كان التفسير التحليلي يأخذ كل آية أو مجموعة آيات على حدة، فيذكر ما يتعلق بها من الناحية اللغوية والعقائدية والفقهية والكلامية إلى جانب ما يتعلق بها من ناحية مباحث علوم القرآن الأخرى، فإن التفسير الموضوعي هو أفراد الآيات القرآنية التي تعالج موضوعا واحدا وهدفا واحدا، بالدراسة والتفصيل، بعد ضم بعضها إلى بعض، مهما تنوعت ألفاظها، وتعددت مواطنها - دراسة متكاملة[٣].

وقت ظهور التفسير الموضوع وأول من ألف فيه: لم يظهر مفهوم «التفسير الموضوعي» إلا حديثا في ،أقل من خمسين سنة ماضية فقط، وكانت مادة (التفسير الموضوعي) تدرس في الأزهر في الستينات من القرن الماضي، في كلية أصول الدين عام ١٩٦٦م على يد الشيخ أحمد الكومي رحمه الله تعالى، وهو أول من كتب مذكرة لطلابه سماها (التفسير الموضوعي) وطبعت في كتيب في السبعينات مع تلميذه محمد القاسم. (وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي) نشر في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة

---

(١)راجع مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٣٧٨)

(٢)راجع كتاب اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ.د. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي؛ الناشر: إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية؛ الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م)؛ (٣/ ٨٦٢).

(٣)راجع كتاب التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه لأحمد بن عبد الله الزهراني؛ الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؛ الصفحة: ١١.

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أهمية هذا النوع في التفسير:

للتفسير الموضوعي أهمية كبيرة منها: إبراز الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم وما يتعلق بها من علوم. إظهار اللطائف والهدايات من خلال النظرة الكلية للسورة. ومعالجة كثير من القضايا المعاصرة من منطلق قرآني. وإظهار حيوية وواقعية القرآن الكريم حيث إنه يصلح لكل زمان ومكان فلا ينظر الباحثون إلى موضوعات القرآن على أنها موضوعات قديمة نزلت قبل خمسة عشر قرنا، وإنما يعرضونها في صورة علمية واقعية تناقش قضايا ومشكلات حية. والتفسير الموضوعي أساس تأصيل الدراسات القرآنية وعرضها أمام الباحثين عرضًا قرآنيًّا منهجياً وتصويب هذه الدراسات وحسن تخليصها مما طرأ عليها من مشارب وأفكار غير قرآنية[1].

مؤلفات اهتمت بهذا الجانب:

موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.[مجموعة باحثين] والتفسير الموضوعي للفاتحة وقصار المفصل (محمد العواجي)

والتفسير الموضوعي للشيخ جوادي الآملي، وفي ظلال القرآن لشهيد الإسلام سيد قطب (يتضمن دراسة موضوعية للسور)

وتدبر القرآن لأمين أحسن إصلاحي. والتفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم في ظلال القرآن. وشذرات من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

وموسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم و موسوعة أحكام القرآن، كما نشرت مجموعة من المنشورات متعلقة بالتفسير الموضوعي.

وكتاب مباحث في التفسير الموضوعي. ومنهج التفسير الموضوعي في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

ومنهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، ومنهج التفسير الموضوعي في رد القراءات الحداثية للقرآن الكريم محمد أركون أنموذجا. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم مجالاته ومنهجية .

والتفسير الموضوعي: التأصيل والتمثيل.للأستاذ الدكتور زيد عمر عبد الله العيص. وبحث الدكتور عبد السلام اللوح بعنوان (وقفات مع نظرية التفسير

---

[1] راجع كتاب (مباحث في التفسير الموضوعي) - المؤلف:مصطفى مسلم-الناشر:دار التدمرية-الرياض (ص٢١).

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الموضوعي) والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق للأستاذ الدكتور صلاح الخالدي .

رابعًا: التفسير الإشاري:

هناك نوع آخر من أنواع التفسير عرف باسم (التفسير بالإشارة)، أو (التفسير الإشاري) ويسمى أيضا (التفسير الصوفي) أو (التفسير الفيضي)، وهو نوع من تفسير القرآن الكريم، وينتمي إلى طريقة مُعَيَّنة من الفهم، وهو فهم المعاني التي قد لا تظهر لأوَّلِ وهلة وإنَّما تحتاج لتَدَبُّر وتأمُّل، وهذه المعاني تكون من إشارات الآيات، وهو تأويل القرآن على خلاف ظاهره؛ لإشارة خفية تظهر لبعض أهل العلم، وتظهر لبعض العارفين بالله تعالى، المجاهدين للنفس ،وأرباب السلوك وأولي العلم[١].

ومعنى هذا أن التفسير بالإشارة هو أن يرى المفسِّرُ معنًى آخَرَ للآية لظاهر تحتمله الآية الكريمة، ولكن هذا المعنى لا يظهر لكل إنسان؛ وإنما يظهر لمن فتح الله تعالى قلبه بالإيمان، وأنار الله بصيرته[٢].

وقال الصابوني: (التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أوتظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نور الله بصائرهمفأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطةالإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد منالآيات الكريمة)[٣]، وعرفه الإمام الماتريدي بأنه: "تأويل القرآن على خلاف ظاهره لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نوَّر الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم[٤].

ضوابط قبول التفسير بالإشارة:

قال الإمام ابن القيم (رحمه الله): لا بأس بالتفسير بالإشارة بأربعة شروط، وهي: (١) ألَّا يُناقض معنى الآية. (٢) أن يكون معنًى صحيحًا في نفسه. (٣) أن

---

(١)مصطفى ديب البغا، في علوم القرآن، معنى التفسير الإشاري، الواضح في علوم القرآن.
(٢) (مناهل العرفان في علوم القرآن؛ للزرقاني جـ٢، صـ٧٨).
(٣)التبيان في علوم القرآن للصابوني (ص١٩١) .
(٤)تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (١/ ٢٨١).

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يكون في اللفظ إشعارٌ به. (٤) أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباطٌ وتلازمٌ. فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا[١].

يقول الدكتور: مساعد بن سليمان الطيار: مما يحسن التنبّه له أنه ليس كلّ ما نُسِب إلى التفسير الإشاري فإنه باطل محض، بل الإشارات والاعتبارات مثل القياس في الفقه، منه ما هو صحيح، ومنه ما هو خطأ، ومنه ما هو باطل، وقد أشار إلى ذلك عدد من العلماء؛ منهم ابن تيمية، ولقد جاء ذكر في حقائق التفسير من الإشارات التي بعضُها كلامٌ حَسَنٌ مستفاد، وبعضُها مكذوبٌ على قائله مفترى؛ كالمنقول عن جعفر وغيره، وبعضُها من المنقول الباطل المردود"[٢].

ومن أمثلة التفسير الإشاري:

كما قال التستري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[الشعراء: ٨٠- ٨١]: "يعنى إذا تحركت بغيره لغيره عصمني، وإذا ملت إلى شهوة من الدنيا منعها عني، وقوله: ﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾، أي: الذي يميتني بالغفلة ثم يحيينى بالذكر".

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات: ٩]

قال: "ظاهرهما ما عليه من أهل التفسير، وباطنها هو الروح والعقل، والقلب والطبع، والهوى والشهوة، فإن بغى الطبع والهوى والشهوة على القلب والعقل والروح؛ فليتقاتل العبد بسيوف المراقبة، وسهام المطالعة، وأنوار الموافقة ليكون الروح والعقل غالبًا، والهوى والشهوة مغلوبًا".

والذين أجازوا هذا النوع ،يستشهدون بأن الصحابة أنفسهم فسروا القرآن تفسيرًا إشاريًا، ومن أشهر ذلك ما كان يفعله عمر رضي الله عنه من إدخال عبد الله بن عباس مع أشياخ بدر، حتى إذا ما وجد بعضهم في نفسه شيئًا من ذلك قال لهم عمر: إنه مَن قد علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، وسألهم عن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[النصر: ١]؛

فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا؛ فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. فقال فما

---

(١) راجع (التبيان في أقسام القرآن؛ لابن القيم، ص:٧٩).
(٢) (راجع مقالة: الاستفادة من التفسير الإشاري في تدبُّر القرآن).

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[النصر: ٣]، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول. رواه البخاري. ففهم ابن عباس وعمر من الآية معنىً باطنًا دلَّت عليه السورة بطريق الإشارة، بينما لم يفهم بعض الصحابة الأخرون إلا ظاهرها.

ومثل ذلك أن عمر رضي الله عنه لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾[المائدة: ٣] بكى، فقال له النبي ﷺ: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنّا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص! فقال: صدقت. ففهم رضي الله عنه أن الآية قد أشارت إلى نعي رسول الله ﷺ، وأقره رسول الله ﷺ على ذلك الفهم.

كتب التفسير الإشاري:

تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد للإمام أحمد بن عجيبة، وهو كتاب جامع لاعتماد مؤلفه على كتب كثير من المؤلفين السابقين كالبيضاوي، وأبي السعود أفندي، والثعلبي، وحافظ الدين النسفي وغيرهم

ومن أهم كتب التفسير التي اهتمت بالتفسير الإشاري أيضا:

تفسير سهل التستري (ت ٢٨٣هـ): (تفسير القرآن العظيم)، وتفسير أبي عبد الرحمن السُّلمي (ت ٤١٢هـ): (حقائق التفسير). وتفسير أبي القاسم القشيري (ت ٤٦٥هـ): (لطائف الإشارات). وتفسير محيي الدين عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ)، (تفسير الجيلاني). وتفسير أبي محمد البقلي الشيرازي (ت ٦٠٦هـ): (عرائس البيان في حقائق القرآن). وتفسير نجم الدين الكبرى (ت ٦١٨هـ): (التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي). وتفسير محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨هـ): (تفسير القرآن الكريم). وتفسير عز الدين الرسعني (ت ٦٦١هـ): (رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز)، وتفسير نظام الدين النيسابوري (ت ٧٢٨هـ): (غرائب القرآن ورغائب الفرقان). وتفسير برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ): (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور). وتفسير إسماعيل حقي البروسوي (ت ١١٢٧هـ): (روح البيان في تفسير القرآن). وتفسير أحمد بن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ): (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد). وتفسير شهاب الدين الألوسي (ت ١٢٧٠هـ): (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

آراء العلماء في التفسير الإشاري:

اختلف العلماء في التفسير الإشاري، وكثرت فيه الآراء، فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، ومنهم من عدَّه من الأمور المهمة، ومنهم من اعتبره زيغًا وضلالًا، وانحرافًا في دين الله، والذي يتضح بعد الإطلاع علي بعض مسائله، أني أجد في النفس شيء منه، وخاصة أنه من الممكن ان يغير المعنى المراد الذي جاء من عند الله سبحانه ، فمثلا منهم من يقول في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾[،قالوا: هي النفس. فمن قال هذا ؟! الآية واضحة وسبب نزولها معروف وهو قتال المشركين ،فما علاقة النفس بالآية. وأيضا يقولون: في قوله ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه﴾[.يقولون نوح هو العقل فمن قال هذا؟ فنخشي ما نخشاه من تغير المعنى عن مواضعه،ويحدث تعريف في فهم آيات الله تعالى، أما إن كان التفسير، إقرارا للمعنى الظاهر المراد منه ، والإيمان به كما نزل، فتقبل فهم هذه الإشارة ، إذا كان منها فائدة راجحة وتهذيب للسلوك.

التفسير الباطني:

التفسير الباطني هو الذي يبطل النص الظاهر منه فهو غير مقبول بالمرة، قال التفتازاني في شرحه على النسفية: (سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية قال: وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان)[1]. اهـ

وللمزيد الرجوع لكتاب التفسير الإشاري: ماهيته وضوابطه تأليف: الأستاذ الدكتور مشعان سعود العيساوي، يتناول موضوع التفسير الإشاري للآيات القرآنية فعرف بهذا التفسير وبين ضوابطه وكتبه وذكر المانعين له وذكر منهج الباطنية بالتفسير وموقف العلماء من التفسير الباطني والفرق بين التفسير الإشاري والباطني وأوجه الاتفاق وغير ذلك.

(١)الإتقان للسيوطي، (٢/ ٤٨٥) ،

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

خامسًا: تفسير آيات الأحكام أو ما يعرف بـ(التفسير الفقهي).

آيات الأحكام هي: «الآيات التي تُبَيِّن الأحكام الفقهية وتدلّ عليها نصًّا أو استنباطًا»[١]، ولقد قسَّم العلماء محتوى الدين الإسلامي إلى ثلاثة أقسام، تمثل كل منها جانبًا من جوانب الشمول والتكامل في هذا الدين العظيم:

أ- العقيدة الإسلامية: وأصل التسمية مأخوذ من عَقَد الحبل إذا ربطه، ثم استعمل في عقيدة القلب وتصميمه الجازم، وموضوعها أركان الإيمان الستة، وما ألحق بها من مسائل، ولهذا العلم الشريف أسماء أخرى، منها: الإيمان والتوحيد وأصول الدين.

ب- الأحكام الأخلاقية: وهي الأحكام الوجدانية التي تتعلق بما يجب على المكلف أن يتحلى به من الفضائل، وما يجب أن يتخلى عنه من الرذائل، وتدرس هذه الأحكام في علم الأخلاق.

ج- الأحكام العملية (الفقهية): تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال، وتشمل أحكام العبادات التي تنظم علاقة الإنسان بربه، كالفروض الخمسة، وأحكام المعاملات التي تنظم علاقة الناس بعضهم ببعض، سواء أكانوا أفرادًا أم جماعات. وأحكام الأسرة والمعاملات المالية والجرائم والعقوبات... إلخ»[٢].

نشأة تفسير آيات الأحكام.

تفسير آيات الأحكام لم يكن علما مستقلا أيام النبي ﷺ ولا الصحابة الكرام ،بل كان كغيره من آيات القرآن، بدون تمييز فكان النبي يبين للصحابة الكرام أحكام الشريعة عقيدة وفقها وأصولا، وكان ﷺ يوضح لهم ويبين لهم ما احتاجوه من معرفة. يقول الدكتور الذهبي: كان الصحابة - يهتمون بسؤاله -صلى الله عليه وآله وسلم- عن هذا النوع من الآيات؛ قال عمر بن الخطاب: «سألتُ رسول الله عن الكلالة، فقال: تكفيك آية الصيف»[٣]،[٤].

عدد آيات الأحكام:

اختلف أهلُ العلم في كون آيات القرآن الدالّة على الأحكام الفقهية محدودة محصورة أم لا؟ على قولين: **القول الأول**: أن آيات الأحكام محدودة، محصورة بعدد معيّن، ثم اختلف هؤلاء في عددها: فقيل: هي خمسمائة آية. وقيل: بل

---

(١)تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، للدكتور/ علي بن سليمان العبيد (١/ ٢٥) .
(٢)راجع آيات وأحاديث الأحكام ، عددها والمؤلفات فيها، د. أحمد عبد المجيد مكي .
(٣)صحيح البخاري.
(٤)التفسير والمفسِّرون للذهبي، (١/ ١٥٦) .

مائتا آية فقط. وقيل: هي مائة وخمسون آية فقط. **القول الثاني**: أن آيات الأحكام غير محدودة العدد، فكلّ آية في القرآن قد يُستنبط منها حكمٌ معيّنٌ ومَرَدُّ ذلك إلى ما يفتحه اللهُ على العالِم من معاني القرآن ودلالاته، وما يتميز به العالِم من صفاء الروح، وقوة الاستنباط، وجودة الذهن وسيلانه.

قال نجم الدِّين الطُّوفي: «والصحيح أن هذا التقدير غيرُ معتبَر، وأن مقدار أدلة الأحكام في ذلك غير منحصِر؛ فإن أحكام الشرع كما تُستنبط من الأوامر والنواهي، كذلك تُستنبط من الأقاصيص والمواعظ ونحوها، فَقَلَّ آية في القرآن الكريم إلّا ويُستنبط منها شيء من الأحكام، وإذا أردتَ تحقيق هذا؛ فانظر إلى كتاب أدلة الأحكام للشيخ عِز الدِّين بن عبد السلام، وكأنّ هؤلاء -الذين حصروها في خمسمائة آية- إنما نظروا إلى ما قُصد منه بيان الحكم دون ما استُفِيد منه، ولم يُقصد به بيانها»، وقال القرافي: «فلا تكاد تجد آية إلّا وفيها حكم، وحصرها في خمسمائة آية بعيد»[1].

ومن أمثلة هذا التفسير:

أحكام القرآن – للجصاص: والْجصَّاص وهو أحمد بن علي الرَّازي، أبو بكر الجصاص: فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها، انتهت إليه رئاسة الحنفية. وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع. وألف كتاب (أحكام القرآن)، وكتابا في (أصول الفقه) مصور، في معهد المخطوطات بالقاهرة، ولد سنة (٣٠٥هـ)، ومات سنة: (٣٧٠هـ)[2].

والجصاص -نسبة إلى العمل بالجص– من أئمة الفقه الحنفي في القرن الرابع الهجري. ويعتبر كتابه "أحكام القرآن" من أهم كتب التفسير الفقهي، ولا سيما عند الأحناف.

وقد اقتصر المؤلف في هذا الكتاب على تفسير الآيات التي تتعلق بالأحكام الفرعية، فيورد الآية أو الآيات، ثم يتولى شرحها بشيء من المأثور في معناها، ويستطرد في ذكر المسائل الفقهية التي تتصل بها من قريب أو بعيد، ويسوق الخلافات المذهبية، حيث يشعر القارئ أنه يقرأ في كتاب من كتب الفقه، لا في كتاب من كتب التفسير.

والجصاص يتعصب لمذهب الحنفية تعصبًا ممقوتًا، يحمله على التعسف في تفسير الآيات وتأويلها انتصارًا لمذهبه، ويشتد في الرد على المخالفين متعنتًا[3].

---

(١) راجع مقدمة في آيات الأحكام الكاتب : وليد العُمري .
(٢) كتاب الأعلام للزركلي (١ / ١٧١) .
(٣) راجع كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ، (ص٣٨٧) .

السَّادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أحكام القرآن – لابن العربي: وهو (أبو بكر ابن العربي) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها. قال ابن بشكوال: ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها. من كتبه (العواصم من القواصم - ط) جزآن، و (عارضة الأحوذي في شرح الترمذي - - ط) و (أحكام القرآن - ط) مجلدان.

وهو غير محيي الدين ابن عربي، ولد سنة (٤٦٨هـ)، وتوفي سنة: (٤٥٣هـ)[١]. من أئمة علماء الأندلس المتبحرين. وهو مالكي المذهب. وكتابه "أحكام القرآن" أهم مرجع للتفسير الفقهي عند المالكية. وابن العربي في تفسيره رجل معتدل منصف، لا يتعصب لمذهبه كثيرًا، ولا يتعسف في تفنيد آراء المخالفين كما فعل الجصاص، وإن كان يتغاضى عن كل زلة علمية تصدر من مجتهد مالكي[٢].

وقد توسع في آيات الأحكام حتى بلغت في كتابه أكثر من ٨٠٠ آية، وهو في تفسيره يتعرض لسور القرآن كلها؛ ولكنه لا يتعرض بالتفسير إلا لما فيها من آيات الأحكام، وطريقته في الشرح أن يذكر السورة ثم يذكر عدد ما فيها من آيات الأحكام، ثم يأخذ في شرحها آيةً آية.. قائلا: الآية الأولى وفيها خمس مسائل . مثلاً . الثانية وفيها سبع مسائل، وهكذا، كما أننا نجده كثيراً ما يحتكم إلى اللغة في استنباط المعاني من الآيات، كما أنه يكره الإسرائيليات كرها شديداً، كما أنه ينفر من الأحاديث الضعيفة، ويحذر منها في أكثر من موطن[٣].

وهو يذكر آراء العلماء في تفسير الآية مقتصرًا على آيات الأحكام، ويُبين احتمالاتها المختلفة لدى المذاهب المتعددة، ويُفرد كل نقطة في تفسير الآية بعنوان. فيقول: المسألة الأولى.. المسألة الثانية.. وهكذا، وقلَّما يقسو في الرد على مخالفيه، ويحتكم ابن العربي في تفسيره إلى اللغة في استنباط الأحكام. وينفر من الإسرائيليات، ويتعرض لنقد الأحاديث الضعيفة ويحذر منها، والكتاب مطبوع عدة طبعات، منها طبعة في مجلدين كبيرين، ومنها طبعة في أربع مجلدات ويتداوله العلماء[٤].

أحكام القرآن لأبي الحسن علي بن محمد (ت ٥٠٤ هـ)، الملقب بـ(الكيا الهراسي)، ومعنى: (الكيا) هو السيد، وهو شافعي المذهب، أبو الحسن عماد

---

(١) الأعلام، خير الدين الزركلي، (٦/ ٢٣٠) .
(٢) راجع كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ، (ص٣٨٧).
(٣) راجع آيات الأحكام وأهم مؤلفاتها أ. محمد سليمان الفرا .
(٤) كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ، (ص٣٨٧).

الدين علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا الهراسي الشافعي ولد (٤٥٠هـ)، وتوفي سنة: (٥٠٤هـ) ، وتفقه في نيسابور مدة على إمام الحرمين، كان مليح الوجه جهوري الصوت، فصيحًا مطبوع الحركات، زكي الأخلاق. ولي تدريس النظامية ببغداد إلى أن مات.

ويعد كتابه من أهم كتب تفسير آيات: الأحكام عند الشافعية، وهو يتعرض لآيات الأحكام فقط، مع استيفاء ما في جميع السور من آيات الأحكام، وأهم ما يؤخذ عليه في كتابه أنه متعصب لمذهبه، ولكنه عف اللسان، ومتأدب مع الأئمة؛ إلاَّ أنه رمى الجصاص بألفاظ ساخرة، وشديدة مجازاة له؛ فمثلا نجده يقول عن الجصاص: " ولا شيء أدل على جهل. الرازي . يقصد الجصاص[١].

الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي (ت ٦٧١هـ)، وقد سبق ذكره عند الكلام عن التفسير بالرأي وذكرته هنا أيضا لأنه ممكن أن يكون في النوعين ضمن التفسير بالرأي والتفسير الفقهي. وهو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح كنيته أبو عبد الله، ولد بقرطبة بـ(الأندلس) تعلم القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية وتوسع بدراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن وغيرها كما تعلم الشعر أيضاً. انتقل إلى مصر واستقر بمنية بني خصيب (المنيا) حتى وافته المنية في ٩ شوال ٦٧١ هـ، وهو يعتبر من كبار المفسرين وكان فقيهًا ومحدثًا ورعًا وزاهدًا متعبدًا.

واسمه (الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان)، وهو تفسير جامع لآيات القرآن جميعًا ولكنه يركز بصورة شاملة على آيات الأحكام في القرآن الكريم. الكتاب من أفضل كُتب التفسير التي عُنيت بالأحكام. وهو فريد في بابه. كما أنه من أجمع ما صنف في هذا الفن. وصف بأنه من أجلّ التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه مؤلفه التواريخ والقصص، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والناسخ والمنسوخ.

كما يوجد أيضا كتب معاصرة في تفسير آيات الأحكام، ومنها: تفسير آيات الأحكام: الدكتور محمد علي السايس الأستاذ بالأزهر الشريف. وروائع البيان تفسير آيات الأحكام- المؤلف: محمد علي الصابوني. وتفسير آيات الأحكام- المؤلف: الشيخ عبدالقادر شيبة الحمد. وتفسير آيات الأحكام للشيخ مناع بن خليل القطان.

(١)راجع آيات الأحكام وأهم مؤلفاتها أ. محمد سليمان الفرا.

قائمة المصادر والمراجع

- الفوائد لابن القيم - ط العلمية
- مسند الإمام أحمد بن حنبل.
- إحياء علوم الدين ، للإمام محمد محمد الغزالي الطوسي
- البرهان في علوم القرآن، للإمام عبد الله بن بهادر الزركشي،
- المدخل إلى علوم القرآن الكريم: محمد فاروق النبهان
- زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي
- الإتقان في علوم القرآن:عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ)
- نشأة العلوم الشرعية وتطورها في حياة المسلمين، أ. محمد المحبوبي.
- التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي
- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان
- مجموع الفتاوى:تقي الدين أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني(ت٧٢٨هـ)
- المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
- أبو القاسم اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة،
- ابن قدامة، لمعة الاعتقاد
- منهاج السنة النبوية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله
- جمال القراء وكمال الإقراء - علم الدين السخاوي
- مصطفى البغا ، الواضح في علوم القرآن.
- عبد الرب نواب الدين كيف تحفظ القرآن الكريم
- نظم المتناثر في الحديث المتواتر لمحمد بن جعفر الكتاني.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني
- السنة لابن أبي عاصم ومعه ظلال الجنة للألباني
- دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل
- دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي
- تفسير الألوسي روح المعاني
- المقدمات الأساسية في علوم القرآن المؤلف: عبد الله بن يوسف الجديع
- تاريخ نزول القرآن محمد رأفت سعيد
- مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى
- كتاب نفحات من علوم القرآن محمد معبد
- ترتيب نزول القرآن في كتاب المباني، المنشور مع مقدمة ابن عطية بعنوان: «مقدمتان في علوم القرآن».
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي
- بحوث في قصص القرآن لعبد الحافظ عبد ربه
- الإمام الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

- تفسير القرطبي .
- الرسالة للشافعي، تحقيق احمد شاكر.
- تفسير الطبري جامع البيان

المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره : الدكتور محمد علي الحسن

الحديث في علوم القرآن والحديث: حسن محمد أيوب

التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور

فتح المنان في علوم القرآن .وليد سلامة

التفسير الموضوعي دراسات في القرآن د. زاهر بن عواض

- موسوعة علوم القرآن الكريم الموسوعة القرآنية المتخصصة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
- غريب الحديث والأثر، لابن الأثير .
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي
- راجع كتاب الحديث في علوم القرآن والحديث حسن أيوب
- الوجيز، لابن عطية
- العين للخليل بن أحمد
- تاج العروس من جواهر القاموس الزبيدي
- الإمام النووي التبيان في آداب حملة القرآن
- المغني لابن قدامة
- كتاب حاشية الروض المربع لابن قاسم عبد الرحمن بن قاسم
- المصاحف ابن ابي داود
- البداية والنهاية - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي
- ابن جزى كتابه التسهيل
- أبو عبيد فضائل القرآن
- ابن أبي داود في كتاب المصاحف
- أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف
- فتح الباري شرح صحيح البخاري . ابن حجر
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن القيم
- الطحاوي في «شرح المشكل».
- سير أعلام النبلاء للذهبي
- المقنع في رسم مصاحف الأمصار
- الديلمي. كنز العمال دليل الحيران على مورد الظمآن
- تاريخ القرآن الكريم محمد سالم محيسن.
- النشر في القراءات العشر المؤلف : شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ) المحقق : علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠ هـ)

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

- المقدمة لابن خلدون
- التلخيص الميسر كتاب التجويد المصور للدكتور أيمن سويد.
- الإمامُ أبو عمرٍو الدَّانِيُّ، (المحكم في نقط المصاحف مَوردِ الظمآنِ في رسمِ وضبطِ القرآن
- فضائل القرآن للقاسم بن سلام
- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة الشيخ شعبان محمد إسماعيل
- الأستاذ قدوري في كتابه "رسم المصحف
- المدخل لدراسة القرآن الكريم العلامة الدكتور محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة
- لمحة موجزة عن تاريخ التجويد، محمود العشري، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد.
- غيث النفع في القراءات السبع للصفاقسي
- شروط القراءة الصحيحة وأثرها في اختلاف الفقهاء، عبدالرزاق الصادقي
- طبقات القراء، للذهبي
- القراءات الشاذة: أحكامها وآثارها د. إدريس حامد محمد
- القراءة الشاذة عند الأصوليين وأثرها في اختلاف الفقهاء
- كتاب مدخل في علوم القراءات السيد رزق الطويل]
- القراءات الشاذة: أحكامها وآثارها. د. إدريس حامد محمد .
- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب ابن حنبل المؤلف: موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة الجماعيلي
- لسان العرب: ابن منظور
- الموسوعة الفقهيَّة الكُويتيَّة
- كيف نتعامل مع القرآن" محمد الغزالي
- شرح صحيح مسلم للإمام النووي
- داود في المصاحف
- موقع الإسلام سؤال وجواب الشيخ محمد صالح المنجد
- موقع إسلام ويب بتصرف

السَّادَة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفهرس

العنوان	الصفحة
كلمة المشرف العام لمؤسسة السادة لنشر العلوم الشرعية	٥
كلمة المحقق ومعد المادة	٦
المقدمة	٨
الفصل الأول الإحسان للمتعلمين وطلاب العلم تكريما لهم.	٩
الفصل الثاني: تعريف علوم القرآن.	١٨
الفصل الثالث: فضل علوم القرآن الكريم.	٢١
الفصل الرابع: أسماء القرآن وأوصافه.	٣١
الفصل الخامس: وحي القرآن الكريم	٣٧
الفصل السادس: نزول القرآن الكريم	٤٩
الفصل السابع: القصة في القرآن الكريم	٦٥
الفصل الثامن: لغة القرآن الكريم.	٦٨
الفصل التاسع: جمع القرآن الكريم	٩٢
الفصل العاشر: علم الرسم المصحفي.	١٠٤
الفصل الحادي عشر: القراءات والقراء.	١٢١
الفصل الثاني عشر: المكي والمدني من القرآن الكريم.	١٦٨
الفصل الثالث عشر: المناسبات بين الآيات والسور.	١٧٩
الفصل الرابع عشر: أسباب النزول.	١٨٣
الفصل الخامس عشر: الناسخ والمنسوخ.	١٩٧
الفصل السادس عشر: المحكم والمتشابه.	٢١٣
الفصل السابع عشر: المطلق والمقيد.	٢٢٣
الفصل الثامن عشر: العام والخاص.	٢٢٧
الفصل التاسع عشر: الأمر والنهي في القرآن الكريم.	٢٣٣
الفصل العشرون: الإسرائيليات وصلتها بالتفسير.	٢٣٨
الفصل الحادي والعشرين: التفسير والتأويل.	٢٤٣
الفصل الثاني والعشرين: أقسام التفسير.	٢٥١
قائمة المصادر والمراجع	٢٩٧
الفهرس	٣٠٠

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net